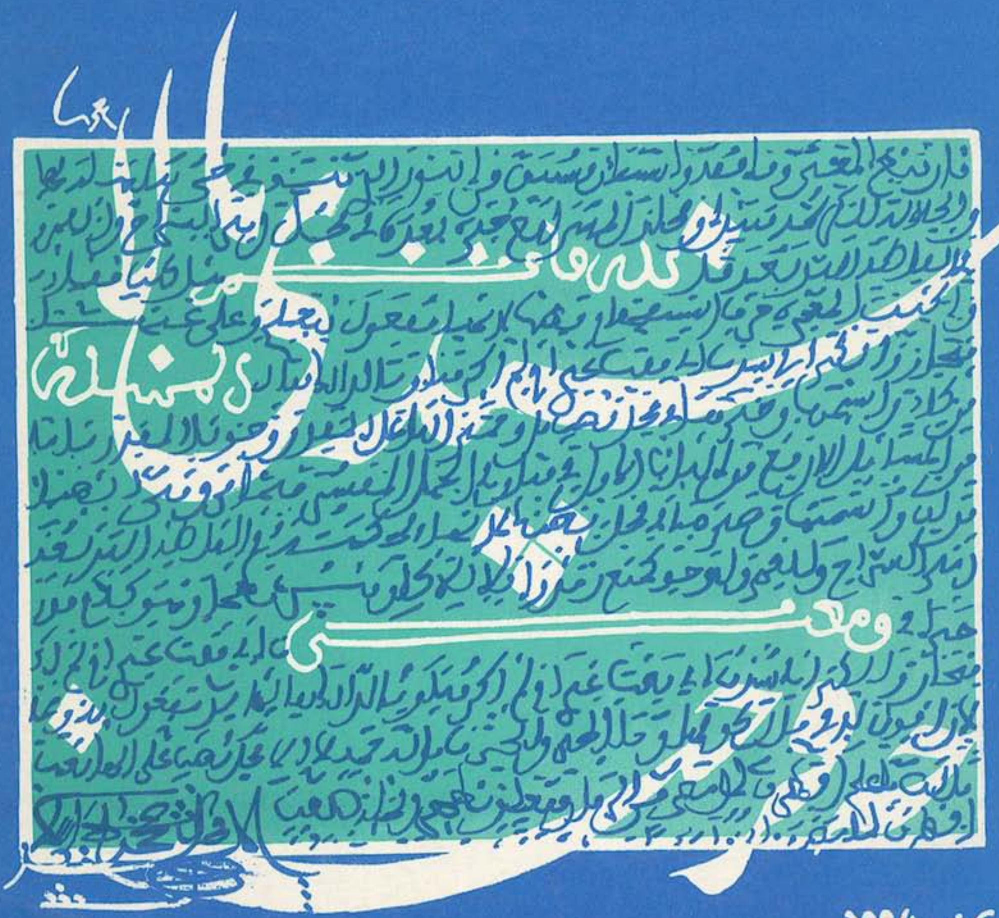
kitabweb-2013.forumsmaroc.com

د . حسن جلاب

(الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب)

(3)

مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي



مراكش ١٩٩٤

د . حسن جــلاب

(الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب)

(3)

مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي

مــراكش 1994

اصــل هــذا الكـتــاب

اطروحة جامعية قدمها المؤلف لكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ونال بها دكتوراه الدولة في اللغة العربية و آدابها تخصص ادب. بميزة حسن جدا، وذلك يوم 27-6-1987 . وكانت لجنة المناقشة مكونة من :

الدكتور محمد بنشريفة رئيسا

الدكتور عباس الجراري مشرفا و مقررا

الدكتور عبد السلام الهراس عضوا

الدكتور محمد بن شقرون عضوا

<u>وتشتمل على ثلاثة اقسام</u>

-1- الحركة الصوفية بمراكش

-2- الآثار الادبية لصوفية مراكش

-3- مظاهر تاثير صوفية مراكش في التصوف المغربي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى - مراكش

رقم الايداع القانوني 426 / 1994

ردمك 2 - 1 - 9600 - 9981

المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش

- مظاهـــــر التأثيـــــر -

مدخـــــل

الفصـــل الأول : في الشعــــــر

الفصل الثاني : في أدب الأذكَــــــار

الفصل الثالث : في كتب التراجم والطبقات

الخاتمـــــة :

مـدخــــل:

تبين لنا عند حديثنا عن الزيارة وتنظيمها ، انها كانت موجودة منذ اواسط القرن الحادي عشر الهجري . الا انها لم تكتسب شهرة ولم يذع صيتها الا بعد الاحداث التي عرفها المغرب مع بداية ظهور العلويين على عهد المولي اسماعيل ، وقيام هذا الاخير بإعادة تنظيم الزيارة، وتسليط الاضواء عليها في مطلع القرن الثاني عشر .لذلك فان النصوص المتأثرةبهذه الظاهرة تنتمي زمنياالى العصر العلوي . ويتجاوز صداها المغرب ليبلغ بعض الاقطار العربية والاسلامية ، وخاصة مايتعلق بشروح الشفا ودلائل الخيرات ، وكتب التصليات والاحزاب التي تسيرعلى نهج هذا الاخير .

لقد بقيت للتصوف نفس الاهمية خلال هذا العصر ، ان لم تكن قد زادت ، ذلك لان الصوفية وشيوخ الطرق حاولوا المحافظة على نفوذهم داخل المجتمع المغربي ، والادوار السياسية والاجتماعية الرائدة التي كانوا ينهضون بها في ظل الحكم السابق (مع السعديين) .في حين ان سلاطين الدولة الجديدة ، سعوا علي العكس من ذلك الى الحد من هذا النفوذ وتقليصه ، اذ اعتبروهم السبب الرئيسي في تدهور الوضع السياسي والاجتماعي والامني ، لذلك واجه المولى الرشيد الزوايا بشمال المغرب وغربه وجنوبه ، واستمر اخوه اسماعيل على نفس السياسة فاجبر ارباب الزوايا وشيوخ الطرق على الطاعة ، واخذ عليهم العهود والمواثيق ، مع الانتباه لكل تحركاتهم ، وشن سياسة تحد من قوتهم وتكبح جماحهم :

- الزامهم بفتح المقر الرئيسي للزاوية بفاس تسهيلا لمراقبتها كلها .

- ضرب بعض الزوايا ببعض إضعافا لها جميعها (تاسيس الزاوية الوزانية لمواجهة الزاوية البقالية بالشمال ، احياء طواف سبعة رجال مراكش بدل طواف سبعة رجال رجراجة) .

- المواجهة المباشرة للزوايا التي تهدد النظام (محاربة الدلائيين والحنصاليين . . .)

- انشاء حزام امني حول الجبال مكون من قلاع وحصون تعمرها قبائل عربية وبربرية مخلصة للسلطان لمنع تسرب بعض الزوايا الثائرة الى السهول (كزاوية امهاوش) .

---

* انظر كتابنا : الحركة الصوفية بمراكش .

- دعوة ارباب الزوايا ومريديهم الي القيام بواجب الجهاد المقدس لطرد النصارى المحتلين للسواحل . فشغلهم بذلك عن الخوض في السياسة وتمكن بواسطتهم من استرداد اغلب الموانيء المحتلة .

- وعلى العكس من ذلك يسبغ السلطان انعامه على الزوايا التي تبرهن على طاعتها واخلاصها له (1) .

احدثت هذه السياسة التوازن المنشود خلال حكم المولى اسماعيل الا انها لم تحد بصفة نهائية من قوة الزوايا وثقلها السياسي والاجتماعي ، وقدرتها على تحريك العامة . لذلك استمرت مواجهة ملوك الدولة العلوية لها باساليب وطرق مختلفة ، تعتمد القوة احيانا (محمد بن عبد الله وتاديب الشرقاويين)، واللين والدهاء احيانا اخرى (تقوية المولى سليمان للتيجانيين للحد من نفوذ الدرقاويين) .

ويبدو ان الدعوات الاصلاحية السلفية تدخل في هذا الاطار :

- دعوة محمد بن عبد الله للعودة الى الاصول ونبذ الخلافات والفروع ،وسعيه الى اصلاح التعليم بجامعة القرويين .

- مواجهة المولى سليمان لمختلف انواع البدع المخالفة للسنة ، وسعيه الى محاربتها وتنقية المجتمع منها : كزيارة المقابر ، وتنظيم المواسم . . . فاعتبره البعض لذلك من المؤيدين للحركة الوهابية .

- محاولة المولى عبد الرحمن اصلاح التعليم بالقرويين ، وتخليصه من المناهج العقيمة المتبعة .

يتبين - من خلال هذه المواقف - مدى تغلغل الظاهرة الصوفية في اوساط المجتمع المغربي ، وحضور ارباب الزوايا وشيوخ الطريقة وتأثيرهم الروحي . فاستمروا في النهوض

---

(1) اشرنا الى اغلب هذه القضايا في الباب الاول ، انظره ،
- G . Draque : Esquisse d'histoire religieuse du maroc pp . 81 - 83

بالادوار السياسية والاجتماعية والتربوية المنوطة بهم لمصلحتهم احيانا ، ولمصلحة الدولة احيانا اخرى وطبيـعي ان ينعـكس هـذا الواقع في مجـال الفكر والادب : فـقد ظهـرت مؤلفـات عـديدة فـي التصوف : آدابه ،الطرق الصوفية ،طبقات الصوفية وتراجمهـم ، المسلسلات الصوفية . . . والى جانب هـذا يتميـز العصر العلـوي بظهور عدد كبير من المؤلفات في ادب الرحلـة : ولم يخـل اغلبهـا من الحديـث عن التصوف وشيوخه ، وسرد الاوراد والاحزاب .

لقد انتهى بعض الباحثين المحدثين الى القـول – بحق – ان (النثر في هذا العصـر. . . – كالشعـر – قد اكتسـى طابـع التصوف) (2) .

ولايهمنا في هذا البحث ان نتتبع اثر التصوف في الادب والفكر خلال هذا العصر ، ولكن موضوعنا متصل بجانب من هـذا التـأثير . وهو مدى تأثير حركة سبعـة رجال – كـظاهرة من الظـواهر الصوفية العديدة التي عرفهاالمغرب –في الادب خلال هذا العصر ، ومدى اهمية هذا التأثير ومستـواه ، ومميزات وخصائص هـذا الادب المتأثر بالظاهرة المذكورة، وعلاقة ذلك كلـه بالانتاج الادبـي الذي افرزه هذا العصر .

وسنتنـاول هـذا الموضـوع في ثلاثـة فصـول ، هي :

- الفصـل الاول – في الشعر ، المدرسي والشعبي .
- الفصل الثاني – في ادب الاذكار .
- الفصل الثالث – في كتب التراجم والطبقات .

---

(2)الحياة الادبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية . محمد الاخضر ص 281 .

الفصـــــــــل الاول
- في الشعــــر -

المبــحــث الأول : - الشعر المدرسي

المبحث الثانـــي : - الشعر الشعبــي

المطلـب الاول : - الملحـــون

المطلب الثاني : - الدقة المراكشية

الخاتمــــــــة .

ان ارتباط الادب العربي بالسياسة وثيـق وقـديم ، الى درجة ان بعض الاصوات قد نـادت بضرورة الفصل بينهمـا (3) .وكان للمؤرخين وكتاب التراجم ورواة الاشعـار دور في تعميـق هذا الاتصال بتركيز اهتمامهم علي هذا الشعر دون غيره (4) ، في حين تهمش كثير من الاشعـار التـي تصـور التجـارب الذاتيـة للشعراء ومشاعرهم ازاء الحياة والكون، وعلاقاتهم بغيرهم من افراد المجتمع ...

والحقيقة ان بالشعر السياسي والذاتي . . . يتم التعرف الى حقيقة الحياة الادبية لعصر من العصور ،ورسمها بكثير من الدقة والصدق . . .بل ان الوجه الحقيقـي للشـاعر والخصائـص الحية والصادقة لتجربته الشعرية لا تظهر حتما في الشعر الـذي يكون مضطرا لقوله ونشره ، ولكنها تبرزاكثر في الشعر الذي يصدر عنه بدون حافز خارجي ملزم .

ومن هنا تأتي اهمية هذا الصنف الاخيـر من الشعـر ، ومـا ينتج عنه من المام للصـورة الادبيـة في فتـرة زمنيـة مـن الفترات الادبية .فالشعر المتأثر - مثـلا - بالظاهـرة الصوفيـة عموما غني بإيحاءاته الفكرية والادبية ، يمكّن الى جانب اصـناف شعرية اخرى من رسم صورة حقيقية للحركة الفكريـة والادبيـة للفترة التي يمثلها .

وسنتعرف الى الشعر المتأثر بالظاهرة الصوفية التـي تهمنا (سبعة رجال) ، والى محاوره وموضوعاته ومميزاته ، وذلك لما كان لها من تأثير في اوساط الشعراء والعلماء وعامة النـاس في مراكش وغيرها من المدن المغربية .

وسنخصص مبحثا للشعر المدرسي وآخر للشعـر الشعبي : فقد ورد الحديث عن رجال مراكش ومدحهم والتـوسل بهم في شعـر الملحون والمرددات والاغـاني الشعبية المتداولـة قديما وحديثـا .

---

(3) انظر كتاب مناهج الدراسة الادبية لشكري فيصل . ط . بيروت 1973 .

(4) ادى الامر بباحث هو د . محمد الاخضر الى تقسيم العصر العلوي الى ثلاثة عصور ادبيـة متصلة بالسياسة :

- العصر الاول، من سنة 1084الى 1171هـ عصر مولاي اسماعيل والاضطرابات بعده .
- العصر الثاني من 1171 الى 1238 ،محمد بن عبد الله ومولاي سليمان .
- العصر الثالث مـن 1239 الـى 1311 هـ مـن المولى عبـد الرحمـن الى المولى الحسن. واهمل الباحث كثيرا من الاشعار التي لاترتبط بالسياسة .

المبحث الاول - الشعر المدرسي

يجب ان نؤكد في البداية اننا لانقصد جمع الشعر المتأثر بظاهرة سبعة رجال واستقصاءه ، وانما التعرف اليه من خلال نماذج لاهم الشعراء الذين يمثلون هذا الاتجاه ، وتحديد موضوعاته ورصد خصائصه .

- I - **المحاور** : من اول وهلة يلاحظ ان هذا الشعر يمكن تصنيفه الى ثلاثة محاور :

المحور الاول : قصائد مركزة في سبعة رجال تمدحهم وتبرز اهميتهم العلمية ومكانتهم التربوية وتتوسل بهم : منها القصيدة العينية المنسوبة لليوسي(5) ، وقصائد :محمد الدقاق(6) واحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي (7) . ومحمد بن احمد الحضيكي (8) ، ومحمد بن ادريس

---

(5) مطلعها :

بمراكش لاحت نجوم طوالع   جبال رواس بل سيوف قواطع

انظر الفصل الثالث من كتابنا الحركة الصوفية بمراكش واثرها في الادب(!) .

(6) في اثني عشر بيتا ، الاعلام6/60 – 61 . مطلعها .

توسل الى الرحمن بالسبعة الالي   تساوى علاهم وانغشى في البرية

(7) مطلعها :

ياربنا بالسبعة الغر الالي   لهم من الفضل المقام الارفع

انظر ترجمة الشاعر في نشر المثاني 273/2 – 277 . ط . فاسية .

(8) مطلعها،

يا سائلا عن سبعة رجال   فاصغ لهم تفز بالكمال

انظر في ترجمته المعسول 302/11–304، سوس العالمة 193 .

العمـــراوي (9) ، ومـحـمـد الغـالي بن المـكي(10)،ومحـمـد بن المعطي السرغينـي ،(11) ومحمـد الامـين الصحـــراوي الحجاجـــي (12)،والعـربـي بـــن داوود الشرقــاوي (13)، ومحمد بـــن احمـــــد بنانـــي المراكشـــي (14)، ومحمــــد بـــن محمـــد بـــن العربـــي

---

(9) لابن ادريس عدة قصائد في الموضوع ، هذه مطالعها :

1 - يا ســادة الحــي يا كـــرام ومـــن هـم القصـــد والمـــرام
2 - عـز الفتى ذلـه ببـاب مـولاه ويســره فـقـده لمـــن تـــولاه
3 - ارجـال مـراكش نزلت حـماكم مـتـوســلا بعظيـم فضـــل اللــه
4 - ارجال مراكش قصدت حماكم ارجــو القبـول و نحلة الاضـيـاف
5 - عليكــم الســلام ، والســلام عليكـــم ، حـيـاكـــم الســلام

انظر ديوان الوزير ابن ادريس ، تحقيق شهيد التهامي تحت اشراف الدكتور عباس الجراري ، مرقون بخزانة كلية الآداب بالرباط 290 ر .

(10) مطلع قصيدته :

رتب زيارة الرجـال السـبـعـة تفـز بقـصـدك ونيل رفـعـة

انظر بادرة الاستعجال ص 15 م . خ .

(11) مطلع القصيدة :

اليك ابا يعـقـوب رفع شكيـتـي ايوسف اني في حـمـاكم بشـالي

انظر الاعـلام 7/29 - 32 . وفـهرسـتـه حديقة الازهار في ذكر مـعـتـمـدي من الاخيار . م . خ . بمراكش

(12) تقع في 77 بيتا ، مطلعها :

كـرامـات اهل الله في المسند الثبت عن الـلـه والـرسـل الكرام عـلى البـت

المجد الطارف والتالد للشاعر، ص 195 - 199 م . خ . ع . ر . 588 ك

(13) مطلع القصيدة :

حـــــقـق الـلـه ظـن حـب ودود اجـــاد مـــدحــــه لنا واطـالا

الاعلام 9/29-32 ، اظهار الكمال 188 - 189 .

(14) مطلع القصيدة :

بمراكش الـغـــراء لاحت كـــواكب بهـم يحـتـمـي المكروب في كل شـدة

الاعلام 7/119-129، واظهار الكمال 28 - 29 .

الحاجـــي (15)، وعباس بن أبراهيم (16) . . . وغيرهم من الشعراء والفقهاء .

المحور الثاني : قصائد تتجـــاوز الرجال السبعة الى مجموع اولياء المدينة ، واحيانا الى اولياء المغرب عموما :

- منهـــا عينية محمد بن سعيـــد المرغيثي في الشـــــوق الى مـــــراكـش والتوسل بأوليائها (17) .

- دالية اليوســـي في التوسل بالاوليـاء المدفونـين في مـــدار الزيارة (18) . لامية محمد المكي الناصري في التوسل بسبعة رجال ، وبعض اولياء مراكش وفاس (19).

- ارجوزة ابن ادريس العمراوي في سبعة رجال واولياء مراكش . وهي من اهم نصوص هذا

---

(15) مطلع القصيدة :

احللت مـــــا ادهم من امـــــور بسـاحــــة الجلة البـــــدور

الاعلام 7/213 - 214 .

(16) له رائية طويلة سماها درر الحجال في السبعة رجال، اولها :

يارب بالسـبـعـة الرجـال الابرار اولي الصـــلاح ذوي الفـــلاح الاطهـار

شرحها في كتابه اظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال، طبع الجزء الاول منه وبداية الجزء الثاني على الحجر بفاس .

(17) مطلعها :

الم تر البدر في الخضراء قد نصعا وانتـشر النور في الغبـراء مـذ طلعا

انظر الرياحين الوردية ص 62 - 63 . ترجمة الشاعر في نشر المثاني 2/37 ، والسعادة الابدية 1/136 .

(18) مطلعها :

يا من لهم قـدم العناية في الورى ولـهـم يـد الاصـــــــــدار والايـراد

الرياحين الوردية 31-32، واظهار الكمال 30-31 والاعلام 10/343 .

(19) مطلعها :

تـركت هـوى ليلي ولبنى ومـــيـــة وهـا انـا في شـــغل عن الكل شــــاغل

الاعلام 6/65-71 .

المحور ، تقع في اربعة وعشرين ومائتي بيت (20)، مما جاء فيها :

فعـن لـي نظـم رجـال عرفـوا وبالصـلاح في حمـاها اتصـفوا

لكـي يكـون بـهم توسلـي الـى الهـي وبهـم توصـلي

مـبتدئـا بالسبعـة الرجـال اهل الاسـتجـابة بالاسـتعـجـال

- نونية احمد الرباطـي فـي جمهـور اوليـاء المغـرب منطقة منطقة (21).

- ميمية احمـد بن عبـد القادر التجموعتي في زيارة اوليـاء مراكش (22)

<u>المحور الثالث :</u> قصائد مخصصة لواحد من سبعة رجال . فقد اهتم الشعراء بهؤلاء الاعلام قبل تنظيم الزيارة ، فمدحوهم اعتبارا لمكانتهم العلمية او الصوفية . وكثر شعر التوسل بهم بعد التنظيم . واغلب ماوصلنا من شعر في هذا الموضوع خاص بعياض، والسبتي، والجزولي، والغزواني :

---

(20) مطلع الارجوزة :

الحـمـد لله الذي قـد اصطفى مـن خلقـه اهل صـفـاء ووفـا

ختمها بنظم رجال التشوف . ديوان ابن ادريس ، تحقيق شهيد التهامي من ص 852 الى 872 .

(21) مطلعها :

يا من عليـه الحـال ضـاق ونابه ريب وضـيـم مـن يد الحـدثـان

واول الابيات في مدح رجالات المدينة :

وبمراكش الحمـرا مشـامع سبـعـة وبهـا بدور للدجـا الظلمـان

تقع في 190 بيتا، مجموع غير مرقم في خ . خ . بمراكش، وفيه ان احمد الرباطي قد نظمها في فاتح شعبان 1292 هـ .

(22) مطلعها،

قـد رجـعنا من الزيارة والالبـا ب مـوقـنـة بـنـيـل المـرام

اضاف اليهم اعلاما آخرين على راسهم ابو عمرو القسطلي .

- عياض : ركز مادحوه على مكانته العلمية واهمية كتابه الشفا (23)

ويعتبر ابن ادريس العمراوي من اكثر الشعراء مدحا له . اذ قال فيه اربع قصائد(24) في التوسل به والاشادة بكتابه السابق الذكر .ولعبد الخالق بن محمد العروسي الشرقي صاحب كتاب المرقي في ذكر مناقب القطب الشرقي قصيدة في مدح الرسول ذيلها بمدح عياض وتقريض كتابه الشفا نظمها بعد شفائه من مرض ألم به (25) .

---

(23) من الذين مدحوه قبل تنظيم الزيارة : عبد الله بن حكيم (اظهار الكمال 111)، وابن الخطيب (اظهار الكمال 112) ، وابن عرفة (اظهارالكمال 113)، وعلي بن هارون (اظهار الكمال101) ، وبدر الدين بن الحسن التميمي الهمذاني (ازهار الرياض 4/ 290) وابن اقبرص (ازهار الرياض 4 /283) ، وابن رشيد (ازهار الرياض 4 /276) ، وابن جابرالوادي آشي (ازهار الرياض 4/276) وابو اسحاق الشاطبي (ازهار الرياض 4 /301 – 302) وعبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي (ازهار الرياض 273/4) ومحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي بن الحداد (ازهار الرياض 277/4)وعبد النور الحسني العمراني(ازهارالرياض 4 /281 – 282)، وابو القاسم رضوان النجاري (ازهار الرياض 285/4 - 296) ، واحمد بن المحاسن السرعيني الشافعي (ازهار الرياض 289/4– 290) وابن عبد المنان (ازهار الرياض 4 /289)، وابن زمرك (ازهار الرياض 287/4– 288) واحمد بن ابراهيم بن خلف القرشي (ازهار الرياض 4 /278) ، وابن مرزوق (ازهار الرياض 4 /302)، وعلي بن احمد الشامي الخزرجي (ازهار الرياض 307/4) ، ومحمد بن علي الوجدي (ازهار الرياض 4 /302 – 303) ، والمقري (ازهار الرياض 4 /303) .هذا بالاضافة الى مجموعة من الامداح المتداولة التي لم يذكر قائلوها ، وتوجد في المصادر التالية ، ازهار الرياض 279/4 – 280 – 282 – 283 . والمرقي 194 – 195 . وكناشة خ . ع . ر 158 د ص 19 . اظهار الكمال 110 – 111. والسعادة الابدية 83/1 – 84 .

(24) ومطالع هذه القصائد ، هي :

1- حيتك طالعة السعد فاطرب ودعتك داعية الهنا فتقرب

2- اهدي لطيبة اطيب النفحات واخصها بالبر والبركات

عارض فيها تائية عياض المشهورة (يا دار خير المرسلين . . . .)

3- بحكم الحب قلب الصب راض فليست تراه يوما ذا اعتراض

4- حديث احبتي فيه الشفاء بمسك ختامه طاب الثناء

(25) مطلعها،

حدث بفضل محمد وبحقه عرف وعظم منصبا للمجد

ونظم عبد الله بن محمد الكنسوسي قصيدتين في مدح عياض والتنويه بمكانته العلمية بمناسبة ختم الامير مولاي العباس بن عبدالرحمن دروس الشفا بجامع المنصور من قصبة مراكش(26)

- ابو العباس السبتي : اهتمام الشعراء بابي العباس السبتي قديم ، فقد مدحه اخص تلامذته ابو يعقوب يوسف بن احمد الانصاري المعروف بابن الحكيم ، وابدى حبه له وتعلقه بمذهبه (27) ، ورثاه بقصيدة ثانية (28) .

ويلجأ ابن الخطيب اثناء ازمته الى ابي العباس فيخاطبه برسالة على لسان سلطان غرناطة المخلوع الغني بالله يذيلها بابيات في مدحه (29) . وتتردد في بعض كتب الطبقات قصائد في مدح ابي العباس مجهولة القائل (30) .

---

(26) مطلع القصيدة الاولى :

عـقـبت شـذى المسك او كـالآ س   وتضـوعت باطايب الانفـاس

ومطلع الثانية :

حب الحـديث عـلامـة الايمان   وشـفـا الصـدور من الرد والران

الاتحاف 5 / 414 .

(27) مطلعها :

ومنفـرد بالله هام بحـبـه   فليس لهـا انس بشيء سـوى الرب

انظر التشوف 417 - 418، ط .1، والسعادة الابدية 1/119. تعطيرالانفاس 94

(28) مطلعها :

اطـال الـليـل ارزاء تـطـول   واحـزانا تحل ومـا تحـول

اظهار الكمال 127 - 128 ، تعطير الانفاس 93 ، السعادة الابدية 2/10 .

(29) مطلع الابيـات :

يـا ولـي الالـه انـت جـواد   وقـصـدنا الى حـمـاك منيع

نفاضة الجراب ، تحقيق احمد مختار العبادي 381 ، وازهار الرياض 1/273 .

(30) منها ما نظم على لسان السبتي نفسه ، نكتفي بذكر المطلع ،

1- الا عـرج على بابـه فانـي   سخـي لا اخيـب من اتانـي

2- انا السبتي الذي قد طاب اصلي   وقـربني المهيـمن واجـتبـاني

انظر اظهار الكمال 193 - 194 ، والاعلام 1/ 244 - 245 . وقيلت فيه كذلك ابيات اولها :

اني التجـأت بمن نال العلا كـرمـا   ابو المسـاكين غـوث الخلق في الكرب

الاعلام 1/323.

اما بعد تنظيم الزيارة ، فقد مدح السبتي من طرف المؤرخ محمد الصغير الافراني (31)، والشاعر الوزير محمد بن ادريس العمراوي الذي قال فيه ثمان قصائد مادحا ومتوسلا(32) .

- الجزولي : لم يلق نفس العناية التي لقيها عياض والسبتي . فإذا تجاوزنا القصيدة الطويلة التي مدحه بها ابن ادريس (33)، لانجد الا مقطوعات قصيرة في نسبه وشرفه (34) ، وفي فضائل دلائل الخيرات (35) ، وثمرات حزبه الكبير

---

(31) مدحه بقصيدة طويلة مطلعها :

ان ترد نيل الامان في سرور مع تهان

الدرر المرصعة 95- 96م.خ.ع.ر.267 ك واظهار الكمال 181 -182. وتعطير الانفاس 79 - 80 .

(32) مطالعها كالتالي :

1- يا أبا العباس يا قطب العلا	يا غياث الملتجي والمرتجي
2- تبسم في وجه الرجاء سعودي	واورق في روض المسرة عودي
3- نويت زيارة القطب الشهير	ابي العباس ذي الجاه الخطير
4- ذكر الاله ذخيرة الاكياس	و مطيب الخطرات والانفاس
5- اني نزيلك يا ابا العباس	لا ابتغي بدلا بكم في الناس
6- يا ابا العباس يا غوث الانام	و يا مولى الاكارم والكرام
7- اتخذت محبة الصلحاء حصنا	فنلت بحبهم عزا وامنا
8- حسني المدائح للاجواد اهديها	ولست الا لاهل الخير ابديها

انظر هذه القصائد في الديوان : 97 - 169 - 170 - 229 - واظهار الكمال 190-191-192- 193. والاعلام 282/6 - 316 -317

(33) مطلع هذه القصيدة :

روح القبول من الاخيار حياني وعرفه بجزيل العرف احياني

الديوان 391 - 395 .

(34) مطلع الاولى (تحفة الكرام للمنفلوطي 4 ب) :

نسب تعالى مجده فوق السهى وتضرعت من طيبه الارجاء

(35) انظر قصيدتين في الموضوع ، في تحفة الكرام للمنفلوطي 6 ب

"سبحـــان الدايم" (36) .

- التباع: مدحـه محمد بن ادريس العمـــراوي بقصيـدة ركز فيها علـى علمـه وزهـــده واخلاقـــه وتصوفـه ، وختمهـا بالتوسـل به (37) .

- الفزواني : لم يصلنا مما قيـل فيـه الا مرثية تلميـذه ابي محمد عبد الله بن محمد الهبطي (38) ، ونونيـة ابـن ادريـس العمـــراوي فـي مـدحـه وابـراز فـضـائله وعلمـــه وزهـده والتوسـل بـه (39) . وبذلك يكون الشاعـر الوزير ابن ادريس من اكثر الشـعراء اهتـمامـا برجالات مراكش ومدحا لهم .

- السهيلي: اعجب الشعراء والعلماء بشعر السهيلي ، وبعينيته الصغرى خاصة . فسارعوا الى معارضتهـا وتخميسها وتسديسها اكثر مما مالوا الى مدح صاحبها . ولعل السبب راجع ليس فقط الى ذيوع القصيـدة ولكـــن الى ماجاء في شانها في المصادر وكتب التراجم ، من ان قارئها " ما سال الله بها حاجة الا اعطاه اياها " . وشبيه بذلك ما قيل في شأن بائيته (40) .

---

(36) مطلع الاولى :

اذا شـئت ان تبـغي المقاصـد والمنى	وتحـــصي مـــدا الايام بالدين والدنا

ومطلع الثانيـــة :

ســرت من ديار الغـوث نفـحـة نده	فـاشـذى شـداها القلب من حـر بعـده

انظر مجموع احزاب الجزولي واوراده. ط. رسمية تونس 1306 هـ ص4 .و25 .

(37) مطلــعها :

كـــرر حـــديثـــهم علىأســـمـــاعي	فـــبـــه يلذ تانسي وســـمـــاعي

(38) مطلــع المرثيـــــة :

الا انهـــا الاقـــدار ارمـت بنبلهـــا	مـــقـــاتل قلبي من قـــريب بشـــدة

معتــع الاسمـــاع 37 – 88 .

(39) مطلـــع القصيـــدة :

طب العليل ومـــورد اللهــفـــان	في قـــصـــد اهل الســر والعــرفـــان

الاعـــلام 6/284 – 285 .

(40) انظر المطرب لابن دحية 234 . وقيل بان البائية تستعمل في نزول الشدائد . انظر تجربة صاحب الاعلام 8/72 .

وقــد عـارض البائيـة مـحـمـد الغـالـي بــن المكــي (41)، وعـارضهــا كـذلك احمدبـن عبدالعزيــز السجلماسـي (42) ، وخمسهـا ابراهيـم السنوسي (43) ، وســدسهـا بعض الشعراء (44) . واشـار حـاجي خليفـة الى معـارضات اخرى كانـت العينيـة موضوعـا لهـا (45) نظمهـا شعــراء مــن المشرق العربـي . مما يـؤكد ذيوعها خـارج المـغرب والاندلس .

– II – وهـذه القصائد متقاربة في هيكلها العام اذ لاتكـاد تخرج في مجملها عن الشكل الآتي :

---

(41) مطلع قصيدته :

رفــعت لـرب العــالمين مــشــاربي واسـقطت تدبيـري وسـقطت مطالبي

وقد كرر ابياتها ولم يغير منها الا القيل (بادرة الاستعجال 59) .

(42) مطلعها :

يا ربنـا بالســبــعــة الغــر الالي لـهم من الفــضل المقــام الارفـع

جاء في آخرها :

يســر لنـا مــا اضــمــرته قلوبنـا (يا من يرى ما في الضمير ويسمع)

اظهار الكمال 343 . والاعلام 78/8 .

(43) اول تخميسه (اظهار الكمال 343 – 344 . والاعلام 74/8 – 75) .

مــولاي باسـمـك ثـم حـمـدك اضــرع وبمــن لديــك لــه المقــام الارفــع

والآن جــئـت مــصليــا اتشــفـع (يا من يرى مـافي الضمـيـر ويسمع

انت المعــد لكل مــا يتــوقـع)

(44) من تسديسها المستحسن (الاعلام 77/8 – 78) .

ان كنـت حقـا مــن ذنوبــك تجــزع فــافـزع الى البــاري بقلــب يخشـع

وانـب لــه واخضـع بدمــع يهمــع واســال وقــل بلســان من يتضــرع

(يا من يرى ما في الضمير ويسمع انـت المعــد لكل مــا يتــوقـع)

(45) خمسهـا ابن حجة ابــوبكــر علــي الاديب الحمــوي ، المتوفـى سنـة 834 هـ اول تخميسـه (قــالوا عــداك وانت حي تســمـــع ....) كــشف الظنـون 1341/2 .

واللمـعـة النورانيـة في تـخـمـيس الابيـات السهيليـة لزين الدين عمـر بن احمـد الشمـاع الحلبي المتوفى سنة 936 هـ . كشف الظنون 1566/2 .

1 - مطلع او مقدمة تمهيدية :يختلف مضمونها من نص الى آخر ، ويمكن تصنيفها كالتالي :

- مطالــع في التنبيــه على تالق نجم رجالات مراكش (عينية اليوسي، وتائية بناني) .

- مطالـــع في التحريـض على التوسـل بهم وطلب عـونهم (عـينيــــة السجلماسي ، داليـة اليـوسي ، نونيـة الربـاطـي) او الدعـــوة الـى زيارتهـم حـسب الترتيب الجاري به العمـــل (ميميـة ابــن ادريـس، وقصيدة محمد الغالي بن المكي).

- مطالع في توجيه التحية والسلام اليهـم (رجز ابـن ادريس) .

- مطالع في الحكمة والموعظة (هائية ابن ادريس)

- مـطالـــع في وصـــف الطبيعـــة (46) ، او التمتـع بجمال الكون وبهجته (47) .

- ويتم الدخـول الى الموضوع مباشـرة في قصائـد اخـرى (لاميـة السرغيني مثلا) .

2 - المـــدح والتوســـل : يشتمل هذا القسم على مقطعين :

- الاول ، فـــي ذكر الرجال السبعة واحدا واحــدا .

---

(46) استهل المرغيثي قصيدته بوصف جمال المدينة والشوق لا يامه بها ،

الـم تر البـدر في الخضراء قـد نصـعـا	وانتشر النـور في الغبـراء مـذ طلعا
يـحكـي الخليـفـة في اربـاب دولتـه	على بســـاط حـرير اخضـر وضعـا
نـاديتـه رافـعـا صوتـي وقد اخــذت	مني الهمـوم فـخلت القلب منصـرعا
يـا ايهــا القمــر الملقــي اشعتـه	على البطــاح وزان الليـل اذ سطـعـا
بالله غب ساعـة مـازلـت تذكرنـــي	عهدا مـضي لي مع الاحباب وانقطعا
عهدا مضـي لي في الحمراء مذ زمـن	تـقطعت كـبـــدي مـن ذكــره قـطعــا

(47) وجاء في مطلع قصيدة محمد الهاشمي السلاوي مركزا على الحديث عن الانس والشرب والتمتع بمباهج الحياة ،

لقد طـرب الــفـؤاد ومـــا شربنـــــا	ودام الانـس واســتــولــى مـكـينـــا
وأنهلنــــي وعـللنــي شــــــذاه	فـــصـرت لبــعــد هجـزهـــم امــينا

- الثانى، في التوسل بهم جماعة،مع تجاوزهم الى باقي اولياء مراكش

- اولا : ويمكن التمييز بين صنفين من المعاني التي مدح بها الشعراء اولياء مراكش :

- ما يمكن اعتباره من المعاني العامة التي تصلح للجميع .

- و ما يمكن اعتباره من المعاني الخاصة بولي من الاولياء .

أ) فمن قبيل الصنف الاول : وصف الولي بالمعاني التالية :

- العلم : العالم المفرد ، امام العلم . . . وكانوا كما نعرف على قدر كبير من العلم والفهم والتاليف .

- الامامة : تختلف صيغها من شاعر الى آخر ، فيوسف سمي بالامام الهمام والسبتي بالامام ، واطلق على الجزولي والغزواني ائمة التقى ، وعلى التباع امام السر .

- القطب : كان الشعراء مقتصدين في استعمال هذا الوصف ، فلم يطلقوه الا على من ثبت ذلك في حقه ، وشاعت تسميته به ، فالسبتي عندهم هو قطب العلا ، والجزولي قطب السر ، وقطب الانام وقطب الكمال . والتباع غوث ، والغزواني علم الولاية .

- و تتفرع عن هذه الاوصاف معان اخرى تابعة ، فالامام او القطب هو بحر الهدى وبحر الحقيقة ،وبحر الكرامة ،وصاحب الكرامات ، والبحر الواسع ، وهذا الوصف يستعمله الشعراء للدلالة على الكرم والجود واتساع المعارف كيفما كان نوعها : علمية ، فقهية ، صوفية. . . . .

وتباعهم بحر الكرامة والهدى وسيدنا الغزواني نوره ساطع

- وعندما يتصف الولي بهذه الاوصاف ، وتثبت له هذه المؤهلات ، من الطبيعي ان يخاطب بعبارات مثل : ذو الفضل ، او صاحب الفضل ، او المفضال او صاحب النور الساطع الذي لا يوازى ولا يقارب في النفع . فيصبح لذلك " قبلة الزائرين "

- ويتداول الشعراء معاني متفرعة عن السابقة وتابعة لها : فالبحر او القطب او الامام صاحب الفضل هو المغيث ، المنقذ ، وحامي الذمار ، وجابر الكسر . . .الي غير ذلك من

الاوصاف التي كان الشاعرالعربي يقصد بهاالجانب المادي اي الحامي من الاعداء ، والمغيث من الهجومات . . في حين ان الشعراء هنا يقصدون بها الجوانب المعنوية والروحية .

هذه الاوصاف عامة وصالحة لكل الاولياء على اختلاف مشاربهم ودرجاتهم،بل ان منها مايصلح لعموم الاشخاص كالعالم، الجواد ، البحر، الفضل ، المنقذ . . .لهذا مال الشعراء الى التخصيص في نفس القصائد وهو الصنف الثاني من المعاني .

ب) المعاني الخاصة بكل ولي : وتتناول على العموم مكان دفنه ، مرتبته داخل المدار، واهم ما عرف به في حياته .

فيوسف بن علي هو صاحب الغار ، والاول، وصاحب باب اغمات ، وفاتحة السر . . .

- اولـهم ابـن علـي يـا فتـى   قـبره معـروف بيـاب اغمتـا

- يا يوسف بن علي انت فـاتحـة   للسـر عـجل بغـوث قـد عـهـدناه

ويشير محمد بن العربي الحاجي الى ما عرف به يوسف من صبر ورضى ، شكره الله تعالى على ما ابتلى به ،

كـيـوسـف النـدب ، مـن علـي   والـده الصـابر الشكـور

- اما عياض ، فانهم يشيرون الى مكان دفنه بباب ايلان . وتتركز المعاني الخاصة به على منصبه الديني فهو القاضي الوحيد بين سبعة رجال ، لذلك دعاه ابن ادريس بقاضي القضاة ،

قـاضي القـضـاة سـيـدي عـيـاض   قِنَـا مـن الآفـات والامـراض .

ويدعونه فخر المغرب ، اشارة الى القولة المشهورة " لولا عياض لما ذكر المغرب "، لذلك قال عنه الكنسوسي ،

لولاه مـا ذكـرت مـفـاخـر غـربنا   بمشـارق الانوار ذات بيـان

وقال ابن ادريس ،

اين ابن مـوسى عـيـاض فـخر مـغـربنا   ومـن لـه الـفـضـل اولاه واخـراه

وتدور باقي المعاني التي مُدح بها عياض حول مسألتين :

أ - تعريفه بالرسول في كتابه الشفا ،

كتاب قد توحد في علاه بوصف المصطفى النور المفاض

فسماه التجموعتي لذلك خادم المصطفى ،

ومددت الاكف عند عياض خادم المصطفى سراج الظلام

ب - والثانية متداولة لا تكاد تخلو منها اية قصيدة من مدائح عياض ، وهي الاستشفاء بالشفا ، من امراض القلوب والصدور كما عند الكثيرين ، قال الدقاق ،

ومن قد ازاح الجهل عنا شفاؤه فكان شفاء للقلوب المريضة

- وركز الشعراء على ماعرف به السبتي عند العامة : تاج البلدة ، وسلطان الحضرة ، وسلطان مراكش ،

ثم ابو العباس تاج البلدة اعظم به في العقد وسط الستة

وقال ابن ادريس ،

سلطان مراكش ومظهر سرها وضياؤها المغني عن النبراس

وعند محمد الهاشمي السلاوي ،

وسلطان لحضرتها عماد ابو العباس قطب العارفينا

ولم يغفلوا عما اشتهر به من جود وكرم وعطاء ، فقيل :

انما السبتي كنز ليس بالنفاق فان
انما السبتي بحر ليس يفنى بالأوان

وإلى ذلك يشير اليوسي بقوله :

وبحر ابي العباس ليس يخوضه سواه كريم لا يزال يمانع

فلم يكـن احد يستطيـع مسايرة ابي العباس في كرمـه وعطائـه ومبالغتـه فـي الانفاق على المحتاجين والفقراء حتى سمـي بأبي اليتامى . قال احمد الرباطي :

وابو اليـــتـــامى الارامل غـــوث ابـــ ـــــن جـعــفـر ورد الظمي العطشـان

وقد ادرك بسبب ذلك مكانة غبطـه عليهـا الصـوفـي ابـن العربـي عندمـا قـال بأنه زار المدينة فوجدابا العباس يعطي ويمنع ، ويعلي ويمنع ، فتمنى ان تكون له هو، وهذا ما قصده ابن ادريس في قوله ،

مـــتــــصــــرف بالله في قـــصــــاده يعلي ويحــــفظ من يشـــا ويـواسي

- اما بالنسبة للجزولي فان الشعراء قد اهتموا بقضية نسلـه الشريف ، ونعتوه بشيخ الشيوخ اشارة الي الطريقة الجزوليـة التي هو قبطها ومؤسسها ،

شـيخ الشـيــوخ الجـزولي الرفـيع مـدا مـــحـــمـــد المرتضى نجل سليـــمـــان

الا ان الـذي لقـي اهتـمـامـا اكبـر لـدى الشعـراء هـو كتـابـه " دلائـل الخيرات " الذي يظهر مكانة صاحبه في العلم والطريقـة ،

نـور الدلائـل يكـفي المســــتـــدل بـه على مكـانتـــــه في العلم والعــــمل

وبه ارشد الضالين وهداهم الى الطريق السوي ،

فكـــم اهـــدى وارشـد مـن ضليـــــل بعـــد الكـتــــاب المستبينــــــا

تحـف بــه المـلائــك حـين يــتـــلـى فـــينهى الذاكــرين الخــاشــعــينا

- وحاولوا توضيح مدلول اسم " التباع " ، فقالـــوا بأنـه التـابـع ، وتابع الطريقة

- سيــدي عبــد العزيـــز التابــــع اشــــرح صدورنــا بعلـــم نافــع

- ثـم التــبـــــاع تابع الطـريـقـــة جـــمــاع ســـر الحق والحــقـيــقــة

وبالفعـل سمي تباعـا لانـه اهم تابعـي الجزولي واخص تلامذتـه . فـاطلـق عليـه محمد الهاشمـي السـلاوي لـذلك اسم الـوارث (وارث الطريقة).

ووارثـه ابن عـــبـد الحق عـــبـــد الـــ ـــــعـــزيز امـــان روع الخــائفــينا

كـمـا انهم لم ينسـوا تلك العبـارة التي كـان الجزولي ينادي بهـا على تلميـذه وهـي

الكيميا " (48) ، ومعناها الشيء الباهر الذي لا نظير له ،

وبالكيميا العظيم القدر منصبه امام كل عظيم الشأن مبتهل

- واكثر ماقيل عن الغزواني من قبيل المعاني العامة ، فبالرغم من اهمية كتابه النقطة ، لم يكن متداولا لغموض عباراته ومعانيه ، وخصوصية موضوعاته خلافا للشفا او لدلائل الخيرات . . . .لذلك لم يتجاوز الحديث عن حي القصور الذي صار مشهورا لوجود قبره به ،

ومن به الفخر قد توانى واصبح الفخر " للقصور "

- اما مايميزالسهيلي فهو انتهاء الزيارة بضريحه ، لذلك نعته الشعراء بالخاتم قال ابن ادريس ،

وما السهيلي الا النجم قد ختمت به المقامات لما عز مرقاه

والسهيلي ينسب الى قرية سهيل قرب مالقة ، الا ان الشعراء وجدوا للكلمة دلالة اخرى ، فقالوا : السهيلي لانه يسهل قضاء الحاجات .فالتمس منه محمد بناني ذلك ،

وسابعهم وهو السهيلي من غدا اماما لمن ادار تسهيل حاجة

وقال محمد بن الهاشمي السلاوي ،

ويسهل يا سهيلي ما أعاني ويجري سابقي في السابقينا

وقال ابن ادريس ،

ويسهل ما تبغيه من كل مطلب بجاه السهيلي الرضي العالم الفرد

<u>ثانيا</u> ، التوسل : يعرف الفقهاء التوسل بانه الاقسام على الله بذاته، والسؤال بذاته . ويكون بتقوى الله والايمان بالرسول وطاعته . وذكروا صيغه وادعيته يكون التوجه فيها للخالق سبحانه .واجازوا تقديم اسم النبي في الدعاء والشفاعة كما كانوا يقدمونه في حياته(49) . فاذا كان بعض الشعراء يتوسلون بالرسول كما توسل به السلف ، كابن ادريس :

وسيلتي جاه خير الخلق اجمعهم محمد المصطفى من خير عدنان

والسرغيني:

---

(48) ممتع الاسماع 34 - 35 .

(49) التوسل والوسيلة لابن تيمية 170 .

بجـاه رســول الله خـيـر وسـيلة وســر الوجــود في العــصــور الخـوالي

فان باقي الشعراء يقدمون الاولياء شفعاء اليه ،

فــجــاهم ربي اليك وسـيلة فــفـرج همــومي كي تنال منالي

او يجمعون بين تقديمهم وتقديم الرسول صلى الله عليه وسلم

بجاههـم اسـأل الرضـــوان يشملني ممن تعالــى عــن الاعـراض والـعلـل

بـالمصـطفى وبـهـم كـل مـــؤتمن لله مــحـتـسب في الله مــحـتـمل

وفي مثل قـول محمد بناني المراكشي شرك صريح اذ يسال الله بأوليائه ،

ســألتك خــالقي بهم وبنبـيـنا باسـمـائك الحسنى تعـجل اوبتي

ويمكن تصنيف موضوعات التوسل - سواء ما ركز علـى الخالق والرسول أو على الاولياء - الى قسمين :

- قسم يتصل بالشاعر ويعالج همومه الذاتية ، طلب العفو والستر، قضاء الحاجة ، حسن الختام ، الامـن مـن الخوف ، ودفـع المصائب والكوارث . . وغير ذلك مما يعترض الانسان فـي حياته الخاصة والعامة . ونمثل له بقول السرغيني:

وخـذ بيـدي ربـي اليـك وحفنـي بستـر جميـل منـك يـا ذا الجـلال

وهـب لـي ثـباتـا فـي الحيـاة وبعدهـا بختـم بحسنـى يـا جـميـل الخـلال

حنانيـك فانشلني من الزيـغ واحمنـي من الضيـم يا حنـان نشـل سجـال

اســات وقـد عــفـوت فـضـلا ومنة فـتـمـم لنا عــفـوا بخـيـر منال

- وقسم يتصل بالجماعة التي تحيط بالشاعر وبمجتمعه والمسلمين على العموم ،

لانهم يعـانون ما يعانيـه ، فـالتمس لهم الحفظ والرعاية . ودعا الله ان يفرج كروبهم ، ويرخص اسعارهم ،

ونفــس كـروب المـسلمين وضيقهــم لـك الفضــل والاحســان يا متعــال

وارخـص لهم سعــرا وأمّـن لهم قـرى وأتمــم لهــم ســرا بــاصلاح بــال

وظـل البــلاد صنـه مـن كـل طـارق ومـن كـل طـار لا تـنـلـه بـحــال

الا ان اهم ما شغل الشاعر ، وخاصة بعد احتلال الفرنسيين للجزائر ، وبعد معركة اسلي ، وأخيرا بعد دخول النصارى الى المغرب ، هو أمن الوطن وحمايته ونصرة المسلمين على اعدائهم ، ورجاء الفتح والفرج .

يا رب هيء لنا من امرنا رشدا — وامكر بمن رامنا بالمكر والغيَل
وانصر على الكافر الباغي اثمبتنا — واقطع بعدلك منه موثق الحيل

وقال ابن ادريس :

بجاهك نرتجي نصرا وفتحا — وتمكينا وتوفيقا وصونا
وتيسيرا لاصلاح الرعايا — وارزاقا مبسرة ويمنا

وقد كان من الذين يحثون على الجهاد ، ويجمعون الناس له ، وقال محمد الهاشمي السلاوي :

وعم الربع بالالطاف واجبر — سفينتنا وكف الجائرينا
وعجل بالاغاثة منك وانصر — لمولانا امير المؤمنينا

وفي نصرة الامير نصرة للوطن والدين .

لم يكن الشاعر منطويا على نفسه ، وانما كان يعي مشاكل مجتمعه ومصائبه ، واذا كان عاجزا ، كباقي افراد المجتمع ، عن مواجهة هذه الكوارث لضخامتها ولانعدام كل اسباب المواجهة، فان في اللجوء الى الأولياء تنقيصا لهول المصاب، وتنفيسا لما تعانيه النفوس بسببه،وبحثا عن التوازن النفسي الذي يساعد على التحمل في انتظار فرج مرتقب.

3- الخاتمة: وتختم القصائد بالصلاة والسلام على النبي وآله واصحابه صلاة دائمة متوالية.

وصل وسلم دائما متواليا — على احمد المختار بحر الحقيقة
وآله والازواج طرا وصحبه — ومن يتبع المولى باحسن سيرة

وقد يستعمل الشاعر صيغا بلاغية للدلالة على الدوام والاستمرار كما في ادب الاذكار والتصليات، من مثل قول ابن ادريس في رجز له :

وان يصلي على محمد — وآله على مرور الابد
ما سجعت في ايكها الاطيار — وهمعت بويلها الامطار

ومع اختلاف صيغ الخاتمة فانها تنتهي الى دلالة متشابهة، ولا تتجاوز في كل الحالات ثلاثة الى اربعة ابيات .

III - الشعــــراء :

يختلفون من حيث تكوينهم العلمي ومرتبتهم الاجتماعية ومستواهم الشعري . . . الا انهم يلتقون عند الاهتمام بالتصوف والايمان بحركة الاولياء واهليتهم لتلبية رغبات المتوسلين بهم .

– فهم يمثلون العصر العلوي بكامله : بدءا باليوسي الذي ينسب اليه امر تجديد الزيارة وانتهاء بعباس بن ابراهيم وزيو المولى عبد الحفيظ، ومرورا بالمرغيثي والدقاق من عهد المولى اسماعيل، ومحمد المكي الناصري والسجلماسي من فترة حكم المولى عبد الله، وابن ادريس العمراوي ومحمد الغالي بن المكي، ومحمد المعطي السرغيني من عهود المولى سليمان ومولاي عبد الرحمن وابنه محمد . وينتمي باقي الشعراء الى فترة المولى الحسن وما بعده، وهم بنداوود محمد بناني، عبدالله الكنسوسي، ومحمد العربي الحاجي . . .

وبذلك فان الاهتمام باولياء مراكش ومدحهم والتقرب اليهم كان سائدا في ذهنية فئات من المجتمع المغربي منذ اعادة تنظيم الزيارة . ويمكن القول بانه مازال على هذه الحال الى الآن .

– واغلب ناظمي هذه القصائد من العلماء المؤلفين : فاليوسي اشهر من ان نعرف به، بتآليفه في مختلف ميادين العلم والمعرفة، والمرغيثي بتآليفه ومنظوماته في التوقيت والطب . ومحمد المكي الناصري رحالة له مؤلفات في الفقه والقراءات واللغه (50) . والحضيكي صاحب المناقب الذائعة الصيت والرحلة، وتآليف في التصوف (51). ومحمد الغالي بن المكي صاحب مؤلف في ظاهرة سبعة رجال . . . وبنداوود الشرقي هو مؤلف " الفتح الوهبي في مناقب الشيخ سيدي العربي" ولعباس بن ابراهيم مؤرخ مراكش مؤلفات عديدة اشهرها اظهار الكمال والاعلام . . .

---

(50) ذكرها باسمائها وارقامها في الخزانات عبد العزيز بنعبد الله في الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية 3/107 – 108 .

(51) له مجموع في فوائد الصلاة على النبي، ومجموع في اصول الطريقة الصوفية وحاشية على الشفا، وشرح الغنيمة لابن ناصر شيخ الطريقة

ولانجد من الشعراء اصحاب الدواوين الا اليوسي (52)، وله دالية طويلة في مدح شيخه محمد بن ناصر شيخ الطريقة الناصرية (53) . وابن ادريس الشاعر الرسمي للمولى عبد الرحمن، وصاحب ديوان متنوع الاغراض والمضامين يحتل التصوف ومدح الاولياء قسطا كبيرا منه (54) .

ومن الذين عرفوا بالشعر دون ان يخلفوا دواوين نذكر :

- **السجلماسي** ، له قصائد طويلة في التوسل والنصائح والحكم بعضها مطبوع (55)،
- **بنداوود الشرقي** كانت له مساجلات شعرية مع ابن المواز كاتب السلطان مولاي الحسن . كما كان من المهتمين بالادب الشعبي ألملحون والمساهمين فيه (56) ،
- **محمد الامين الصحراوي**، جمع الكثير من شعره في كتابية " مقدمة الارتجال والمجد الطارف والتالد " (57) .
- **عباس بن ابراهيم**، تناهز اشعاره المتبثة في مؤلفيْه اظهار الكمال والاعلام الالف ومائتي بيت .

وينعكس هذا على المستوى الفني للقصائد، اذ لابد من وجود تمايز . بين شعر الفقهاء والمؤلفين، والشعر الصادر عن شعراء لهم دربة وممارسة وعلى عدد النصوص التي قيلت على وجه العموم . الا انه من الصعب ان نسوق رأيا جازما في الموضوع لاننا لا نقوم باستقصاء كل النصوص، وانما اعتمدنا نماذج متنوعة مما وصلت اليه ايدينا .

---

(52) حققه عبد الحميد منيف، وتقدم به لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالجزائر سنة 1971 .

(53) عارض بها دالية البوصيري في مدح الشاذلي والمرسي . طبعت مع شرحها في مصر سنة 1291 هـ و 1629 هـ.

(54) توجد منه عدة نسخ مخطوطة في خ . ع . ر ، وفي الخزانات الخاصة . حققه شهيد التهامي، وتقدم به لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط في يونيه 1985، تحت اشراف د . عباس الجراري .

(55) انظر ترجمته في الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية 3/ 107 - 108 .

(56) اظهار الكمال 188 - 189، والاعلام 9/29 - 32 .

(57) انظر الفصل الثالث من الكتاب الثالث من هذه الاطروحة .

ومع ذلك يبدو واضحا اهتمام ابن ادريس بهذا الموضوع من خلال تعدد النصوص التي قالها فيه بالنظر الى باقي الشعراء . ويتجلى لنا ذلك من خلال القصائد المعتمدة في هذه الدراسة :

الشعـــراء	المحور الاول	المحور الثاني	المحـــور الثالـــث						المجموع
			عياض	السبتي	الجزولي	التباع	الغزواني	السهيلي	
ابن ادريس	6	1	4	8	1	1	1		22
اليوســـي	1	1							2
الكنسوسي			2						2
ابن الحكيـم				2					2
مجهولـــون	1		3	1	4				9
باقي الشعراء	لكل واحد منهم قصيدة في محور من المحاور .								

وينتمي هؤلاء الشعراء الى مناطق ومدن مختلفة كفاس ومراكش وسجلماسة، ودرعة وتادلة . الا ان اغلبهم من الجنوب : سوس .

والتقاؤهم جميعا في نفس المدينة، وعلى نفس الموضوع دليل على ان العاصمة مراكش كانت مركز اشعاع علمي وديني خلال فترات من العصر العلوي .

كما انهم يختلفون من حيث مستوياتهم الاجتماعية : فمنهم من وصل اعلى المراتب الادارية والسياسية كابن ادريس الكاتب ثم الوزير . واليوسي الذي كان يجالس المولى الرشيد ويعظ المولى اسماعيل ويوجه اليه النصيحة . ومنهم من تقلد مناصب القضاء مثل محمد بن العربي الحاجي، وعباس بن ابراهيم . الا ان اغلبهم من عامة الفقهاء والعلماء الذين تصدروا للرتبة والتدريس والتأليف .

فمدح الاولياء والتوسل بهم لم يكن خاصا بطبقة دون اخرى، بل شغل الجميع من الوزراء الى عامة الشعب . ولـــم تكن الثقافة الدينية او العلميـــة (الطب التوقيت . . .) لتقي اصحابها من

التوسل والايمان ببركة الاولياء .

وهكذا فان ما يجمع هؤلاء الشعراء على اختلاف فئاتهم وتنوع مشاربهم هو اهتمامهم بالتصوف :

- فالمرغيثي من مريدي الشيخ ابي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني (58) .ومن تلامذة الزاوية الدلائية . وقد صافح اليوسي عن شيخه المذكور . وقال عنه القادري (كانت له محبة كاملة في آل البيت) (59) .

- اما اليوسي فمن المهتمين بالتصوف والطريقة تأليفا وتدريسا وممارسة له عدة رسائل في التصوف والتربية والتلقين والمشيخة (60) . ويقدم في كتابه المحاضرات صورة لما كانت عليه الحياة الصوفية في المغرب خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري .

وقد اخذ عهد الشاذلية على شيخه محمد بن ناصر ، ودرس عليه " احياء علوم الدين " واذن له بتلقين الاوراد نيابة عنه، فكان يلقنها في حياته (61). وبالرغم من انه كان كثير الزيارة لقبور الصالحين (62)، وانه قام باعادة تنظيم زيارة سبعة رجال، فانه كان يلح في تصوفه على تصحيح العقيدة واقامة التكاليف الشرعية مع الاجتهاد في جعلها تتسم بالاخلاص والصدق والبعد عن الرياء . فحمل على مدعي التصوف والمشعوذين الذين تزايد عددهم في مجتمعه مفرقابين الفقراء الذين يقصدون بصحبة الصالحين والبحث عن الشيوخ الدار الآخرة، واولئك الذين يهدفون الى جمع المال او فتح الزوايا واظهار الكرمات (63) . . . كما فرق بين الذين يزورون قبور الصالحين اعتقادا بان اصحابها يعطون ويمنعون، وبين الذين يعتقدون انهم من عباد الله تعالى، ان شاء قبل

(58) انظر ترجمته في الصفوة ص 3 .
(59) النشر 37/2 ، والسعادة الابدية 136/1 .
(60) انظر رسائل اليوسي لفاطمة خليل، طـ . دار الثقافة (رسائله الصوفية)
(61) الصفوة 209 .
(62) اشار في محاضراته الى زيارته المتعددة لاولياء كابن مشيش ومولاي بوسلهام . . . انظر الصفوة 209 .
(63) الرسالة النصيحة، من رسائل اليوسي 359/2 .

دعاءهم ، وان شاء رده . وان الامر لله من قبل ومن بعد (64) .

ولم يكن المولى اسماعيل يحمد له ميله الى التصوف . فكان يقول له متقززا (واردت ان تدنس العلم بتفقرت)، فيرد عليه بـان للشريعــة ظاهـــرا (للفقهـاء) وباطنـا (للصوفية) يكمل احدهما الآخر فمن تفقـه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقـه فقد تـــزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقـق (65).

وكان محـمد المكي الناصري من انشط مريدي الطريقة الناصرية ، اهتم بجمع تراجم الصوفية في كتابه " الدرر المرصعة " وفي رحلته " الرياحين الوردية " حديث عن الذين زارهم او تحدث اليهم، وقصائد في مدحهم . وله كذلك شرح على قصيدة في مدح احمد بن ناصر الدرعي(66) .

ويعتبر الشاعر محمد الدقاق الدغمي من شيوخ التصوف في القرن الثاني عشر . ينتمي الى الطريقة الناصرية وشيخه فيها هو محمد بن ناصر الدرعي . دفعه حبه لله ورسوله الى المجاورة بالمدينة المنورة التي توفي بها (67) .

ومن الناصريين كذلك الشاعر الفقيه محمد بن المعطي السرغيني، فقد اخذ عن جده لامه عـباس بن علي السرغيني الفطناسي الذي لقي صاحب الذخيرة، ولقي والده المذكور علي الشيخ احمد بن ناصر، وتحدث عن شيوخه في التصوف، وعن الصوفية الذين لقيهم اوزارهم في فهرست "حديقة الازهار في ذكر معتمدي من الاخيار" (68) .

ومن شيوخها كذلك العربي بنداوود ، اخذ الطريقة عن والده وكان متقشفا متواضعا ، الف كتابه " الفتح الوهبي في مناقب الشيخ سيدي العربي " ابن المعطي الشرقي وفيه اهتمام بالتصوف في عصره وخاصة اعلام تادلا وشيوخ الزاوية الشرقاوية .

---

(64) رسالة الى المقدمين، رسائل اليوسي 397/2 .
(65) رسائل اليوسي 191/1 ، والصوفية للخريصي 98 .
(66) الاعلام 65/6 – 71 .
(67) الاعلام 60/6 – 61 .
(68) م . خ . بمراكش .

وعلى العموم كانت الدراسات الصوفية منتشرة في العصر العلوي، فحتى الشعراء المشاهير كانوا من دارسيه . فقد اخذه ابن ادريس مثلا عن عمرو العمراوي، وعن عبد القادر العلمي (سيدي قدور) .

وكان اكنسوس شيخ فرع من فروع الطريقة التيجانية وله مساجلات صوفية ودينية مع عدد من العلماء وشيوخ الطرق الاخرى : كالعربي المشرقي، احمد البكاي، وكان ابو سالم العياشي من شيوخ الطريقة الحمزاوية العياشية (69) .

وكان ادب العصر عامة مطبوعا بالطابع الصوفي شعرا ونثرا وتأليفا :

- فقد صنف عدد من الرحلات الحجازية، ومن موضوعاتها : شيوخ الطريقة والمريدين والصوفية والامداح النبوية .

- كتب الطبقات والتراجم عند اليفرني ومحمد المهدي الفاسي، ومحمد بن الطيب القادري، ومحمد الامين الصحراوي، ومحمد الغالي بن المكي وعباس بن ابراهيم . . . وتغلب عليها موضوعات التصوف وتراجم الصوفية .

- وتعددت مجموعات الاذكار والاوراد والتصليات . تاتي على راسها موسوعة " ذخيرة المحتاج في صاحب اللواء والتاج " في ستين جزءا لمحمد المعطي بن محمد الشرقي (70) . ثم احزاب وادعية محمد بن ناصر الدرعي ومؤلفاته الصوفية (71)، واشهرها " غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب " . وادعية ابنه احمد بن محمد بن ناصر .

وقد الف في ادب التصليات خلال هذا العصر ما يصعب ضبطه وتتبعه مما كان متاثرا بدلائل الخيرات او غنيمة العبد المنيب او ذخيرة المحتاج (72) .

---

(69) الحياة الادبية لمحمد الاخضر ص 89 - 101 .

(70) كثير التداول ، توجد اجزاؤه في مختلف المكتبات العامة والخاصة وتعتبر نسخ خ . ح . من اجودها .

(71) الحياة الادبية لمحمد الاخضر 88 .

(72) تتبع الاستاذ محمد المنوني ذلك في مقالته، مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية . دعوة الحق ، ماي 1977 .

ويمكن رد هذا الا شعاع العلمي الصوفي الى :

- بعض الازمات والنكبات السياسية والعسكرية (اضطرابات مابعد وفاة المولى اسماعيل، وفترة المولى سليمان وما بعدها بقليل، وهزيمة ايسلي، دخول النصارى للجزائر . .) التي ادخلت اليأس الى النفوس وجعلت الناس يعودُون الى انفسهم والى خالقهم ويدعون الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحثون على الجهاد والطاعة .

- ما اصبح للصوفية من مكانة في المجتمع، وما اصبحوا ينهضون به من ادوار سياسية، فقد تقوت الطرق التي كانت موجودة من قبل كالطريقة الجزولية، فعددت فروعها وقنواتها، وانتشرت في مختلف انحاء المغرب وظهرت طرق اخرى اخذت مكانتها بين باقي الطرق كالناصرية التي عرفت اوجها على يد احمد بن محمد بن ناصر، والشرقاوية والدرقاوية والتيجانية والكتانية وغيرها من الطرق التي عرفت النور في هذا العصر لاسباب سياسية في الغالب .

فلا عجب - مع هذا الاهتمام - اذا ظهر غلاة مبتدعون او مشعوذون ينحرفون بالتصوف عن غاياته التربوية الاصلاحية، ويسخرونه لاغراض دنيوية محضة . ولعل ظهور المصلحين والمنتقدين والسلفيين مظهر من مظاهر الازمة التي كان يعرفها التصوف في هذا العصر .

ويمكن ان نمثل لذلك بالرسائل الاصلاحية الصادرة عن السلاطين محمد بن عبد الله، والمولى سليمان، والمولى عبد الرحمن والتي كانت تسعى الى جانب ذلك الى اصلاح التعليم وتقويمه ليدعم هذا المنحى السلفي الاصلاحي . واهتم بعض المؤرخين والمثقفين عموما بقضية الاصلاح هاته . فوضع ابو القاسم الزياني ارجوزته في البدع المستحدثة : " الدرر السنية الفائقة في كشف مذاهب اهل البدع من الروافض والخوارج والمعتزلة والزنادقة " و " كشف الاسرار في الرد على اهل البدع الاشرار " كما كتبت عشرات الرسائل والمنظومات والمؤلفات في هذه الموضوعات (73) .

IV-الخصـــائـــص

من الطبيعي ان ينتج عن هذه الاختلافات في المستوى العلمي والاجتماعي والادبي بين الشعراء، اختلاف في المستوى الفني للقصائد التي وصلتنا. ولما كان اغلب ناظميها من

(73) وردت اسماء عدد من هذه المؤلفات في كتاب الحياة الادبية 398 . . .

العلماء والفقهاء الذين لم يعتادوا قول الشعر ولم يتمرسوا به، وربما لم تكن لهم الموهبة والطبع اللازمان لذلك، وانما دفعهم حبهم للصالحين ورغبتهم في التخلص من ذنوبهم والتماس العفو والتوبة الى نظم ما نظموه .

فجاء هذا النظم تقريريامباشرا خاليا من الصور الشعرية المعبرة التي تجعل القارئ يكتشف المعنى ويتذوقه من خلال الصورة المسبوك فيها . والمعاني المتداولة فيه متقاربة تدور حول طلب حماية الاولياء وحسن جوارهم وعطفهم وعطائهم، والاستغاثة بهم مما يعانيه من احزان واهوال، وتكاد ان تكون كل الاشعار المعتمدة في الدراسة من هذا النوع . قال محمد الهاشمي السلاوي في مدح الغزواني والتوسل به :

فبالغزواني الشهم اطلب ما تشاء والله خير الرازقينا
فنفس عن عليل بل كئيب تكنف جسمه داء دفينا

الى ان يقول :

أجرني واحمني من كل شر وضر، يا ضرير المعتدينا
رجوتك والكريم له وفاء بحق السائلينا الراغبينا

دعوة مباشرة الى ان نطلب من المولى ما نشاء، مع احالة قرآنية (والله خير الرازقين) ، ثم توسل اليه ان يداوي علته وداءه وينفس عن كربته وكآبته، ويجيره ويحميه من كل شر . كل هذا باسلوب تقريري مباشر . وختم الابيات بصيغة من الصيغ المتداولة في الادعية ومعجم الاستجداء (بحق السائل الراغب) . .

وقال الشاعر في نفس القصيدة عندما تحدث عن السهيلي ،

ويسهل يا سهيلي ما أعاني ويجري سابقي في السابقينا

فجانس بين فعل سهل واسم السهيلي، واغلب الشعراء يركبون هذا التجنيس، الا انه اثقله بتكرار " سابق والسابقينا "، مع تنافر واضح بين معنى الشطر الاول والشطر الثاني ، وقد يتعدى الامر مجرد الثقل والتنافر الى استعمال اسلوب لا علاقة له بسحر الشعر وبلاغته، وانما هو الى اسلوب التخاطب الشفوي اليومي اقرب، كما هو الحال في اغلب ابيات بنداوود الشرقي، وفي مثل قوله في آخر القصيدة المذكورة :

والله يختم الامور بخير للجميع ويذهب الاهوالا

فالشطر الاول تكرار لصيغة كثيرة التداول بين النـاس (الله يختم بخيـر) . ولم يسلم بعض الشعراء المبرزين من مثل هذه الهنات التعبيرية، وهذا الاسلوب التقريري، كقول ابن ادريس في ارجوزته :

واسأل اللـــه بهـم ان يجمعـا شملي مع الاخوان والاهـل معـا
وقـــرة العين في البنينا والمال والاهـل ومن يلينا

فقد طلب جمع الشمل مع الاهل والاخوان، واحال الى الآية القرآنية (والذين يقولون ربنا هبنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين . . .) (74)

وقريب منه قوله كذلك ،

عهدتك في الشدائد لي مغيثا وغوثـا ناصرا بين الانـام
معـاذ الله تسلمني لحظ وانت الفارس البطل المحامي

فبالاضافة الى الخطاب المباشر الموجه للولي،، والذي نعته فيه بالمغيث والناصر والغوث - ولعله لايقصد به المصطلح الصوفي الذي يطلق على اعلى مراتب الولاية وانما مدلوله اللفظي اي المغيث - نلاحظ تنافرا بين معنى البيتين : فمعنى البيت الاول مناسب لمخاطبة الولى الميت، بخلاف معنى البيت الثاني المناسب بعبارته : الفارس، البطل، المحامي، لمخاطبة الحي .

ولم يخل شعر ابن ادريس من تحسينات بلاغية، فقد نهج سبيل بعض شعراء الصنعة في جمع اكبر عدد من الافعال في البيت الواحد :

فـاقْبَل وذُد وادفع ودافع واعتن واعطف ووال المكْرُمـات رواس

وهي افعال تفيد الاستعطاف والتوسل، كرر اغلبها في قصيدة اخرى :

فـــراع واعتن وادفع ودافع ووال المكرمـات وجـد وحـام

الا انها لاتؤدي الغرض المنوط بها في اطار قصيدة ذات اسلوب تقريري اقرب الى التعبير الشفوي المتداول ،

ويمكن ان نستثني كذلك بعض الابيات القليلة كقوله في مدح اولياء مراكش واستعطافهم

(74) سورة الفرقان، آية 74 .

وهم ألبسوني حلة المجد والرضا	وهم رفعوا قدري الى دارة السعد
حللت حماهم خائفا مترقبا	فجادوا وعادوا بالعناية والوجد
هم يكرمون الجار ما دام بينهم	وتتبعه الامداد موفورة الرفد

ففي الابيات نفس الشعر الاصيل : استعارة ألبسوني حلة المجد والرضا، ورفع القدر الى دارة السعد . . . وفيها الاحالة القرآنية الى قوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب) (75.) .

لقد صادف الشاعر نجاحا اكبر في بعض مطالع قصائده التوسلية المدحية، وخاصة في مطلع داليته التي قالها في مدح ابي العباس السبتي :

تبسم في وجه الرجاء سعودي	واورق في ارض المسرة عودي
وقابلني دهري ببشر ورحمة	وانجز من بعد المطال وعودي
وعاد باحسان الي ومنة	وقال لايامي المليحة عودي
ووافت بالحان التهاني بشائر	تفوق حلي طار ونغمة عود
وذلك لما ان قصدت حمى الذي	تناهى ثناء في علا وصعود

وهي نموذج لتوظيف الصور المجازية الايحائية التي تجعل عملية القراءة عملية استكشاف وتذوق : تبسم السعد في وجه الرجاء، والعود الذي يورق في ارض السرور، والدهر الذي يقابل بالبشر والرحمة . . .

ويحسن التخلص في البيت الاخير من المقدمة الى الموضوع فيجعل هذا كله متحققا عندما يقصد حمى الولي ابي العباس .

ويزيد هذا التجسيد ايحاء المجانسة الموجودة بين قوافي الابيات الاربعة الاولى (عود جمع اعواد / ووعود من وعد / وعودي من عاد / وعود آلة الطرب) وذلك في انسجام وتآلف معنوي .

هذا الاسلوب ينسينا ما سبق ان لا حظناه من نظم مباشر لمعاني التوسل والمدح، الا انه لا يلبث بعد هذه المقدمة الشاعرية ان يعود الى مثل هذا الاسلوب النظمي المذكور .

(75) سورة القصص، آية 21 .

ولعلنا ان نستنتج من هذا ان الشاعر يجد حرية اكثر في المطلع لتسخير موهبته الشعرية بتوظيف مثل هذه الصور الشعرية المعبرة، بينما يجد نفسه في حالة المدح والتوسل امام موقف جليل ، ومشاعر جياشة وحزن وكآبة باديتين، فلا يسعه الا ان يسجل ذلك بما يخطر في ذهنه وما يصدر على لسانه من معان مباشرة حقيقية مجردة من كل ايحاء وتضمين ، فتاتي اقرب الى التعبير الشفوي الوصفي، منه الى التعبير الايحائي الشعري .

ويمكن التمييز بين نوعين من القصائد المدحية التوسلية :

- ما قيل في بحور الشعر عامة كالطويل والبسيط والوافر . . . ويعتمد فيها على القافية الموحدة من اول النص الى آخره .

- ما قيل في بحر الرجز خاصة، تتغير فيها القافية من بيت الى آخر كاراجيزا ابن ادريس، ومحمد الغالي، والحضيكي . وعادة ما يعطي تغيير القافية نفسا اطول للشاعر، فتطول القصيدة حتى تتجاوز المائتي بيت احيانا . وهناك قصائد طويلة من اعتمادها القافية الموحدة كقصيدة احمد الرباطي وقصيدة عباس بن ابراهيم .

ويرتبط طول القصائد وقصرها ليس فقط بتجربة الشاعر ومعاناته، ولكن بمدى قصر او طول لائحة الشيوخ والاولياء المذكورين . فهناك ما هو خاص بولي واحد، او بسبعة رجال او بأولياء المغرب والمشرق عامة .ويعطينا هذا الجدول تصورا لما اتت عليه هذه القصائد من حيث حجمها .

حجم القصيدة	سبعة رجال	عامة الاولياء	عياض	السبتي	الجزولي	التباع	الغزواني	السهيلي	المجموع
اقل من10 ابيات	2	1	5	5	4			2	17
بين 10و20 بيتا	9			1		1	2	1	12
بين 21و50 بيتا	3	3	6	7					23
بين 51و100بيتا	1				1				2
اكثر من100بيتا	1	2							3
مجموع	16	6	11	13	5	1	2	3	57

وتشتمل هذه القصائد على معجم غني ومتنوع يعكس كل الموضوعات التي تناولها الشعراء :

- يمكن استخلاص معجم او ببليوغرافيا خاصة باولياء مراكش مرتبين . في بعض النصوص - ترتيب الزيارة .

- ويرتبط به معجمان آخران : الاول ، معجم باسماء الاحياء والدروب والازقة وابواب المدينة التي توجد بها اضرحة ومقابر الاولياء ،

والثاني، خاص بصفات الاولياء واوصافهم، منها ماهو عام، وماهو خاص

- معجم خاص بعناوين كتب الطبقات والمؤلفات الصوفية، ونمثل لهذا النوع بقول ابن ادريس :

- في فضله اطنب المقري مدحته	ازهاره نفحت بطيب معطار
- وللتصدق كل الشرع يرجعه	وفي التشوف فيه حسن آثار
- وامتع السمع منك في فضائه	بالممتع الفرد في ورد واصدار
- وفي التشوف قد ابدى فضائله	عليه رحمة ربي صب مدرار

- معجم خاص بالتوسل شبيه بالمعجم الذي وجدناه في توسل عياض والسهيلي وغيرهم من الشعراء المعتمدين في الدراسة . ويمكن تصنيفه كالسابق الى:

أ) معجم ماهو كائن، الذنب، الاساءة، الخطأ، الندم، الظلم، الضلال. .

ب) ومعجم ما يؤمل ان يكن، وهو الغالب ، وفيه حديث عن العفو والرحمة، والرجاء، والصلاح، والامن، وبلوغ المنى، والهداية، والرشد، وجبر الكسر، والرحمة، وطلب الجوار، والحماية والاغاثة . . .

وبما ان الغرض من القصائد هو التوسل والاستعطاف وطلب التوسط لدى الخالق ليغفر ذنب الشاعر ويصفح عنه، فان معجم التوسل هو السائد، ويكاد يطغى على باقي المعجمات .

اما معجم التصوف الفلسفي وموضوعاته : وحدة الوجود، الاتحاد، الحلول . . . فغائب غيابا مطلقا. نستثني من ذلك مقطعا من قصيدة لابن ادريس في مدح الجزولي ورد فيها ذكر كؤوس المحبة التي تحتسى وتدار على الصحب والخلان فتصفو بها افئدتهم وارواحهم، ويحلقون في عالم علوي روحاني بعيد عن اسر هذا العالم ومادته وهي الخمرة التي شرب منها - في اعتقاده - الحسن البصري (خمرة التصوف) فرفعت قدره واعلت من شانه .

قد احتسى من كـؤوس الحب مترعهـــــــا	حتـى ادار علـى صحـــــب وخـــــلان
راح تـــــروح بها الارواح طيبـــــــــة	اذا احتستهــــا على روح وريحــــــان
من ذاقها ترك الدنيـــــا وزخرفهـــــــا	وصار في العالم العلوي روحـاني (كذا)
خـمـر بهــا الحسن البـصـري خـامـره	وجـد، فـاضـحى عظيم القـدر والشـأن

وخلاصة القول، لقد اثر التصوف بكافة ظواهره وانواعه في المجتمع المغربي على وجه العموم بكل فئاته وشرائحه، تجلى ذلك في الممارسات والمواقف الصادرة عنها، وفي التراث العلمي الذي وصلنا . ويعتبر الشعر رافدا مهما من روافده .

لقد عكس لنا هذا الشعر مدى عمق واستمرارية هذا التأثير واختلاف نوعيته من شاعر الى آخر، وذلك بحسب ثقافة هذ الشاعر والفئة الاجتماعية التي ينتمي اليها، والشروط التي عاش في ظلها مما اعطاه صبغة التنوع والتلقائية والصدق . وقد تبين لنا ذلك من خلال رصد جانب من جوانب الظاهرة الصوفية العامة، وهو تيار سبعة رجال .

ان الخصائص العامة للشعر المدحي التوسلي السائر في منحى هذا التيار هي جزء من خصائص شعر العصر العلوي عموما لاننا نجد من اهم شعرائه امثال اليوسي، وابن ادريس، ومحمد الامين الصحراوي ... وهم من ابرز شعراء العصر على وجه العموم .

وبذلك فان في دراسة هذا الشعر اسهاما في التعرف الى خصائص الشعر العلوي عامة .

المبحث الثاني - الشعر الشعبي

يعبر التراث الشعبي من مقومات الشخصية المغربية . ويصور معاناة الطبقات الشعبية واهدافها وطموحاتها . وينعكس ذلك في كافة فنون التراث الشعبي واغراضه : من شعر وحكايات . . . فهو باختصار تاريخ الشعب .

ان ظاهرة احترام الاولياء وتقديسهم كانت - ولا تزال - من اهم القضايا التي شغلت الانسان العامي البسيط واستحودت على فكره :

- لانها تجسيد عملي لعبادة الله وما جاء به رسوله، وما كان عليه السلف الصالح .

- لانها الملجأ الوحيد الذي يلجأ اليه للاحتماء من جور الحاكم وظلمه، او دفع الكوارث الطبيعية ودرء المرض وتنريج الكرب . . . .فقد رسخ في الاذهان ان لله اولياء لايرد دعاؤهم، ولهم من الكرامات والقدرات ما يخولهم حماية المستجير بهم ودفع المكروه عنه .

اذا كانت هذه الآراء والمعتقدات قد تسربت الى اذهان بعض الفقهاء والشعراء من ذوي الثقافة العليا والايمان الراسخ - وقد وقفنا على نماذج منها في المبحث السابق - فمن الطبيعي ان نجدها اكثر رسوخا وبروزا في آداب الطبقات الشعبية التي لم يتح لها ان تتسلح بالعلم الصحيح الذي سيترفع بها عن هذه المعتقدات التي قد تصل احيانا الى حد الشرك بالله .

واعتبارا لهذا الدور الاجتماعي والنفسي الذي نهض به الصوفية والطرقيون والاولياء، فان التراث الشعبي زاخر بمدحهم والتوسل بهم سواء في ذلك الشعر او الاغاني او الحكايات . . . .

وحتى تكتمل لدينا صورة تأثير ظاهرة سبعة رجال في الشعر عامة، وبعدما درسنا هذا التأثير على مستوى الشعر المدرسي، سنرصده في هذا المبحث من خلال فنين من فنون التراث الشعبي التي لها الصدارة في مراكش .

- الشعر الشعبي الملحون .

- الدقة المراكشية .

المطلب الاول - الملحون

من اهم الموضوعات التي تناولها الشاعر الشعبي مدح الرسول والاشادة بمولده ورضاعه وشبابه وبعثته وغزواته وشمائله، والشوق الى زيارة المقام المقدس . كما اهتم بمدح آل البيت : فاطمة وعلي والحسن والحسين، والصحابة وكبار الاولياء والصوفية بالمشرق والمغرب .

واطلقت اسماء على هذه القصائد المدحية التوسلية (كالادريسيات) في المولى ادريس (والجيلاليات) في عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة القادرية (والمشيشيات) في المولى عبد السلام بن مشيش .

وسموا القصائد التي قيلت في جماعة من الاولياء " بالجمهور " والقصائد المنظمة للرحلة لزيارتهم " بالمرحول " . وهذا يبين مدى عناية الشاعر الشعبي، ومن خلاله الطبقات الشعبية بموضوع التوسل بالاولياء (76) . ويدخل في هذا الاطار مدح الشعراء لسبعة رجال مراكش وتوسلهم بهم فرادى وجماعة .

-المحـــــــاور:

يمكن التميز بين ثلاثة محاور تناول فيها الشاعر الشعبي موضوع التوسل باولياء مراكش :

- المحور الاول، قصائد قيلت في سبعة رجال مراكش مدحا وتوسلا :

نذكر منها قصائد : الجيلالي امتيرد (77)، والشاوي (78)،

(76) تناول . عباس الجراري هذا الموضوع بتفصيل في اطروحته " القصيدة " وخصص له الفصل الرابع من الباب الثاني من ص 451 الى 530 .

(77) حربتها : اللي اخفاه الصلاح ايجي لبلادنا
ايقصد ناس مدينة لحضر مراكش ، رجالها سبوعا
ويعد ترابها كل قدم بفقير

(78) حربتها :
ضيف ربي لحماكم جيت هارب اوجيل صارحوني برضاكم ياهل لفضايل

واحمد بن عاشر (79) وعباس بن بوستة (80) ومحمد بن عمر المراكشي (81) واحمد المغراوي (82) والطالب الحسين (83) ومحمد بن ابراهيم (84) . ولابن عمر المراكشي " مرسول " يحمله رسالة الى المقام النبوي بعدما يمر باولياء المدينة، واولياء المغرب عامة ويتوسل بهم الى الله عسى ان يغفر ذنوبه (85) .

تضاف الى قصائد هؤلاء الاعلام عروبيات قيلت في الموضوع (86) .

---

(79) حربة قصيدته :

ياهل البهجا الحمرا سيوفكم بتارا — مال سيفي ما بين سيوفكم قاصر

(80) حربتها :

قاصد الله وفكاكين من اوحل — لاين هما ناس الفضل سبعتو رجال

(81) له قصيدتان في الموضوع، حربة الاولى ،

المت لفضال سبعتو رجال — لِغتا لله جبروا حالي

وحربة الثانية :

ياهل البهجا الحمرا سرحوا عكَّالي — يا قدوات لكمال سبعتو رجال

(82) حربة قصيدته :

شايف ماصبت امراح — انزور الولي قطب الفلاح

مول الحضر مول السلاح — ساكن زرهون سيدي علي

(83) حربة قصيدته :

ليغاثا يا لفضالي — يا ناس البهجا البدور سبعتو رجال

(84) حربة قصيدته :

يا هل بهجة لتون ضيف ربي طالب — في حرمكم يتجبر الحال

(85) حربة هذه القصيدة :

أولد الحمام اديلي عنواني — للصادق المصدق رسول الله

(86) منها عروبي مطلعه :

أسبعتو رجال جيت طالب ضيف الله — قاصدكم بالجميع جملا غيثوني

- **المحور الثاني، جمهور الاولياء** : يمدح فيه الشاعر الاولياء عموما محاولا ذكر اكبر عدد ممكن منهم . وقد يكون الجمهور خاصا باولياء مدينة معينة، او باولياء المغرب عموما او اولياء الاسلام على وجه الاطلاق في المشرق والمغرب. ويتميز هذا الشعر بطول النفس فقد ناهزت بعض الجماهير خمسمائة بيت .

وقصـــائد الجمهور كثيـــــرة . من ابـــرز الـــذين نظموهـــا : احمد المخنـــت الفرجـــي الدكالـــــي (87)، سيدي قـدور العلمي(88)، والزفري(89)، واحمد امريفـق(90) .

المحور الثالث ، المدح الفردي لسبعة رجال : هناك من خصص قصائده لواحد من سبعة رجال مادحا متوسلا ومبرزا مكانة الولي بين اولياء المدينة عموما، وملتمسا نواله وفضله . وتسمى هذه القصائد باسم الولي الذي قيلت فيه . وكان للشيخ ابي العباس حظ وافر منها :

- **العباسيات** ، يرجع اهتمام الشعراء بالسبتي الى كونه عمدة اولياء المدينة وتاجها وسلطانها كما يسمونه . وحاميها الاول، كما ان مذهبه الخاص في الصدقة ودعوته الى الاهتمام بالفقراء والمعوزين، والاحباس المخصصة فيما بعد ذلك، اعطته شعبية كبيرة واحتراما وتقديرا من طرف الطبقات الشعبية . ونسبوا هذه القصائد الى كنيته (ابي العباس / التي اشتهر بها عند العامة، سيدي بلعباس) اما اسمه فهو احمد بن جعفر .

---

(87) اول جمهوره :

تحصنـــــت يـــــا كريــــم هنـــا اسمـــــك عظيـــــم
مـن الشـــــيطـان الرجـــــيم لايفـــــتني عـن شـــــغلي

ذكر فيه صلحاء المشرق والمغرب منهم سبعة رجال .

(88) حربة جمهوره :

يا من يشفي اضرار عبد وبعد السقم ويفرج من اقوات فالصدر احزانو

وهو في 42 قسما . ذكر في قسم منها سبعة رجال مراكش، وختم الحديث عنه بقوله (لاَه الله يا رجال حضرة مراكش)

(89) ذكره محمد الفاسي في مقالته موضوعات الملحون، المناهل 25 . ص 36 .

(90) حربة جمهوره :

صونو احمايت المغرب ايغاثت النصر ياهل حزب الله راه ضاق الحـال

خص فيه سبعة رجال بعدة اقسام .

من العباسيات المشهورة : عباسية احمد امريفق (91)، ومحمد البوعمري (92) والتركماني(93)، والحسن بن الوليد (94)، ومحمد بن عمر الملحوني (95) .

- **الجزوليات** : وهي القصائد التي قيلت في الجزولي محمد بن سليمان المعروف عند العامة " بمول الدليل " . منها جزولية لحمر (96)، وادريس لحنش (97)، والبشير الشباني (98)، وعروبي في مدح الجزولي (99) .

---

(91) حربتها ،

يا سيدي بلعباس يا لغوث عظيم البرهان يا لفايض لعناصر
بالله عليك اقسمت اكرمني بمواهب لسرار .

(92) حربتها :

ليغاثا لله غث من بك استرحم ولا تواخذو سيدي بلعباس
مثلك حق الجار مانسى من بحر انداك تلق قوتي ولباسي

(93)

جيت زاوگ فحرمك يا الشيخ جبر تهراسي آ السبتي مول باب الخميس سيدي بلعباس

(94) حربة قصيدته :

صان البهجا ربنا الباقي بوجود اقطاب والمجد سيدي بلعباس
وكرمها بالعز والمطر وفرحت هل الثنا ضراغم الحمية

(95) - حربتها :

انا فعارك يا سيدي بلعباس عني اتجود يا سلطاني

(96) حربتها

غار يادار الجود والعنايا غنام الزايرين سيد الجزولي
أمولاي محمد روح ذاتي مول الدليل

(97) من هذه القصيدة ،

عطفا اريا الجزولي مولاي بنسليمان بحر لكمال
عطفا اويا يمام الغربا العبد جا لعندك يشرب

(98) حربة قصيدته :

ضيف ربي الفضيل بنسليمان الهمام الجزولي سيدي محمد

(99) اول هذا العروبي ،

والله ماقصدت ذا البدر الشعشاع الا حتى انديت ذا الصاعب يهوان
ردمته : مول الدليل ذا الفضيل بنسليمان

- **التباعيات** : هي التي قيلت في عبد العزيز بن عبد الحق التباع، من نماذجها تباعية محمد بن المختار الشرايبي (100) .

-**الغزوانيات** : نسبة الى عبد الله بن احمد الغزواني دفين القصور، من نماذجها غزوانية الحسن بن الوليد (101) .

هذا ماوصلت اليه ايدينا من نصوص متاثرة بظاهرة سبعة رجال سواء ما تعلق منها بمدحهم والتوسل بهم فرادى او جماعة . ولم يكن قصدنا الاستقصاء والجمع، وانما التعرف الى نماذج ممثلة لكل المحاور والموضوعات .

II - البـنـــاء العـــام :

تتكون هذه القصائد من ثلاثة اقسام :

1 - المطلع، وتتناول المطالع الموضوعات التالية :

- البسملة، كقول محمد بن عمر،

باسم الفتـــاح المعين بســجـــالي ومن ابدا باسم الغني نال الاقـبـــال

وقول الطالب لحسن،

نبـــــدا بـاسـم العــــــالي مـــول القـــدر المعين ربنا ذا الجـــلال

- التسبيح، كقول امريفق،

سبـحـان عظيم الشـان رب الوجـود الازلي القـــايم الملك القــــاهر

فجمع لشيات الفاتح السبق بنبيه المختار

---

(100) منها قوله،

أمـول الكيميـــــــا لله غير اعليــــــــا

اطلب ربي فــــيـــا يكمل لي قـــصـــدي

(101) حربة قصيدته،

زوكت فـحـمـا نعم الولي سـر وعـلان ابن احمد مولاي عبد الله مول القصور

- وغالبا مايتبع الحمد والشكر، كما في قصيدة ابن عمر،

والحمد والشكر لله الفعال وحدو فملكو مايلو تالي

ثم الصلاة والسلاة على محمد، والرضا عن آله، كما عند ابن عمر كذلك،

وصلي وسلم على ضيا الجالي محمد شافع امتو خاتم لرسال
ورضا آلو لكواكب لمعالي رضوان الله عنهم غدو وصال

وتبدأ قصائد اخرى مباشرة بالدعوة الى زيارة سبعة رجال كما عند امتيرد،

وهو يا سيدي اجي اتزور سبعة رجال لفضال

واخرى بطلب ضيافتهم كما عند الشاوي،

ياهل العطفا والقد المنيف البجيل ياهل الجريال العنبى لكل ناهل
يا هل الفتح الفايق بالغنا وتسجيل ياهل لكرام الاضمتو لمحافل

او الاحتماء بهم،

أهل الحما فحماكم زايگ اوزار واش ما عار عليكم سريت الغنا در
أليوت الحضرا يا باهيين الاسرار بالنبي نتشفع خير الورا الطاهر

2 - **المدح والتوسل** : بعد هذه المطالع التمهيدية ، يمدح الشاعر الاولياء ويتوسل بهم الى الخالق والى النبي طالبا العطف والعفو والرحمة :

أ) اما بالنسبة للمدح فيمكن التمييز بين نوعين من المعاني :

- مايعتبر من قبيل المعاني العامة التي تطلق على كل ولي وتسري عليه
- ماهو من قبيل المعاني الخاصة بكل ولي .

الصنف الاول ، غالبا ما تاتي الاوصاف والمعاني في صيغة الجمع وتدور حول اربعة موضوعات :

1) فضائل الاولياء واخلاقهم العالية التي تضرب بها الامثال، فهم :

- اهل المجد، مقامات المجد، كواكب المجد .
- بحر الكمال، ذخاير المكارم، بحر المكارم، بحر كبير .

- الاسياد، الاشراف، هياكل السيادة .
- اهل الوفا، عصبة الوفا، الطيبون، الصالحون .
- اهل الحلم، اهل الحيا، اهل الود، اهل التفضيل، لمت لفضال، افضال، لمت لشبال، كنز التعظيم، اهل التعظيم والرضى .

ومن امثلة ذلك قول محمد بن ابراهيم،

انتم مفاتح كل خير وانتـم نـاس الفوز والمرتـب العالـي
وانتـــم اهـــل التعظيــم والرضــا والسعــد القبــال

2) ويعتبر الكرم والجود من اهم هذه الفضائل، لذلك نوع الشعراء الصيغ الدالة علي، فـهم : الكرمـا واهل الكرم، ناس الجـود، اهل الجـود، كـهف الجود منابع الغنا، منابع الفضـل، اهل الفضل، كهف اهل الاحسان، مفاتح الخير، اهل الخير، اصحاب البحر الفايض ،

وقد قال عنهم محمد الشاوي .

انتم مـــفـــاتح الغنا وكنوز العطفـــة	وانتم اذ خـــاير المكارم والتـــصـــريف

وقال عنه بن بوستة،

اهل الكرم والحلم واهل التـــفـــضـــيـــل	اهل التـفـضـيل كلهم اسيـــاد افـضـال

3) وتعرض الشعراء لمكانة الاولياء في الطريقة وشيخهم واسرارهم وقطبيتهم، فمدحوهم بمعان تفيد ذلك مثل،

- اولياء الله، القطب الرباني، روح الروح، اهل الله .
- اذخاير التصريف، اهل الفتح، اهل العهد، اهل التيجان .
- النور اللامع، اهل السر المشعشع، اهل الملك المؤيد، كهف الاسرار .

قال الشاوي في هذا الموضوع ،

نوركـــم اللامـع لازال ساطع اشعيـــــل	جودكـــم الفاخـــر على كـل المشاكـــــل
ســركم شـعـــشع لافـيــه نوع تخـــويض	ملككم مـــؤيد لا عـــارض امـــعـــارض

4) ويرتبط الموضوع الرابع بالتوسل، اذ ان الشعراء يعتبرون هؤلاء الاوليا ءالافاضل السادات ذوي الاسرار حصونا يتحصنون بها ، وكهوفا يلتجؤون اليها قصد الحماية من الاشرار والمصائب والحوادث، فسموهم :

- كنوز العطفة، كنوز المحتاج، اهل العطفة، اهل الصرخة .
- كهف المحتاج والضعيف، الحصن المانع، ناس الفوز .
- اصحاب الرقيا والعلاج، عز الغريب، غوث اللي تضام، جار من استجار،
- مفاتح ساير القفال، ومما جاء في هذا الموضوع قول عباس بن بوستة :

جعلكم الله احميا لمن اتيسر ودكم بحكمت السر وليغارا

وقال محمد بن ابراهيم،

انتم كهف المحتاج والضعيف المضطر اللي لالو انصير ولا والي

وانتم الرقيا والعلاج وانتم طب المعلال

فحماكم ضيف الله طالب فحرمكم ضيف المولى ما خاب

<u>الصنف الثاني</u>، معان خاصة بواحد من اوليا ء مراكش، تفيد خصلة من الخصال التي اشتهر بها ، او تذكر بمكان دفنه، او تشير الى مذهبه . . .

وسنحاول التعرف الى اهم هذه المعاني واكثرها ترددا :

- <u>يوسف بن علي</u>، القطب الخصال، صاحب الغار، اشارة الى الغار الذي كان يعيش فيه منعزلا عن الناس بسبب ابتلائه بالجذام . والذي سيصبح قبره بعد وفاته، قال ابن عمر :

- نبدا بلفضيل القطب الخصال سيدي يوسف بن علي المفضال
- ناصب اكفوفي ليكم ولي بولي نبدا بلمجد صاحب الغار الخصال

وقال عباس بن بوستة ،

سيدي يوسف بن علي صاحب الغار صاحب الغار ليت يسعد من زارو

- **عيــــاض**، يذكر الشعراء مكان دفنه (باب هيلانة او ايلان)، والكتاب الذي اشتهر به (الشفا)، ووظيفته (القاضي)، قال ابن عمر،

والفضـيل القـاضي بحـرو اطميم مـالي هيــبت هيــلان صــاحب الشـفــا واقــوال

وعبر الشاعر الشعبي عن المقولة المشهورة "لولا عياض لما ذكر المغرب" بعبارة " مفتاح الغرب " فقال،

منو ســرت للقــاضي دون امـــهـــال مـــفـــتـــاح غـــربنا ســـراج المعـــالي

السبتــــي، تعتبر الطبقات الشعبية ابا العباس عمدة اولياء المدينة وحاميها، وهو كما يقولون في منزلة الامام ادريس بالنسبة لمدينة فاس، لذا اطلقوا عليه اسماء تفيد تلك الاهمية وخصوه بها . فهو امام الحضرا، سلطان البهجا، سور البهجا، همام البهجا . . .

قال عنه الشاوي،

انا فــحـــمــا الصــايل امــام الحــضــرا ســـور البـــهـــجـــا وعــزها وبحــر لبــحـــور

وقال عنه امريفق،

يـاسلطـان البهجـا الباهجا من فاقـت لنضـار

واعتمادا على مجموعة من الكرامات التي نسبها له التادلي(102)وصفه الشاعر الشعبي ببعض الاوصاف التي تترجم تلك الكرامات وتلخصها، والتي صارت شائعة بين الناس، مثل : صاحب الصرخا، مغيث الرياس، رايس اهل البر والبحر،(اغاثته لتجار وهران، وبحارة اسفي حسب كرامات التادلي) وبو الدراوش (اشارة الى مذهبه في الصدقة) .

قال محمد بن ابراهيم،

والثالث فالسبعا اهمام ذا البهجا رايس هل البر والبحر المالي

وقال سيدي قدور العلمي،

قـاضي عـيــاض والســهــيـلي والســبــتي ابـو العـــبـــاس غـــوثنا بـو الدراوش

-الجزولي، ركز الشاعر الشعبي في مدحه للجزولي على نسبه، فسموه " الشريف"، في

---

(102) اخبار ابي العباس السبتي لابن الزيات . ذيلت بها الطبعة الثانية من التشوف .

تصلياته على الرسول وكتابه دلائل الخيرات، فقالوا عنه " مداح المصطفى صاحب صلاة المختار، تاج اهل الله، مول الدليل " قال الشاوي،

التـوبا واقـفـا على البـحـر المشـحـون مـــداح المصطفـى الغــوث القهرمـــان

عين التـــعظيم والفـــضل تابع الفنون مـــول الدليل والفـــضـــايل والبـــرهان

وقال ابن عاشر،

كـــالجـــزولي صـــاحب صـــلاة المخـــتـــار اخلصـــهـــا للكريم وبقت اتجـــارا

<u>- التباع،</u> ذكر الشعراء مكان دفنه فسموه " مول تلت فحول" او رايس لفحول " والفحل هو ملتقى طرق رئيسية . . . ويقع ضريح التباع في وسط المدينة، وفي محج تنطلق منه طرق رئيسية : المؤدية الى حومة سيدي عبد العزيز، وطريق السوق، وطريق باب دكالة، وطريق المواسين . قال الجيلالي امتيرد،

امجد مولـــى ثلـــث فحـــول

لـيـت بـتـــــــــــــار وكـــذاك نور لبـــصـــار

ونادوه بكنية " بوفارس، وفارس لبطال " ويلقبه التباع، فاعتبروه لا تباعا لشيخه الجزولي - كما في الشعر المدرسي - وانما تباعا للرسول وسنته، قال الشاوي

بوفـــارس درة الصـــفـــا نعم التـــبـــاع لهـــمـــام بن لهـــمـــام لحـــسام القـــاطع

واشار الشاعر الشعبي الى الكلمة التي كان الجزولي يناديه بها وهي " الكيميا"، وكذا ما عرف به في حياته من تطبيب ومعالجة لبعض انواع المرض . فوصفوه بمول الكيميا، وطبيب لعلال، او مطبب لعـــلال . . .

فقال الشرايبي،

امـــول الكيـــمـــيـــا لله غـــيـــراعليـــا

<u>- الغزواني،</u> عندما يمدح الشاعر الشعبي القطب الغزواني، فانه يشير الى مكان دفنه بحومة القصور، مول القصور، رايس القصور، منارة القصور .كما فعل سيدي قدور في جمهوره،

الـــقـــطـــب الـــكـــامـــل المـــربـــى منار حـــومـــة القـــصـــور

وكان الشاعر الشعبي على علم بالمناظرة التي تمت بين الغزواني والفلاح ورحال الكوش وغيرهم من الاولياء الذين كانوا يطمحون الى خلافة شيخهم التباع فحاول كل واحد اقناع غريمه

بأهليته متحدثاعما اخذه، عن شيخه وعن مكانته في التربية والتوجيه . فكانت كلمات الغزواني اكثر اقناعا عندما قال (انا سطانكم وصاحب سكتكم، عندي تضرب، فمن طبعت درهمه اوديناره جاز ومن لافلا) (103) . لذلك سموه في اشعارهم : مول الطابع، سلطان اهل الله . قال الشاوي،

حـــرمت قـــرم المشـــايل زهر التنزيه لمجـد مـول القـصـور سلطان اهل الله

وقال ابن عمر،

وسـيـدنا الغـزواني من وضب انفـالي مـول الطابع مـا خـفـا فكل امـجـال

– **السهيلي**، لم تعدد الاوصاف التي مدح بها، انما اقتصر الشعراء على تسميته بالخاتم (تنتهي به الزيارة)، وبالامام . فقال ابن عمر مثلا،

والامـــام الســـهـــيلي شـــحـن لمحـــالي بعلوم اللي روي من حـــديث لرســـال

ولعله يشير الى اهتمامه بالسيرة النبوية (الروض الانف)، وروايته للحديث .

يمكن ان نستنتج من الاوصاف التي مدح بها اولياء مراكش :

– ان الشعراء تناقلوا الامداح الخاصة بكل ولي وحافظوا عليها، فكونت بذلك معجما خاصا باولياء المدينة يخلد اماكن دفنهم، وما تميزوا به من خصال، وما اشتهروا به من علوم .

– ان الشاعر الشعبي كان على قدر من الثقافة مصدرها المجالسة والسماع فقد كان على علم بابتلاء يوسف بن علي، وبمؤلفات عياض ومكانته بين علماء المغرب، وكرامات السبتي، وتصليات الجزولي وسيرته، وسيرة التباع والغزواني، وعلم السهيلي . . . فصاغها في قالب شعري .

ب) التوسل، لم يراع الشاعر الشعبي آداب التوسل (104) وشروطه، وانما انساق وراء عواطفه ومشاعره مدفوعا بشعوره بالضعف واقترافه للذنب والتماسه النجاة والخلاص مما يعانيه، فجعل الولي واسطة بينه وبين الخالق حينا، وبينهُ وبين الرسول حينا ، وقدم له الانبياء والاولياء شفعاء ليستجيب للدعوة فابن عمر المراكشي يقدم سبعة رجال مراكش وسطاء بينه وبين الخالق ، قديم الاحسان ليقبل سؤاله ويجبر حاله ،

---

(103) ممتع الاسماع 43 – 44 .

(104) انظر ما قلناه في المبحث السابق، هامش 49 .

واجبـــر كسراني واستجب سؤالي   رغبو في اقديم لحسان المتعال
يقبل ســؤالي رب الورا العالي   نسعاه بجاهكم يا لمت لشبال

ويعود في عباسيته ليخاطب السبتي نفس الخطاب (نسعاه بك، تطلبو بجاهك)

الدايم لغني من اصطفاك   نسعاه بك يوفي ظني
وانتال ماطلبت على المولى بك   يوف مراغبي بكمالك
اسيدنا بشيخك داخلت عليك   نطلب ربنا بجاهك

ويلتمس " لحمر " من الجزولي ان يرغب فيه الله الواحد القيوم ليجيب دعاءه وينفس كربته،

امولاى محمد بنسليمان ارغب فيا الله يتفاجى هولي
قاصد حرمك اروح راحتي في هذا التوسل
ورغب فيا القيوم   يستاجب الدعا تتفاجى لنقام

ويقوم بعض الشعراء بعكس التوسل اي طلب الحاجة من المولى وتقديم الرسول او الانبياء عموما شفعاء لذلك، مثل قول البشير الشباني في التوسل بالجزولي،

غثني باحسانك يا فارس ليفاثة   ادخيل ليك بالمختار الهاشمي المبعوث

ويردد الحسن بن الوليد في كل لازمة من توسله بالغزواني،

- حرما لك بسيد لعراب ولعجام
- حرما لك بالشفيع طه نور النور
- حرما لك بالشفيع طه سيد لسياد .

ويقول في آخرها،

ادخيل ليك بالانبيا والرسل تبيان   ادخيل ليك بالسادات المالكين لقطور

ويظهر التوسل بهذه الكيفية مدى ابتعاد الشاعر الشعبي عن آداب التوسل المسطرة في كتب الفقه

ويمكن تصنيف هذا التوسل الى اتجاهين مختلفين،

- توسل ذاتي، يهتم فيه الشاعر بنفسه وذاته ويرجو لها الخلاص مما آلت اليه بعدما ضلت السبيل واقترفت الذنوب .

- وتوسل جماعي، ينشغل فيه بهموم الجماعة التي يعيش فيها، فيلتمس لها العفو والهدي والحماية ويصف ادوار الاولياء ومسؤولياتهم في ذلك .

- الاتجاه الاول، لايكتفي الشاعر الشعبي بالتوسل وطلب الرحمة والغفران بتوسط الولي لدى الرسول او الخالق، وانما يقدم لذلك بذكر الحافز والدافع الى التوسل : قد يكون هو الشعور بوطأة الزمان وقهره، او اقتراف الذنب واتباع هوى النفس او هما معا، او اعتداء الانسان وظلمه وجبروته :

- الزمان لقد كان شعور الشاوي بوطأة الزمان سببا في طلب حماية سبعة رجال ، عندما قال،

هام عـقلي لحمـاكم يا كـواكب المجـد	والزمـان عـقـرني ونصـرم جـد جـهـدي

وعبر ابن عمر المراكشي عن هذه الوطأة بضيق الوقت، فالتمس مساندتهم في الوقت الذي يفتقر للسند والقريب .

يا اهل السر الواضح بكايا المجالـــــي	من ضيق الوقت نشتكي حالـي لحالـــي
يا هل الحـــرم شــــائع مـــوجت والي	لا سـنـد لا رديـف لاعـم لا خـــــال

- النفس ، وقد تتحمل النفس وحدها تبعة مايؤول اليه امر الشاعر فيعترف بحرمها وغلبها، كما فعل الشاعر ابن عمر،

يا هل الود الفـــايز كلمـــا اجــرالي	من غلب النفس ولهوى مـا صبت امـقال

وعند ابن ابراهيم لا عـلاج لظلم النفس وحـزن القلب، الا بجـود اوليـاء مـراكش وعطفـهم ووساطتهم،

أوتيــت محتـاج فقيـــــر مديــــــون	وبجودكـم ردت الريـــــح مع الكنــــز
والقلب الغاني ارجيف اليـــه محـــــزون	ونتـم ليــــــه رقيـــــا وفراح احــــرز
يغـــــفـــــر نعم الغـــــاني اوزاري	ويجـــود بالرضى ويعطي العــيــوب

ويعاني البشير الشباني من حرهما معا : قهر الزمان وشيطان النفس،

الزمان اقهرنـــي وعيبـــت من لمراتــــــة الهـوى والنفــس وشيطانهــا المخبــــوت
اطلـب ربي نـدرك بـالعــــز واتبـــــاتة والشـــهــــادا تاتيني في ســاعــة الموت

– **الغيـر** ويقصد به الانسان الذي لا يتورع عن ظلم اخيه الانسان، والاساءة اليه متى وجد لذلك سبيلا . فلا يبقى للضعيف من سند ولا معين الا اللجوء الى خالقه، وبالتالي الى الولي الذي يعد محل رحمة وحماية وامان ووساطة . لقد مر ابن عمر المراكشي بهذه التجربة فقال عنها،

خصلــــو فـمـن اتعـد وظلـم وصــــــال اعليـــــا ونـــوا يقطــــع اوصالـــــي
ياتيـــــه مـــا نوا ليـــــا لا تهـــــــال من جار بالجهل ورضــــا تعطالــــــي
نفـســـو عليــه كـذبات وغـــواه المال وتقـــو عني واكـــثـــر جـــدالي

– رد الفعل : طلب الحماية والجود : ان الوسيلة الوحيدة لمواجهة قهر الزمان وهوى النفس وظلم الانسان هي طلب حماية اولياء مراكش فرادى وجماعة . قال الطالب لحسن،

شفقـــــــو مـــن حالــــت حالــــي نظــــرو ليـا بالجمع فـعـين لكمــــال
فـــــاجيــــوْ غَم ادخـــــالـي جل التـدقـيق سـعـيت منكم اسـآلي

وقد اتجه الشاعر الشعبي الى سلطان البهجا ابي العباس في توسلاته اكثر من غيره من الاولياء ، فخاطبه الشيخ امريفق في طلب عطائه وحمايته بقوله،

بسطت كـــفي لنوالك البـــر امنحني من كنز فـيـــه يا قـــوت امـــدخـــر
ما دخرت الملوك عوض مثلو ولا تحجار

ويقصده ابن عمر محتميا وطالبا عطفه ونواله،

للـــه اكرمنــــي يـــا واضح لســـــرار وانظــــر يـــــا الشيــــخ لعـــــاري
انا فـــــعــــارك دخلت لحـــمـــاك الحـــرم يا الشــــيخ اكـــــرمـني

ويحتمي به التركماني مظهرا ضعفه وحاجته، وطالبا ان يسقيه من بحر جوده الزخار،

شوف ضعفي وقبل سآلي لا تخيب كراسي ما عقلنا عن سايل صـردوه لجواد لكيـاس
بغيت نهري يصفى فنظرتك ايغيب نحاسي ياعظيم الحرما والجـاه يابحر ماليـه قيـاس
يا الطود المانع يا شامخ لفضل عمر كاسي من بحـرك نروا بيك قـولي مـا يمـاس

الاتجاه الثاني، يتوسل الشاعر الشعبي لجماعته واهله ويطمئنهم ان اولياء مراكش كرماء

لايردون السائل خائبا . قال بن بوستة،

سبعتــــو رجــال كلهــم وسايـــــل مــــا يفـــــرطو في الســــايل
جــا لوسط حــمــــاهم ونزل لحـمل طلب الله يجمع الشمل بالاهل وبالمال

ويبرز دور ابي العباس في اغاثة كل من يشعر بالضيق سواء في البر او في البحر وكيفما كانت حرفته . ويشير كذلك الى مذهبه في الصدقة واعتماد المساكين والغرباء والمعوقين واليتامى والمحتاجين على كرمه وفضله . وقد استمر هذا المذهب في اداء واجباته الانسانية بعد وفاة ابي العباس بفضل ما حسبه عليه المومنون في مختلف بقاع الارض . وصور التركماني لجوء الناس الى الشيخ ومذهبه بقوله،

يامغيث البر والبحر بـك سايـــر لمراســي كـتنـادي كـذلك البـايـع والشـاري ولغـــــراس
بومساكن والغربا والضعيف والضرير لقاســي ولهجاجل وكذاك اللي تعسر عليها لنفـــــاس
وليتامى واللي مقعد كايصابح ويماســـــي فباب حرمك وتكرمو بالـدوا ويـا كل من لحباس
واللي مضيوم ونادى عليك فخـلا ودحـــاس كـاتغيتو وكذلك اللي يكـون مسجون فلحبـاس
كل من بك اســتـغــاث لكريم لنفـــاسي لو تحـوط بـه العـدا بكيـدها مـا ينظر بـاس

ومن التوسل الجماعي الدعاء للسلطان بالنصر والتاييد والفتح، ولرعيته بالهداية والرشد والصلاح كما عند الشيخ امريفق،

وبقي همَّا منَّا ظافر بالتاييد والنصر والفتح المبين . لو مهد ملكو
وهـــدى رعيتــو وانصـــر بـــه الديـــن
واصلحنا وارشـدنا للخيـروالسـلامـا مطر علينا سيـول غـيث الرحـمـا

والى جانب الاهتمام بفئات المجتمع، وبالسلطان الحاكم ، يهتم الشاعر الشعبي كذلك بالمدينة، او حضرة سبعة رجال، وما ادركته من مجد وعز وسؤدد بفضلهم . فالشيخ الجيلالي امتيرد يخلص من حديثه عن اولياء المدينة الى الحديث عن نشاطها الديني خاصة في ليالي رمضان، وسرور سكانها وانشراحهم ،

وهـو يـا ســـــيـــــــدي بهـجـا مـبـهـجـا وخبـارها بين لمجـال
عــــذرا مختطــرا مــن فايـت لليــوم بالزهــر والفـــرح المعـلـــوم

من لا شافهـا فليالـي رمضـان والمجالـس من كـل الـوان
ولسيـاد تسـرد القـرآن

ويرجعون ذلك بالطبع لبركة المشايخ . فللجزولي - حسب لحمر - دور في هذه المكانة، بل لقد اصبح في وسعهم ان يزودوا الغير ويسبغوا عليه من افضالهم، قال ،

ولا هي بهجا مبهجا وهلها صايلين نسا ورجالي
من جا يسقوه من امدادهم اينال التفضيل

وللسبتي - كالعادة - الدور الاكبر في حماية المدينة والاعلاء من شانها ورفع ذكرها ، وذلك لان التوسل الفردي والجماعي موجه في الغالب اليه باعتباره سلطان المدينة وامامها وعمدة اوليائها . وقد اشار ابن عمر الى ذلك في قوله ،

دَركَتْ عـز وفـخـرا	وانـت حجابهـا وغطاهـا
وعلـى المـدون حـازت نظـرا	لَجْلك ربنـا سماهـا
وعـلات بـك نالـت جـاه ومقـدار	لا زال حـرمهـا يتباهـا
محـال عوضهـا فسايـر لمصـار	بهجـا مبهجـا ونزاهـا
لاين صـايلا بالسـبـتي تدكـار	مـا شـافـشـاي من لا راها

وانطلاقا من مطلع القصيدة يركز الحسن بن الوليد على افضال الاوليا -وعلى راسهم ابو العباس - على المدينة،

صان البهجا ربنا الباقي بوجود اقطاب . ولمجد سيدي بلعباس

وكـرمـهـا بالعـز والمطر	وفـرحت هل الثنا ضـراغم لحـميـا

ويعود في آخر القصيدة الى الحديث عن حفظه للمدينة وحمايتها من المصائب والاحزان لتنعم بالعز والامان فتباهى المدن بذلك،

سـعـدت به فـغـايت لمنى وحـمـاها	المعين عن عـداها ضي ودحـاس
وحـفـظهـا من وسـاوس الغـدر	وجـعل ليـهـا الخـيـر همـا ومـزية
طهـجت بيـه وطهج حـيـهـا وحـمـاها	ونسـات مـامـضى من كـثـرت لهـواس
وتبـاها بـالعـز والوقـر	مـا بين مـدون وادشـور وبادية
زهرت بيـه وزهر حـالهـا ووطنهـا	وقطـارها وناس الجـود الرياس

ان الشاعر الشعبي يفزع بهمومه وهموم جماعته ومشاكل مدينته الى اولياء المدينة وعلى راسهم السبتي، ضارعا لهم بصدق واخلاص ، قصد مساعدته على تخطي ما يعانيه وتجاوزه، ومتى شعر بتحسن وفرج، لهج بمدحهم واستزداة فضلهم . وهذا يعكس طبيعة عقليته ونوعية ثقافته . وللدين موقف خاص من هذا التصرف (105) .

3 - **خاتمة القصيـــدة** ، تشتمل خاتمة قصيـــدة التوســل على مايلــي (106)،

أ) **ذكر اسم الشاعر،** وجرت العادة ان يصرح به . وقد صرح به في القصائد التي تهمنا : الجيلالي امتيرد، امريفق، التركماني، الحسن بن الوليد، البشير الشباني ومحمد بن عمر . . . .ولمح اليه كل من ابن ابراهيم ولحمر .

ب) **تاريخ نظم القصيدة ،** لم يثبت الشعراء كلهم تواريخ نظم قصائدهم اما الذين سجلوها فهم : الشاوي (سنة ست وثمانين ومائتين والف) والتركماني (سنة اربعين وثلاثمائة والف) والحسن ابن الوليد (سنة خمسين وثلاثمائة والف)، وعباس بن بوستة (سنة اربع وخمسين وثلاثمائة والف). ولا تخفى اهمية ذكر اسم الشاعر وتاريخ النظم في توثيق القصائد والاستفادة منها .

ج) **الخصام وهجاء الجاحد،** وقد يطول هذا القسم او يقصر بحسب طبيعة الموضوع وظروف الشاعر . . . الا ان مايميز قصائد التوسل قصر هذا القسم او غيابه مطلقا في اغلب النصوص .

فالقصيدة الوحيدة التي اشتملت على شروح في الخصام هي جزولية لحمر . وقد استهله بقوله،

اللي سلم يسلم واللي ما سلم هذي عليه حجا بغزولـــــي

واللي يدعي بالجحد ما يلُوقُـواْ بــــــاش يِحيـــــــل

خذ أراوي سيف لَطّام ابتر فرقاب الجاحدين ولكل فضولي

---

(105) انظر الهامش 49 .

(106) تحدث استاذنا د . عباس الجراري بتفصيل عن بناء القصيدة واهم انواع خواتمها في كتابه القصيدة 147 - 173 .

اما باقي الشعراء فقد تركوا الخصام ودعوا على العكس من ذلك لنبذه والاعراض عن اهل الجدال كما فعل ابن عمر ،

شـــرق عـــد تاريخ أفـــاهم لشـــالي طيـع لودبا أولا تـروم لـهـل لجـــــدال

ولعل صنيع امريفق في هذا القسم من احسن الاساليب واسلمها اذ جمع فيه بين اسلوب الخصام وروح التوسل . فاستعمل الفاظ " التسليم " و " الحكمة " و " المعارضة " . . . ودعا الى التزام الاول وترك الاخير قصد الفوز والنجاة فقال في آخر عباسيته،

سـلم تسلـم يـا رايـد النجـا لا حكمـا تـدراك بالفرعنـا والغامـــر
يـــصادفهـــا گـــداموا مـــعارضاه امـواج التكســـار
نجينـــا واحفظنـــا من الهوايـــع يـــا رب الكـــون يـــا الرؤوف الساتـــر

ويمكن رد هذا العزوف عن الخصام الى موضوع القصائد الذي هو التوسل ومدح الاولياء فلا يليق بمادح ضارع متوسل يلتمس العفو والمغفرة وحسن الخاتمة، ويشكو من ظلم النفس وسطوة الزمان ان ينصرف عن هذا في آخر النص ليدخل موضوعا مخالفا كل المخالفة لموضوع قصيدته، فيدخل في صراع وجدال طويل مع المنافس والجاحد .

<u>د) الدعاء والصلاة والتسليم</u>: ان المناسب للتوسل هو الاكثار من الصلاة على النبي وآله وذريته واصحابه والسلام على الاولياء والشيوخ الاموات والاحياء ، والدعاء للجميع وللشاعر واهله بحسن الختام .

لذلك فان هذا الموضوع شغل الشعراء فخصصوا له القسم الاخير من قصيدة التوسل اكثر ماشغلهم غيره .

ولانريد الاكثار من الامثلة على الصلاة والسلام لتشابهها فنكتفي بنموذج للشاوي ، قال،

والسـلام عليكم مـا فـاح زهـر لعـراش والعطـر والعنبـر والمســك والعطـرشا
والصلاة على المصطفى اصبـغ لرمـاش سـيـد مـا خلق الله من الاكـوان ونشـا

وتشغل الوصايا والحكم حيزا كبيرا من هذا القسم بعد الانتهاء من الصلاة والسلام . كما

عند الشيخ الجيلالي،

وهـو يـا ســـــبــــــدي نو صـيك والوصـايا حكمـة بهـا تنال

صـــرف الخيــر فهلـو وفغيــر هلـو

لا تجفي حد بجهلو كل واحد يلقى فعلو

بفـــــبـــــر تحـــــدار قـــال الذكي العـــيـــار . . . . .

وختم عباس بن بوستة قصيدته في مدح سبعة رجال بسلسلة من الامثال والحكم تبرز مدى مقدرته وتفوقه في هذا الموضوع . ومما جاء في هذا القسم الطويل من النص،

كل من تبع الجد وجنـب الهـــزل يترفـع لـو كـان فالسفل ورضى الله ينـال

ورضى الله اينال من حسن وامـتـاثل امـر خـالقـو يا عـاقل

. . . .

لح هم الدنيـا يخفـاف لحمـــل فالمشـــي ســر بلمهـل وترك هل لهبـال

وترك هل لهبـال كـل من هو غافـــل اعلى وقـر ليس برجـال

تارك الدين امـــثـــال توارة الدغل زيـــن الـــنـــظـــار عـــملو بطال

الـشـعـــــراء ،

صدرت هذه القصائد عن شعراء ينتمون جميعا - كما هو الشان بالنسبة للشعر المدرسي - للعصر العلوي . ويمكن تصنيفهم في ثلاث طبقات،

- الاولى ، ما قبل القرن الثالث عشر، ويمثلها المجذوب احد المخنث الفرجي بجمهوره الطويل .

- الثانية ، شعراء القرن الثالث عشر، وخاصة فترات حكم المولى عبد الرحمن وابنه محمد . وهي فترات ازدهار فن الملحون، وقد اصطلح على تسميتها "بصابة الاشياخ " اي موسم الاشياخ لانها تعتبر من اخصب فترات الزجل بالمغرب، لكثرة مانبغ فيها من الشعراء(107) .

---

(107) القصيدة ص 610 .

ومن شعـراء هذه الطبقـة نجـد : الجيلالي امتـيرد، سيـدي قـدور العلـمي، محمـد الشـاوي، محمد بن ابراهيم، وامريفق المراكشي (108) .

وظلت القصيدة الشعبية مطبوعة بطابع هؤلاء فيما بعد مما جعلنا نستقي اغلب الشواهد المعتمدة في هذا المبحث من قصائد هؤلاء الشعراء .

- الثالثة ، مابعد القرن الثالث عشر، وتشمل قسطا من فترة حكم المولى الحسن، وتمتد الى الشعراء المعاصرين .

ومن الشعراء المتقدمين ادريس بن علي السناني المعروف بالحنش، احمد بن عاشر الرباطي، الحسن بن الوليد، والتركماني .

بعضهم مخضرم عاصر شعراء الطبقة السابقة، ومن المتاخرين نذكر : محمد لحمر، عباس بن بوستة، محمد المختار الشرايبي، ومحمد بن عمر الملحوني .هذا الترابط والاتصال بين حلقات الشيوخ يبين مدى اهتمام الشاعر الشعبي بموضوع التوسل بالاولياء عموما واولياء مراكش خاصة .

وينتمي اغلب الشعراء الى مدينة مراكش مثل امتيرد، وابن ابراهيم ، وامريفق، ولحمر، والتركماني، وابن الوليد، وعمر المراكشي، وعباس بن بوستة، ومحمد بن عمر الملحوني.

في حين ينتسب احمد المخنت لدكالة، وسيدي قدور والشاوي لفاس، وابن عاشر الحداد للرباط .

كما ينتسبون لشرائح اجتماعية متباينة :

- منهم من كان على قدر من العلم والمعرفة ودرس على مشاهير علماء عصره كسيدي قدور (من شيوخه المختار البقالي، على بن عبد الرحمن الجمل، وملاي الطيب الوزاني، ومحمد بن احمد الصقلي وغيرهم) (109) وادرك بذلك مكانة في مجتمعه . فكان السلطان مولاي عبد الرحمن

---

(108) الشعراء الثلاثة عاصروا الشيخ التهامي المدغري المتوفى سنة 1273 هـ

(109) الاتحاف 5/3341 . والقصيدة 631 .

من محبيه يذهب لزيارته كلما حل بحضـــرة مكناس ويستشيـــره في كل مهـم عَنَّ لــه، ويــقف عنـد حـد اشارته (110) . وادريس بن علي السناني لحنش من العلماء المؤلفين : من شيوخه احمد ابن الفقيه ابي عبد الله السجدالي . له مؤلفات عديدة اغلبها في الطريقة الصوفية، منها رسالة سماها (تانيس المسجونين وتنفيس المحزونين) الفها بسبب سجن محمد بن قاسم الصادقي . وديوان شعر سماه (الروض الفائح بازهار النسيب والمدائح) مـدح فيه المولى الحســن والمولــى عبد العـزيز وشيـوخ عصـره والاولياء (111).

وكان احمد بن عاشر الرباطي من العلماء المؤلفين .

اما باقي الشعراء فلم يكونوا على قدر كبير من المعرفة، وكانوا من عامة الناس يمتهنون مهنا مختلفة مثل بيع الخضر (امتيرد) والدرازة (التركماني) والخرازة (ابن عمر) بيع القهوة (عباس بن بوستة) ، الا ان ما يجمع هؤلاء جميعا هو التصوف وحب الرسول والتعلق بالاولياء والميل الى ادب الوصايا والحكمة .

فاحمد المخنت الفرجي كان يدعي بالمجذوب من اولئك الذين كانوا يطوفون بالاسواق ولسان حالهم يستنكر الوضع، ويدعو الى تحسينه بالتقيد بالاوامر وتـرك النواهـي - له قـصيدة طويلـة تسمـى " الدرر " في المواعظ والحكمة (112) .

اما قدور العلمي فقد اعتبره ابن زيدان من صلحاء المدينة ، وساق كثيرا من كراماته وخوارقه . ونقل عن المترجمين له مداومته على زيارة اضرحة سبعة رجال، او الاربعة المتقاربين منهم على الاقل : السبتي، الجزولي التباع والغزواني خلال مدة اقامته بمراكش، وكذا حرصه على زيارة ضريح المولى ادريس . كما تحدث عن اعتزاله الناس في آخر عمره وانشغاله بالصلاة والاستغفار (113) .

---

(110) الاتحاف 337/5 .

(111) انظر ترجمته في الاعلام 42/3 - 47 .

(112) شعراء الملحون الدكاليون .المناهل 24 / ص 204 .

(113) الاتحاف 336/5 - 342، والقصيدة 630 - 631 . اشار على محمد الامين الصحراوي بالسكن في مراكش والمداومة على زيارة اوليائها، الاعلام 28/7 .

هذه التجارب والمعاناة كانت وراء شعره في الحكمة والتصوف والوصايا .

ومن الشعراء من كان طرقيا كادريس بن علي السناني الذي اخذ عن محمد بن عبد الواحد الكتاني الطريقة القادرية . وبعد ذلك اخذ عهد الدرقاوية عن ابراهيم بن علي الغماري عن شيخه احمد بن عبد المومن الغماري، عن مولاي العربي الدرقاوي . ودرس بالقرويين " حلية ابي نعيم " عن احمد بن عبد الله السجدالي . والف كتاب " نزهة الاعيان وتبصرة الاخوان في طريق التصوف " ورسالة " الشهاب الكاوي لاهل التمشدق والدعاوي " في الرد على اهل الدعاوي الكاذبة .

والف احمد بن عاشر الرياطي مجموعا في الاحزاب والاوراد سماه " مجموع الاحزاب وتيقظ اولي الالباب، ومفتاح الابواب لمن اراد التقرب من رب الارباب " يشتمل على مجموعة من التصليات والاوراد :

- عقد الدرر في الصلاة على النبي المختار .
- صلاة الانوار ومفتاح الاسرار .
- حرز النجاة، وحزب المناجاة .
- احزاب الفتح، النور، النصر، الحمدلة . وصلاة الحافظة (115) .

اما باقي الشعراء فهم وان لم يكونوا على هذا المستوى من العلم والتأليف عرفوا بمحبتهم للرسول، وتفوقهم في شعر الحكمة والوصايا :كالشيخ الجيلالي صاحب القصائد المدحية التوسلية، ومحمد الشاوي في الوصايا ، والشيخ امريفق صاحب الحالية، والمعروف بتفوقه في شعر الحكمة . وعباس بن بوستة الذي كان على قدر من الزهد والتقوى والورع، وكان تيجاني الطريقة (115م)، ويكفي ان نذكر رائعته في التوسل وذم النفس :

---

(114) الاعلام 42/3 – 47 .

(115) اورد صاحب الاعلام نصوصها 458/2 – 459 .

(115 م) قال في خاتمة احدى قصائده ،

قال بن بوستة عباس قاطف الطيب صاحب الشيخ التيجاني اهلال لقطاب

كُلْهُمَا المــــسَافْرِيــــن دارو الـــزاد
ونَا فـــــفــرتي زادي رحـــمــة ربي   وشــفــاعــتــو شــفــيع لعــبــاد .

والمعروف المتداول عن المهتمين بالملحون في مراكش ان الشيخ ابن عمر برز في المدح النبوي والتوسل ومدح الاوليـاء اكثر من بـروزه في بـاقي الموضوعـات، في حين برز معاصره محمد بلكبيـر في الغــزل .

ان تنوع فئات الشعراء من حيث المدن التي ينتمون اليها، ومستواهم الثقافي والاجتماعي، والتقاءهم جميعا عند حب النبي وتقديرالاولياء ومدحهم والتوسل اليهم، يبين ان هذا الموضوع لم يكن مرتبطا بطبقة دون اخرى، وانما كان عاما شاملا، اثار اهتمام مختلف الفئات الاجتماعيــة اغنيــاء وفقـــراء، مثقفين وعامة . . . .

- الخصـــائـــص :

ومع اختلاف مستويات الشعراء لانكاد نجد فروقا جوهرية بين القصائد:

- فهي ذات بناء متقارب - كما بيننا - يعتمد فقرتين اساسيتين : المدح والتوسل . مسبوقتين بمدخل تمهيدي، ومذيلتين بخاتمة في التصلية والسلام .

- وهذا ما يجعلها متقاربة في الحجم كذلك (بين خمسة وثمانية اقسام) ، باستثناء جمهوري احمد المخنت (ازيد من اربعمائة بيت) ، وسيدي قدور (اثنان واربعون قسما) المتسمين بالطول، لان صاحبيهما قصدا بهما تسجيل اسماء الاولياء بالمشرق والمغرب والتوسل اليهم .

- يسود فيها نفس المعجم المكون من ثلاثة اصناف :

1) معجم باسماء مشاهير اولياء المدينة، واولياء المغرب على وجه العموم . وتتصاعد اهميته في المطـــولات كجمهور الشاوي، والمخنث والعلمي . . . اذ يضم كذلك اسماء كثير من اوليــاء المشــرق .

2) معجم باسماء الاحياء التي تقع فيها مزارات الاولياء او مدنهم، واهم ماعرفوا به في حياتهم وما تميزوا به عن غيرهم من الاولياء .

3) معجم التوسل، وفيه يعترف الشعراء بالتقصير والذنب فيعبرون عن ذلك بالفاظ مثل: اخطا ، اوتا ، اظلم، خارج على الطريق . . .

ويلتمسون العفو والغفران : اغفر ذنبي، جبر حالي، جبر كسري، جَد بالرضى، انا فالحما ، بسطت كفي، اكرمني . . .

ومن التوسل ما هو فردي وجماعي، وقد ذكرنا اغلب مواد هذا المعجم عند حديثنا عن المدح (المعاني العامة والخاصة) او عن التوسل،

ويتبين من خلال النماذج المعتمدة ان المعجم المستعمل موحد بينهم على اختلاف عصورهم ومستوياتهم، لتعبيره عن مشاعر متشابهة وغايات موحدة

هذا التشابه لا ينفي وجود خصوصيات لدى بعض الشعراء، واشراقات في بعض القصائد:

- ثقافة بعض الشعراء، واطلاعهم على معلومات صوفية وطرقية تقل او تكثر :

. كتفاصيل عن مذهب ابي العباس السبتي في الاحسان وقد وقفنا على ذلك عند امريفق.

. اشارة الى الخمرة الصوفية ونشوتها واثرها في نفس المريد الشارب فقد طلب الشاوي من سبعة رجال ان " يعللوه " بها :

عللوني خمر يصفي وداد نهلي ونفخر غدحكم ونصول ونتحلا

. تعرف الى طبقات الاولياء ودرجاتهم : القطب، الغوث، الجرس، البدل، الوتد، ورد ذكرهم عند ابن ابراهيم :

ويمن فجميع اقطار بهجت الحمرا من لجراس ولوتاد البدلا

وهَل التوبة ولْغُوث ولقطاب ناس لكمال

وذكرهم ابن عمر المراكشي كذلك، فقال،

ابجاه لقطاب امعا لجراس ولبدالي يستجب سمع ادعا هذا التوسال

. ويضع " لحمر" القطب الجزولي في مكانه بين الصوفية مداحي الرسول،

والصوفيا واللي يمجد منهم فلعداد الجزولي

البوصيري دار البُردا وهو دار الدليل

- تميز عباس بن بوستة في مدحه لسبعة رجال بقدرة فائقة على الاسترسال في نظم حكم خالدة هي عصارة تجاربه وتاملاته في الحياة خصص لها زهاء ثلث القصيدة .

- وتنفرد قصيدته كذلك بظاهرة بلاغية زادتها جمالا وهي : النشب فاصبحت وكانها سلسلة مرتبطة الحلقات (116) . فقد نشب كلمة واحدة في قوله،

عـار السايل به ايرفـدو ايرفـدو بلعـار بلوگـد بلوگـد القـاضي المجـد

المجـد يستـاهل المجـد المجـد غـراضي اينفـذ اينفـذ فـالاثرا يورد

وينشب في الغالب كلمتين مثل قوله :

اهل الكرم والحلم واهل التـفـضـيل اهل التـفـضـيل كلهم اسيـاد افـضـال

اسيـاد افـضـال كل من جـاهم اعليل جـاهم اعليل جـبـرو كـسـرو فـالحـال

- وتتميز قصيدتا ابن عمر بالتركيز والجزالة والقصد، فهو يجمع المعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة، ويقصد مباشرة الى المعنى دون مقدمات، وهذا ما جعلها من اقصر القصائد في مدح سبعة رجال .

- وفي عباسية محمد البوعمري تعبيرات رقيقة : فقد جعل طيب شدى ابي العباس سببا في تفتح الازهار، وتعانق الاغصان . . . وانتشار روائح رياض الفكر . فقارن بين تفتح الطبيعة وبهجتها، وتفتح العقول والنفوس وحياتها وانتعاشها بسبب تاثير مذهب ابي العباس فيها، قال :

لولا طيب اشداك مـا ذكي روض الفكر وفـاحت لزهار فـبـهـجت لغـراس

وتعـانقت قـدود مـايـسـا ورقـصت ادواح روض عطفك لوناسي

وقد عبر عن شيوخ هذا المذهب وانتشاره في الآفاق، واستفادة الناس منه بهذه المبالغة المقبولة :

لولا بحـر انداك مـا جـرى نهـر السـرا فـبـهـجت المتـون ايعـمـم لجناس

سند وهـنـد وُشَگّ مـاســا مـا خص في ادزور (117) ولا فَمْرَاسـي

---

(116) انظر الحديث عن النشب في القصيدة ص 117 - 118 .

(117) اي جزر جمع جزيرة .

وتسيرالقصيدة على هذا المنوال وكانها في وصف الطبيعة،

- ويتميز بعض الشعراء باستعمال لغة قريبة من اللغة العربية الفصيحة سواء منهم من كان ينظم باللغتين معا كالسناني او امريفق او من كان ينظم بالعامية وحدها، كالشاوي وابن عمر. ونقف عند بعض النماذج، قال الشاوي :

- ياقرات السعاد بالسعد الصرخات	قدو بنصيتي الى السبل الثابت
يا عصبات الوفا اهل القدر المحمود	يا قدوات الاحسان والعطف الواجد

فاستعمل عبارات فصيحة : قرة السعد، قدوة الاحسان، قاد بالناصية، عصبة الوفاء . . .

وتسير قصيدة الشاوي كلها على هذا المنوال، وفيها احالات الي بعض الامثال،كقوله :

ابلغ الزُبا السيل والحلگ اتساجا	. . . .

اشارة الى المثل " العربي " بلغ السيل الزبا " . وفي قوله،

لو كان البحر فلمشال امداد انصيح	والشجر ايكون كلقلوم ولرض الواح
والخلق ايوصف لسرار بخط اوضيح	لا وصفو وصف من ابحركم الكفاح

احالة الي الآية الكريمة (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي) (118)، والآية الكريمة ولو أنما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله) (119) .

ووردت في هذه القصيدة كذلك صيغ عربية صميمة كثيرة التداول في الشعر العربي الفصيح، كقوله :

ما استمسك بكم انسان عاطل عليل	من عطفكم الا وغشاه لطف جازل
ما قرع باب احماكم من دهاه تهويل	من افضل صرختكم الا ادواه نايل

- ويعتبر امريفق المراكشي من الشعراء الذين يقلصون الفجوة بين التعبيرين الفصيح والعامي باعتماد لغة اقرب في الفاظها وصيغها الى الفصحى، ويمكن ان نتبين ذلك بتأمل النماذج التالية، قال :

---

(118) سورة الكهف، آية 109 .

(119) سورة لقمان، آية 27 .

- انت شـجـرة لـوفـا العـاليـا للتظليل ايـامــــهــــا الـوارد والـصــــادر
تقي لوطيس الحـارق لحـشـا من صـار العـصـار
- انت الـوسطا فـعــقــود اهل المدد الرباني وليك اويت امـهـــاجـر
نخت مطيــتي قــصــدي ولانزول مــلازم لاثار
- انت الســابح فـبـحـور مليـا بالمدد امـلاطمـا بالسـر البـاهر
انت الوافي بعـهـود ناطقـا فـالتنزيل اجـهـار

فنجد من تعبيرات الصوفية: شجرة الوفاء، المدد الرباني، الهجرة، السر الباهر، العهد ...
من التعبيرات والصيغ العربية الفصيحة: الورود والصدور، الوطيس الحارق، اناخ المطية، لازم الآثار .

- خــــاتمــــة، مدح الاولياء والتوسل اليهم من الموضوعات التي شغلت بال الشعراء الشعبيين على مختلف مستوياتهم: العالم، المؤلف، المثقف والناظم باللغتين الفصحى والعامية . وكذا البسيط المتواضع المحدود الثقافة :

- فاحترام الاولياء والفقهاء والعلماء كان عند المغربي جزءا من التقيد بتعليمات الديانة المحمدية والخضوع لأوامرها .

- والعصر كان عصر كوارث وأزمات مادية وروحية تدفع الانسان الى التساؤل عن مصيره ومستقبله، والشعور بالخوف والقلق .

- ويكون الانسان نفسه بغفلته وظلمه لنفسه او ظلم غيره له من اسباب استشعار هذا الخوف والبحث بالتالي عمن يشعره بالحماية والمساندة والدعم . ولايجد افضل من الولي الذي يرقد في نفس الحي او في حي قريب لذلك ترددت عند الشعراء الفاظ الحماية والاغاثة والولاية . . . وعينوا لكل مدينة حاميها او حماتها ينهضون بهذا الدور النفسي بالنسبة للسكان على وجه العموم .

ويعبر الشاعر الشعبي عن وجهة نظر الناس، وهو لسان حال كل الفئات الشعبية، ومن هنا يستمد اهميته .

وقد جاءت القصيدة الشعبية التوسلية على العموم وفية لمسلمات الشعر الشعبي الملحون وخصائصه، اللهم ما كان من الفروق الطبيعية بين الشعراء بحسب مستوياتهم، الشيء الذي يؤكد عدم

تكلفهم وقيامهم بوصف معاناتهم وتجاربهم بصدق واخلاص . فمدح الاولياء والتوسل اليهم هو رافد من روافد الادب الديني الذي يشتمل على مدح الرسول وادب التصليات والاذكار، ومدح آل البيت ورثائهم، والشوق والحنين للبقاع المقدسة والذي يعد غرضا اساسيا من اغراض الشعرين المدرسي والشعبي .

المطلب الثاني - الدقة المراكشية

من الصعب تتبع مظاهر تاثير سبعة رجال في المرددات الشعبية، اذ لايكاد يخلو اي صنف من اصناف هذه المرددات من هذا التاثير .

فقد تبين لنا فيما سبق ان التوسل بالاولياء والاعتماد على حمايتهم والشوق الى زيارتهم من المعتقدات الراسخة في الذهنية الشعبية، وتبلغ اعلى درجات الخطورة فيما يدعي "حج المسكين" الذي لايستطيع لسبب ما زيارة البقاع المقدسة، فيلجأ الى حج من درجة ثانية في جبل العلم (ضريح ابن مشيش) او في ضريح (بويا عمر) بالسراغنة، او طواف سبعة رجال مراكش .

ومثل هذا الاعتقاد موجود لدى كافة الشعوب وفي كل المجتمعات .

وقد سبقت الاشارة الى وجود ظاهرة سبعة رجال في مدن ودول اخرى (120)

فمن الطبيعي اذن ان يعبر الفن بمختلف انواعه واشكاله عن هذه الظاهرة، فسواء الاغاني الشعبية، او فيما يسمى في مراكش (اكريف الميزان)، نسمع مثل هذه الابيات المعبرة :

أرواح اللي ابغا يزور الولي مول القصور

مول الطابع ما يفرط فيا

ومثل هذا البيت،

---

(120) الفصل الثالث في الكتاب الاول .

را مــــراكش كـــالو ابعــــيــــد فــيـــه النخل وفــيــه الجــــريد
ســـيـــدي بلعـــبــــاس مــــا يفــــرط شي فــيًا

وقد يستغل البيت لذكر صلحاء آخرين بدل الغزواني والسبتي

وتجاوز الامر المرددات الشعبية بالمدينة الى طرب القبائل الكثيرة التردد على مراكش وخاصة منها قبائل الحوز . اذ نجد الادب الحوزي يهتم بزيارة اولياء المدينة ومنهم سبعة رجال . وتصف هذه القصائد طقوس الزيارة وتحرك موكبها ودخول المدينة والقيام بالطواف واستخلاص العبرة والدعاء والتوسل .

ان خوف الاطالة يجعلنا نركز حول نموذج واحد : هو الدقة المراكشية .

ان المعلومات المتداولة في موضوع "الدقة المراكشية" تتسم بكثير من التناقض، وتفتقر للوثائق والحجج : فمن قائل بالاصول الافريقية للدقة لمجرد وجود "القراقب" الحديدية ضمن آلاتها، الى قائل باصولها البربرية لوجود بعض العبارات الامازيغية مثل "افوس" "اعراَج" و "اگوال" . ويدعم هذا الراي وجود فن شعبي شبيه بالدقة في مدينة تارودانت .

اما تاريخ الدقة فمن الصعب تحديده لانه كباقي الفنون الشعبية يرتبط وجوده بوجود الانسان نفسه . الا انه فن اسلامي :

- لارتباطه زمنيا بمناسبة دينية اسلامية وهي الاحتفال بعاشوراء .

ومن هنا جاءت فكرة نشاته في ظل حكم يعادي الشيعة (يبدون الحزن الشديد في هذه المناسبة) .

- لان في زجله دعوة الى التوسل بالاولياء واحترامهم واتباع الطريق السوي .

وترد كثير من الاقوال تاريخ الدقة الى عصر المنصور السعدي، ولعل السبب في ذلك عائد الى ما عرف عن هذا السلطان من تشجيع للالعاب في المناسبات الدينية تخليدا لانتصاره في معركة وادي المخازن فقد تحدث المؤرخون عن احتفالاته بموكب الشموع الذي شاهده اثناء زيارته لاسطمبول . واقامته لحلقات الذكر والامداح النبوية بهذه المناسبة (121) .

---

(121) تحدث الفشتالي عن مواكب الشموع في مناهل الصفا 235 – 238، طـ . الاوقاف د ت، وكذا المقري في روضة الآس، طـ . ملكية 13 – 14 .

الا ان انعدام الوثائق يجعلنا غير مطمئنين لهذا الرأي، وحتى "العيط" (الزجل المعتمد في الدقة) لايساعدنا على ذلك، لانه كما سنرى، غير قار، يتغير بتغير العصور فلا يبقى الا جوهره .

وللدقة زمان : هو ليلة عاشوراء، ومكان، هو كافة احياء المدينة . وتقوم على ترديد زجل شعبي يسمى "العيط" .

وتنقسم الجوقة المرددة الى قسمين : يردد الاول الشطر من البيت، والثاني الشطر الثاني منه . مع النقر على "التعاريج" وينسق بين القسمين شخص يدعى "العراج" في حين يقود الجوقة حامل "البندير" ويتبعه في تحركاته وايقاعه حامل "القراقب الحديدية".

ولإيقاع الدقة اربعة موازين :

1) ميزان رباعي، توحي دقاته الاربع بعدم استقامته مع تجاوب القراقب والبندير .

2) ميزان رباعي متعادل الضرب تتداخل فيه نقرات البندير والقراقب جماعة تضرب ايقاعا رباعيا معتدلا، واخرى تحدث ايقاعا ثلاثيا سريعا وثالثة تحدث ايقاعا ثنائيا مؤجل النبر .

3) ميزان ثلاثي ذو ايقاع سريع حثيث .

4) ميزان رباعي تشتد حمأته من فرط سرعته، وتصحب ايقاعاته الصاخبة تهليلات وصيحات من طرف العازفين (122) .

وتكون الدقة ناجحة في مرحلة "افوس" (123) اي الانتقال الى الميزان السريع . والمفروض ان يقع الانسجام في الانتقال بين كافة المشاركين : صاحب البندير، والقراقب، واصحاب التعاريج . وهو امر يحتاج الى دربة وممارسة، اذ ان بقاء تعريجة واحدة في الميزان الثقيل او خروجها قبل الوقت المناسب الى السريع يفسد "أفوس" .

بعد هذا التقديم الضروري، نركز حديثنا على اهم شيء في الدقة وهو الزجل الشعبي الذي تردده الفرقة في مرحلة الضرب الثقيل ويسمى لذلك "العيط" (من عيط القوم اي صاحوا واجلبوا) .

---

(122) الموسيقى الشعبية المغربية عبد العزيز بتعبد الجليل، الفنون غشت 1978 ص 48 – 71 .

(123) كلمة امازيغية معناها "اليد" ولليد الفضل الاول في حدوث الانسجام .

وتكون لهم بالفعل صيحات وجلبة، سواء اثناء الترديد المزدوج، او عند الاعلان عن نجاح "افوس" .

ويسمح لنا التدبر في نصوص "العيط" ورواياته بابداء الملاحظات التالية

1) انه تراث شعبي اصيل لايعرف قائله او ناظمه، وانما هو منسوب للفئات الشعبية بكاملها على امتداد زمن وجود هذا الفن .

2) نص العيط طويل يختلف حجمه من راو الى آخر . ويتفق الرواة على ان اغلبه ضاع، وانه اطول مما يحفظون ويتناقلون . وقد قدمت لنا تقديرات في الموضوع اقلها مائة وعشرين بيتا، واقصاها اربعمائة بيت، غير ان المتداول حاليا اقل من ذلك بكثير . ويمكن رد هذا الاختلاف الى الفقرة التي يذكر فيها الاولياء، فانها تطول او تقصر بحسب الاسماء الواردة فيها .

وتكون الجوقة بامس الحاجة الى العيط الطويل حتى لا يحدث السأم بالاستمرار في ترديد نفس البيت زمنا طويلا . فالمفروض ان يستمر "جر العيط" حسب اصطلاحهم من بدء الدقة (بعد صلاة العشاء) الى "دخول افوس" (قبيل الصبح) وخاصة اذا صادفت المناسبة فصل الشتاء .

3) عيط الدقة مفتوح ومرن، يزاد فيه وينقص منه بحسب الظروف والاحوال تتغير الفقرة المخصصة للسلطان بتغيره، ويسجل الاحداث التي تعرفها المدينة او التي تعرفها البلاد، ويتم تناسي فقرات لم تعد لها اهمية لفائدة المضاف ذي الاهمية .

فقد روى لنا الشيوخ ابياتا في ذم الاستعمار ومساندة الوطنيين اثناء الحماية، كانت الفرق تدخلها بين سطور التوسل، داعية الاولياء ان يخففوا عن البلاد مصابها .

كما يحفظون ابياتا في الغزل بالمذكر، حذفتها الفرق من مردداتها لان الذوق العام لايستسيغها ، من مثل قولهم :

يشـــيــــر اصـــــغــــيــــر	خـــويا خـــويا واعطيــــه درهمـــو
مـــــجـــــدول احـــــريـر	خـــويا خـــويا دلاّ اكـــمـــايمو

4) عيط متغير كذلك، اي انه لايحتفظ بنفس التسلسل : تقدم وتؤخر الاقسام بحسب الحومات والاحياء، كل واحدة تقدم الاولياء المدفونين فيها وتخصص لهم فقرة اطول، وتهتم باستعراض اسماء اعلام الدقة بها، ثم تاتي على ذكر باقي اسماء الاولياء المشاهير، وبعض مظاهر الحياة

الاجتماعية في الحومة والمدينة على العموم .

ويلاحظ التغيير في النطق ببعض الالفاظ وفي مواقعها داخل البيت وهذا راجع الى الاعتماد في العيط على الرواية الشفوية واهمال كتابته . وهذا ما تسبب كذلك في ضياع اغلبه .

اما الاقسام الثابتة في العيط فهي :

1) المقدمة، في ذكر اسم الله والصلاة والسلام على نبيه المرسل الشفيع :

نبــــدو بـاسم الرحــــمن   بـاسم العـــــالـي
الصـــــلاة علـى زيـن الـزيـن   طـــــه ويــــاســــين
الشـفـاعـة يا سيـد المرسلين يا نبينا   ســعــدي بالشـــافع فـــينا

2) الدخول، في الدعوة الى التمتع بمشاهدة هذا الفن وما يواكبه من فرحة وسرور، مع ذكر اعلامه المشاهير :

يا الله اوا اتشـوف بسـاط لفـراجـا   نبكي وننُوح على فـراق سيـدِي مَاجَا
شـوف الدقـة وصـوتهـا مـعلّي   غـابوا ناسْهَا مـا حـضْرُو شي ليـهـا
عُشــــــاق الـزَّيـن   وَلْد اسْمـيـرَسْ الله ايرحـــمـو

ويبدو ان الفرقة كانت تقوم بتمثيل بعض الادوار المسرحية كما يبدو من البيت الاول (بساط، فراجا، وبداية القصة في الشطر الثاني)، قبل الشروع في " جر العيط" . ومن اعلام الدقة الذين تذكرهم الاحياء كلها باجلال "ولد اسميرس"، ولا يعرف العصر الذي عاش فيه وتضيف بعض الاحياء اعلامها مثل : بِحِير، بابا . . .

ويتم تنبيه المبتدئين او "العسريين" (الذين لايستطعون الضرب والانشاد معا) الى ترك الكور (اي دائرة المنشدين) لما سيترتب عن مشاركتهم من نتائج قد يكون ثمنها الضرب المبرح . ويسمون العسري "بالفَزْعي" اي العديم التجربة، الثقيل الظل :

والــلّي فَزْعــي ولا يــعَرْف يَدْوي   لـلـه واش جَابُو لـيـنـا لـهْنـايـا
نُوضـو نُوضـو وعليـه مـانُوضُو   وهـنـا كَايـين لخــــويا ابْرَزْنا

وفي شطر (نوضو . . .) اشارة الى عقابه، ولفظة (ابرزنا) - اي الشوب الابيض الذي

يغطي الراس - (العمامة) يبين ان المشاركين في الدقة يكونون من كبار السن ذوي التجربة . اما "دقة" الاطفال والاحداث فلها مجال ارحب يبتدئ من مطلع محرم الى مابعد عاشوراء كل يوم .

3) القسم الاول، في ذكر الاولياء والتوسل بهم : يدعو زجل العيط الى زيارة اشهر اولياء المدينة والتوسل بهم والدخول في حماهم، وتعطي سبعة رجال الاسبقية :

للغـــــزواني جـــــيت انزور	الولي مــــول القـــصــــور
او الـولـي مـــــــول الدلـيـل	حرمة سيدي مسعود مايفرط فيا
او الولي ســـــيــدي بلعـــبـــاس	القاضي عياض مايفرط فيا
ابن جـــعـــفـــر سلطان	جـاب الصّولا لُولاد حـــومـــتـــو
الجـــــامـــــور ايبـــــان	والسـقـــايا فــقــدام قــبــتــو

والملاحظ ان عيط الدقة يردد تلك المعاني "الخاصة" التي وجدناها في الشعرين المدرسي والملحون : مول الدليل، مول القصور بلعباس، سلطان المدينة . . .

وقليلا مانجد في روايات العيط ذكرا لاول الرجال السبعة (يوسف بن علي) وآخرهم (السهيلي) وذلك لان ضريحيهما يوجدان خارج الاسوار (124) .والتنويه يخصص للاولياء حماة الاحياء .

وهذا القسم مفتوح ومتغير -اكثر من غيره- فمن خلاله يمكن ان يطول العيط حتى يبلغ الارقام التي يسوقها الرواة، خاصة وان تركيب الابيات مرن وطيع ومتكرر، فبدل البيت :

ارواح اتـزور شـــــــيـخ الخَضْرا	مـــــولاي بُوعـــــمـــــرو

نجد روايات مثل :

أرواح اتزور شــــيخ الخـــــضـــرا	مـــــــــــــولاي الــكــامـل

---

(124) ظهر حي شعبي من نوع البناء السري العشوائي حول ضريح سيدي يوسف بن علي، ابتداء من اوائل الاستقلال، واستمر في التوسع نظرا لازمة السكن وهجرة القرويين الى المدينة حتى اصبح الآن اكبر احياء المدينة على الاطلاق (يضم زهاء مائة الف نسمة) .

وهو ابن سيدي بوعمرو القسطلي . وكذلك الشان في مثل هذا البيت

أوا الولي سيدي بنصالح حرمة للانجمة السكراتيا

اذ نجد رواية اخرى تقول،

أوا الولي سيدي ميمون للا زهرة ماتفرط فيا

وهكذا يمكن توظيف هذه الصيغ والتراكيب لذكر كافة او معظم اولياء المدينة والتوسل بهم ولما كان عددهم كبيرا (كل قدم بولي) فإن نص العيط سيطول لامحالة، وفي هذا مساعدة على قضاء الليل الطويل دون ترديد نفس الابيات .

4) يتناول القسم الثاني من العيط الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة وبعض عادات سكانها، والدعاء للسلطان الحاكم .

يبدأ الحديث عن هذه المظاهر من "الحضّار" او المسيد الذي يَحفظ فيه الاطفال القرآن الكريم، ويتعلمون القراءة والكتابة، فهو الاساس وعليه الاعتماد في تكوين العلماء . ويرتبط المسيد بحي الزاوية، زاوية الحضر، رمز التمدن والعطاء والفهم والاناقة عند سكان المدينة حيث المساجد والزوايا والمدارس وعلى راسها مسجد ابن يوسف ومدرسته :

اهل الزاوية جيت انزور تلقى حرش العينين

فم باب احضارو أوَعْدي تايعرض اسوارو

ولا ينسى المراكشي عادة من العادات التي جبل عليها وهي الخروج الى النزهة في الحدائق والعرصات التي تزخر بها المدينة وضواحيها وما اكثر اسماء العراصي التي يذكرها العيط . فلكل حي عرصته المفضلة القريبة من بابه الرئيسي (125). ويذكر العيط بساط سليمان وعرصة احريللي (126) .

---

(125) توجد اغلب العراصي واكبرها خارج ابواب مراكش، ومنها ما يوجد داخلها . انظر مقالتنا حول "معجم عراصي مراكش" في التراث الشعبي عدد 5/ السنة 12/ 1981 ص 79 - 98 .

(126) عرصة احريللي من اعظم عراصي مراكش، تقع خارج باب دكالة على طريق جيليز، اشترى المولى عبد الرحمن العلوي عيون مائها بين سنتي 1266 و 1267 هـ . وهي عين دادة / عين الشراط / عين هنتاتة / عين احميدة / عين مولاي بوستة / عين الجبابدي / عين البقال / عين بوشارب / عين الجاوصية / عين البطار / عين فريمة / عين الفقيه بن بلال / عين حمو بن سالم / عين الصواف . وهذه العيون والمياه دليل على اهمية العرصة =

الشـــبـــان را العـــالم ازيان نمشـــيـــوْ للنزاها ونـكيـــمـــو
فـــبـــســـاط سليـــمـــان

تـمًا تشـــربُو كـــيـــســـانا كـــيـــســـان الورد امْعَ الزهر
وذاك الخـــيلي ذاك الصـــفـــر

الـــنـــزاهـــا وقـــت الـــنـــوار فـــاحـــريللي واحـــريللي
ســيــدي ربي نرجــاك يا العـــالي يزيان حـوزنا ترخـاص كل امـــالي

والدعاء للحوز بالخصب له دلالته عند المراكشيين، فيه تنخفض اثمان الحبوب، ويعم الرخاء وتنشط التجارة بالمدينة وتزدهر لانها سوق قبائل الحوز، ومنها يتزودون بحاجاتهم .

وفي العيط الاشادة بالجمال وذكر معاناة الحب،

اعـيـون فـرياض اخـويا هلكوني سلوني سلوني بايت مـتـولع بكم
اهيـوا واجب اللي صـفـتـوني لله سالها يا العشير مالها عليا

وهناك ابيات تتحدث في ظاهرها عن اللقاء والفراق والحب، ولكنها في العمق ترمز للحياة والموت وحتميته (وقت الرواح مافيه امقالا)، وللزمان وغدره وتقلبه، لذا فعلى الانسان ان يتشبث بالدين ويلتزم باحكام الباري تعالى وشريعته، وان يقدم الخير ويسعى في سبيله .ومما احتفظ به العيط من هذه الحكم،

راحت راحت شـــمـس لعـــشي راحت فـحكام البـاري تعـالى
قـــال الزين انا بِيتْ نمشي وقت الرواح هذا مـا فـيـه مـقـالا
اللي مـا سـار يسـيـر غـيـر يمشي ليّام فـايتـا وا لسـوايع بدّالا
وفي رواية اخرى
ليـام فـايتـا والدنيـا بَدّالا
صلى الله عليك يا القـرشي مـحـمـد لمفضل سـيـد الرسالا

- انظر كناشة خ . ح. رقم 26 . وبها نسخ رسوم املاك السلطانين مولاي عبد الرحمن وابنه محمد بمراكش بين 1266 و 1283 هـ/ 1849 – 1866 م . عدد اوراقها 67 .

وهذه الابيات كثيرة التردد على لسان الصناع التقليديين بالمدينة يترغمون بها في اوراشهم ومعاملهم . وعلى الخصوص "الجصاصين" اثناء تجصيص سقوف المنازل . وفي البيت الثاني منها كلمة خاصة بأهْل مراكش وهي "بيت" التي تستعمل عندهم بدل "ابْغيتْ" اي اردت .

وآخر فقرات هذا القسم الدعاء للسلطان الحاكم بالنصر والتوفيق والاعلان عن رخاء المدينة وازدهارها تحت ظل حكمه .

والقالب المستعمل في هذه الفقرة، هو :

سـيـدي ربي نرجـاك يا العـالي — تكون في عـون (السلطان الحـاكم)

شف البـهـجـا الحـمـرا كـاتشـالي — بعنايت الهـمـام (السلطان الحاكم)

5) الخاتمة، يشير العيط الى النهاية (امشينا)، ويؤكد التوسل بالاولياء والاحتماء بالزاوية، زاوية المومنين، ثم يدخل مباشرة في الايقاع السريع ليخلص الى "افوس"، والنهاية

عـيـشـا عـيـشـا يابودلال — تلقـاي الخـيـر امـشـينا

انـا فـي عـمـار الـزاويـة — زاويـة المـومـنـين

هيـوا هيـوا هيـوا — هيـوا هيـوا اجـمـع

امـالي حـيـانا

هيـوا هيـوا هيـوا — هيـوا هيـوا هيـوا

وهكذا مع تنوع موضوعات العيط وتعددها يبقى موضوع التوسل باولياء المدينة (ومنهم السبعة) هو الاكثر اهمية والذي يشغل الحيز الاكبر من العيط لايمان الفئات الشعبية باهميتهم وحاجتهم الى حمايتهم وعونهم في وقت عانت فيه من الخوف من الطبيعة، والسلطان، والانسان .

خاتمـــــة الفصــــل،

كانت بعض اهداف المولى اسماعيل من تجديد طواف سبعة رجال مراكش، ان يبعد الناس عن طواف رجال رجراجة الشهير، ويثيرانتباههم الى رجال مراكش . وقد نجح في ذلك الى ابعد الحدود فاصبحت المدينة مقصدا للزوار، يحرص كل حَالّ بها ان يستفيد من بركة الزيارة . وليس ادل على هذا النجاح من حرص الملوك انفسهم على ذلك، فقد ثبت انهم طافوا بهم على الاقل مرة واحدة خلال حكمهم منذ المولى اسماعيل - المجدد - الى يومنا هذا مرورا بالسلفيين منهم كمحمد بن عبد الله، والمولى سليمان. . . . بل لقد اصبح من تقاليدهم ان يزوروا السبعة رجال قبل الخروج للحرب . وقد عبر عن ذلك الشاعر بنسليمان في مدحه لمولاي عبد الرحمن، وذكر استعداده للخروج لمعركة بالحوز،

وهو يا سيدي ومْنِين وجد الحركا واسگاد الشُّور

افعـــل مافعلــت اسلافـــو لفضــــال

طــــاف عن سبعتــــــو رجــــال

فايــز بذخيــرت اهل لكْمـــال

حاجتـــو نـــال .

فإذا كان هذا حال الملوك، فماذا سيكون موقف العامة ؟ والناس على دين ملوكهم، كما يقال .

لم يعرف اي عصر من الاعصار تعلق العامة بشيء كتعلق سكان المدينة والقبائل المجاورة وورا،هم المغاربة برجال مراكش، حتى انهم كانوا لايعقدون عقدا ولايحلونه، ولايقومون بعمل - كيفما كانت اهميته - الا بعد زيارتهم والطواف على اضرحتهم : من سفر، وبيع، وشراء، وزواج . . . وما شعروا بضيق او ضعف او مرض . . . الا طافوا بهم استغاثة او استشفاء، فكان لهذا اثره في الآداب والعلوم والفنون . فاصطبغ الادب العلوي عامة بالصبغة الدينية سواء ماتعلق منه بالشعر او النثر او التاليف .

وظل شعر المديح النبوي ومدح الاولياء والتوسل ، من اهم اغراض الشعر العلوي، بل يمكن اعتباره

المعبر الحقيقي من مشاعر الناس وعواطفهم وآمالهم . فخلافا لشعر المدح او الرثاء الذي قد يتسم بالتكلف ويفتقر للصدق، لايصدر هذا الشعر الا عن رضى وصدق ورغبة في التعبير عن مكنون قلب الشاعر، وفيه يجب البحث عن الخصائص الحقيقية لادب العصر .

وبما ان العاطفة وصدقها وحرارتها هي اساس هذا الشعر فاننا لم نجد فروقا كبيرة بين المدرسي والشعبي . فالمعاني متقاربة والاهداف والمقاصد موحدة، خاصة وان من شعراء الفئة الاولى من كان شعبيا بسيط الثقافة، ومن شعراء الفئة الثانية من كان عالما مؤلفا مزدوج الموهبة، بل ان المعاني نفسها وبالفاظها نجدها موحدة ومترددة ليس فقط في الشعرين معا، وانما في كثير من المرددات والاغاني الشعبية .

لهذا يمكن القول ان تنظيم الزيارة وتجديدها قد مكن من خلق تيار مهم داخل الادب الديني، فصار لادب التوسل باولياء المدينة نفس اهمية مدح النبي والتوسل اليه، مع بقاء الاسبقية للتيار الجديد على المستوى الاجتماعي . فلا نعجب اذا وجدنا محاولات لتنظيم زيارات اخرى (127) لعلها ان تجد نفس النجاح، وتستقطب نفس الاهمية، تترجمها آداب وعلوم من نفس المستوى .

ولايجب اغفال الجانب السلبي لهذا الظاهرة :اشاعة روح التواكل وعدم مواجهة الصعوبات والمشاكل بما يلزم من صمود وتحد وواقعية والاعتماد في ذلك على من لايستطيع نفعا ولاضرا .

ان التعود على الاحتماء بالاموات من الاولياء سيؤدي مع الزمان الى الاحتماء بالاحياء : من اشخاص، وهيئات، ودول ! !

---

(127) تتحدث كتب التاريخ عن سبعة رجال فاس، والريف، وسوس . انظر التفاصيل في الفصل الثالث من الكتاب الاول من هذه الاطروحة .

الفصل الثاني - في أدب الأذكـــار

تمهيــــــــــــد

المبـــــحث الاول - أهم روايات الدلائل وأثره في الحياة الاجتماعية

المبـــحث الثـــاني - شـــــروح دلائل الخـــــيـــــرات .

المبـــحث الثـــالث - أثـره فـي كـــتب الأذكـــار والصلوات

الخاتمـــــــة .

حظيت احزاب رجالات مراكش واذكارهم وصلواتهم بعناية كبيرة من طرف المريدين المعاصرين لهم، والذين جاءوا بعدهم . ومازال بعضها يلقى نفس العناية الى اليوم . ويمكن ان نذكر في هذا الصدد الصلاة العياضية، احزاب الشيخ ابي العباس السبتي، ووظيفة الغزواني واوراده .

الا ان الجزولي قد كانت له الصدارة في هذا الباب، اعتبارا لمكانته في التصوف المغربي: مجدد الطريقة الشاذلية، ومؤسس الطريقة الجزولية التي ستتفرع الى عدة فروع نشيطة . لهذا حرص الناس على رواية اذكاره واحزابه وتداولها وقراءتها وتيسير فهمها وشرحها :

- فمن شروح حزبه الكبير "سبحان الدايم" الشرح الذي وضعه عبد الوارث اليالصوتي(1)

- ومن شروح حزبه الصغير "حزب الفلاح" شرح ابي العباس احمد ابن ابي القاسم الزمراني التادلي الصومعي(2). وشرح عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر العياشي (3).

الا ان الاهتمام كان مركزا على كتاب دلائل الخيرات من بين مؤلفات الجزولي واحزابه، لعناية المؤلف به ومداومته على قراءته وتنويهه بفضائله . فقد قال عنه : قراءة كتاب دلائل الخيرات في حق اتباعنا وتلامذتنا ابلغ في التواب من قراءة غيرهم له (4).

فحرص مريدوه على تقليده والاقتداء به في ذلك، وتداولوا اخبارا عما حصل لهم بسبب ذلك من الفوائد والبركات، فاعتبر من احسن مايتقرب به الانسان الى خالقه، ويقدمه اليه ابتغاء عفوه وغفرانه فانتشر ذكره وذاع صيته، وتعلق المريدون باسانيد قراءته، وطرق تلاوته . وتكونت فرق لهذا الغرض في مختلف المدن وضعت لنفسها منهجا خاصا لضمان المداومة على قراءته وتوسيع نطاق الاهتمام به

وانكب العلماء على شرح صلواته ومناقشتها وتقريبها الى اذهـــان القراء والمريديـــن .

(1) توفي سنة 971 هـ. انظر في ترجمته مرآة المحاسن، ط. حجرية ص 210، وممتع الاسماع 73 - 74، ويوجد الكتاب ضمن مجموع مع النسخة السهلية بخزانة ابن يوسف رقم 377 .

(2) ذكره صاحب ممتع الاسماع 32 .

(3) م . خ . ع . ر 1638 د ابتداء من ص 163 ب .

(4) النور الشامل 12 .

فوضعوا لذلك الشروح الطويلة والمتوسطة والمختصرة . وخرجوا احاديثه، ووضعوا عليه الحواشي، بل ونظموا صلواته في اراجيز ومنظومات . واختصروه بانتقاء اهم صلواته في مؤلفات خاصة . ومنهم من حاول تقليده بوضع مؤلف يسير على منواله عسى ان يحظى ببعض ما حظي به كتاب الجزولي من اهتمام وتقدير فكتبوا عدة مؤلفات في هذا الباب .

واعتبارا لاهمية دلائل الخيرات ومكانته واننا سنكتفي بتتبع مظاهر تاثيره في ادب الاذكار على وجه العموم، دون باقي احزاب الجزولي، وباقي احزاب سبعة رجال مراكش ومؤلفاتهم، ونتخذه نموذجا لهذا التاثير حتى لا يتشعب بنا البحث .

وسيكون ذلك حسب التصميم التالي :

- اهم رواياته، واثره في الحياة الاجتماعية .
- شـــروحه .
- اثره في كتب الاذكار .

المبحث الاول - اهم رواياته، واثره في الحياة الاجتماعية

سبق ان تحدثنا عن دلائل الخيرات(5)، وركزنا على مضمون الكتاب، وتركنا مايتعلق برواياته وشروحه وقراءاته . . . الى هذا الفصل المخصص للاهتمام الذي لقيه الكتاب، واثره في ادب الاذكار عموما .

I - روايـــاتـــه :

اما رواياته واسانيده فمن الصعب حصرها: فقد تجاوز عدد الآخذين عن الجزولي اثني عشر الفا، اهتم عدد كبير منهم برواية الكتاب وتدريسه، فنشأت شبكات من الاسانيد لايمكن تتبعها كلها.

(5) الفصل الثاني من الكتاب الثاني .

وهناك روايات من نوع خاص، وهي التي يذهب فيها بعضهم الى القول بانه اخذه مباشرة عن الرسول يقظة او مناما او بهما معا، او عن طريق قاضي الجن شمهروش، فلم نحفل بتسجيل مثل هذه الروايات (6)

واهم روايات دلائل الخيرات ، هي :

1) رواية الهلالي : احمد بن عبد العزيز بن رشيد السجلماسي المتوفى سنة خمس وسبعين ومائة والف، فقد اخذه الهلالي :

- عن احمد التلمساني المصري
- عن احمد بن محمد النخلي
- عن عبد الرحمن بن احمد
- عن والده محمد
- عن ابيه احمد المكناسي الحسني .
- عن الجزولي (7) .

وقد اخذ عن النخلي المذكور عدد من المريدين مثل :

- عمر بن احمد الحسني المكي (8) .
- ومحمد الوليدي المكي (9)، وامتدت من خلالهما شبكات اخرى من الاسانيد .

وينتهي سند السجاعي (صاحب حاشية على كتاب دلائل الخيرات) الى احمد المكناسي الحسني تلميذ الجزولي المذكور اعلاه :

---

(6) انظر نماذج لها في المواهب القدسية ص 425، والسعادة الابدية 32/1 .

(7) فهرس الفهارس 1099/2، والمواهب القدسية 425 .

(8) المواهب القدسية 425 .

(9) فهرس الفهارس 751/2 .

فقد اخذ السجاعي،

- عن محمد البديري الدمياطي
- عن محمد بن احمد
- عن احمد المكناسي الحسني .

وتتصل رواية الهلالي باسانيد علماء مراكش المتاخرين، ومن هنا تاتي اهميتها . فمحمد ابن محمد ازنيط المراكشي المتوفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة والف (10)، احد علماء المدينة وامام جامع الجزولي وخطيبه يتصل بالهلالي عن طريق :

- الحسن بن الشاد العلوي
- عن محمد بن المكي الشريف الحسني الفيلالي
- عن مولاي الطايع
- عن الفضيل بن علي
- عن العربي بناصر
- عن احمد بن عبد العزيز الهلالي (11)

وكان لازنيط المذكور دور في استمرار هذا السند، اذ ان العلماء كانوا يرحلون الى مراكش للاخذ عنه : امحمد بن خليفة المدني دفين مكناس المتوفى في منتصف القرن الرابع عشر . حل بمراكش ونزل بفندق "لارنجا" بالقرب من مسجد ابن يوسف، واخذ عن الشيخ المذكور "دلائل الخيرات (12) .

---

(10) الاعلام 7/111 - 119 .

(11) الاعلام 7/118 - 119 .

(12) الاعلام 7/107 .

2) روايــة الجـــراري : ابو محمد يحيي بن عبد الله بن مسعـود البكري الجراري السوسي المتوفى في اواخر القرن الثاني عشر (13) : يقول في فهرسته بانه يروي دلائل الخيرات واحزاب الجزولي والمسبعات واوراده واذكاره وطريقته، وكذا طريقة الشاذلي . . .

- عن والده عبد الله بن مسعود
- عن احمد البهلول بن شعيب الجراري
- عن (المعمر) بلى بن محمد بن شعيب الجراري البلخيري،
- عن عبد العزيز بن عبد الحق التباع
- عن الجزولي (14) .

ويتصل الجراري بالجزولي بواسطة سندين آخرين (15) :

- السنـد الاول،

- عن والده، عبد الله بن مسعود .
- عن جده مسعود بن شعيب .
- عن احمد بن موسى السملالي .
- عن التباع .
- عن الجزولي .

- السنـــد الثانـــي،

- عن والده عبد الله بن مسعود

---

(13) انظر فهرس الجراري، م . خ . ح 3443 ز .

(14) نفس المصدر .

(15) نفس المصدر، وفهرس الفهارس 718/2 .

- عن جده مسعود .
- عن ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الدلائي
- عن والده ابي بكر
- عن عبد الكريم الفلاح
- عن عبد العزيز التباع
- عن الجزولي .

ويتصل سند بعض علماء فاس بالجزولي بواسطة :

- الكوهن، ومحمد التهامي بن رحمون الفاسي .
- وعن الكوهن اخذ الشيخ محمد بن عبد الحي الكتاني . ذكر ذلك في فهرس الفهارس وسمي هذا السند "سلاسل البركات الموصولة بدلائل الخيرات" (16) .

3) **رواية الجزولي السوسي**، محمد بن العباس بن الحسن بن محمد بن ياسين المتوفى في الربع الاول من القرن الثالث عشر (17) . ساق المؤلف ثلاثة اسانيد تصله بالجزولي :

- السند الاول،

- اخذ محمد بن العباس الجزولي دلائل الخيرات اذنا واجازة،
- عن عمه عبد الله بن عبد السلام بن ياسين .
- عن احمد بن محمد بن ناصر
- عن والده محمد بن محمد

---

(16) 1059/2 .

(17) فهرسته : المواهب القدسية م . خ .ع . ر 97 ج مجموع 389 الى 443 .

- عن محمد بن سعيد السوسي المرغيثي،
- عن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني
- عن محمد بن قاسم القصار .
- عن رضوان بن عبد الله الجنوي
- عن الغزواني
- عن التباع
- عن الجزولي

- **السند الثاني،** اخذ فيه محمد بن العباس دلائل الخيرات اذنا واجازة

- عن عثمان القادري
- عن الحفناوي
- عن محمد بن محمد البديري
- عن محمد بن احمد المكناسي السطاري
- عن ابي القاسم السفياني
- عن محمد الشرقي
- عن عبد الله بن ساسي
- عن الغزواني
- عن التباع
- عن الجزولي .

- **السند الثالث،** يلتقي برواية الهلالي السابقة الذكر، اخذ فيه

- محمد بن العباس دلائل الخيرات (اذنا واجازة)،

- عن شيخه التاودي بنسودة
- عن احمد بن عبد العزيز الهلالي
- عن احمد التلمساني المصري
- عن احمد بن محمد النخلي
- عن عبد الرحمن بن احمد
- عن والده محمد
- عن ابيه احمد المكناسي الحسني
- عن الجزولي (18) .

واشتهر بعض العلماء بتدريسهم لدلائل الخيرات وروايته بمراكش منهم :

- ابراهيم بن ادريس الحسني (19)، كان يدرس بضريح الجزولي اخذ عن محمد المكي الناصري عام تسعة واربعين ومائة والف واجازه فيه عن شيخه احمد بن سليمان الرسموكي الى مؤلفه (20) .

- وجاء في ترجمة محمد بن علي السملالي التمجروتي الناصري الفقيه المحدث الحافظ انه سكن مدينة مراكش مدة عام، في اواخر العشرة التاسعة من القرن الثالث عشر بمدرسة المواسين، واخذ بها عن العلامة ابن عبد السلام الناصري دلائل الخيرات .

وكان يدرسه ليلا بجامع ابن يوسف، وحضر عليه نجباء طلبتها واكابر علمائها كالعلامة مولاي احمد بوغربال، ومولاي احمد بن الكبير (21) .

---

(18) انظر اسانيده في المواهب القدسية 424 – 425 . وفهرس الفهارس 1162/2 .

(19) الاعلام 185/1 – 187 (وهو جد المسعوديين بحومة القصور)

(20) انظر في السند الرياحين الوردية، م . غ . ص 68 .

(21) الاعلام 49/7 –50 .

- ومنهم عبد القادر بن محمد بن قدور الدكالي المراكشي من سكان حرمة سيدي احمد السوسي المتوفى سنة ثلاثمائة والف .

كان يدرس دلائل الخيرات وعلوما اخرى. اخذ عنه بعضها سليمان بن عبد الرحمن بن أبراهيم الدمناتي المراكشي المتوفى سنة ثلاثين وثلاثمائة والف (22) .

وهكذا يتبين ان الاهتمام بروايات دلائل الخيرات واسانيده كان كبيرا، وان المريدين حرصوا على اخذه من افواه العلماء رواته واحدا عن واحد الى مؤلفه لتكو ن قراءته سليمة، وفائدته جليلة .

II- اثره في الحياة الاجتماعية،

دلائل الخيرات ورد من اوراد الطريقة الجزولية، لذلك يداوم مريدوها على قراءته . اما عامة الناس، فقد ولعوا بقراءته لما شاع من فضائل ذلك، ومن قضائه للحاجات (23) .

لذلك قال عنه حاجي خليفة (يواظب بقراءته في المشارق والمغارب لاسيما بلاد الروم) (24). وسنة الاشياخ من اصحاب الجزولي، والطريقة المثلى عندهم ان يقرا ثلاث مرات في الاسبوع: مرة خلال ايام: السبت والاحد والاثنين (الثلث كل يوم)، والثانية خلال ايام الثلاثاء، الاربعاء والخميس (الثلث كل يوم)، والمرة الثالثة يوم الجمعة (يقرا كاملا).

وهذا هو الورد الذي اوصى به الشيخ نفسه (25) .

---

(22) الاعلام 469/8 .

(23) النور الشامل 12، الرياحين الوردية 41، اظهار الكمال 240 .

(24) كشف الظنون 495/1 .

(25) الاعلام 85/5 - 86 .

ويوصي البعض بقراءته يوم السبت خاصة لمناقضة اليهود الذين يكثرون - حسب ما يقال - من سب الرسول في هذا اليوم (26) . واجيز للعامة اللحن فيه هند القراءة، كما هو الشان بالنسبة لباقي الادعية والصلوات مع ماتتضمنه من احاديث نبوية شريفة (27) .

وكان الشيخ العربي التلمساني يشترطون على من ياذن له فيه شرطين :

- احدهما، المواظبة على قراءته او ماتيسر منه

- الثاني ، ان يتمسك بالتقوى ولايشرب الدخان (28) .

فقد كان القراء يعتقدون ان مجالسهم تعبق فيها روائح المسك(29)،فلا يجوز افسادها بروائح الدخان.

وكان بعض المشايخ يواظبون على قراءته لايشغلهم عن ذلك شاغل، منهم : ابو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي (30)، وابو المحاسن يوسف الفاسي (31)، ومحمد بن عبد الله بن معن الاندلسي الذي اتخذ منه وردا يوميا (32) .

وكان ابو بكر الدلائي مواظبا على قراءته لايفارقه في اكثر الاوقات، يحض اولاده على قراءته، ويكافيء المجتهد منهم باعطائه بعض الفواكه والهدايا (33) .

---

(26) يذكرني في هذا الشان حديث مروي عن حذيفة (اكثروا من الصلاة علي يوم السبت فان اليهود تكثر من سبّي فيه، فمن صلى علي فيه مائة مرة فقد اعتق نفسه من النار وحلت له شفاعتي يوم القيامة)السعادة الابدية 34/2 .

(27) السعادة الابدية 31/2 - 32 .

(28) المواهب القدسية 425 .

(29) اظهار الكمال 240 .

(30) ممتع الاسماع 139 .

(31) الاعلام 413/10 .

(32) ممتع الاسماع 168 .

(33) البدور الضاوية . خ . ع . 261 د ص 6 ب .

وتنافس القراء في ختم دلائل الخيرات : فاذا كانت سنة الاشياخ ان يقرا ثلثه في اليوم، فان بعض العلماء كانوا يقرؤونه مرة أو مرات في اليوم . فابن داوود بن العربي الشرقي كان يختمه كل يوم بين العشاءين (34) ، في حين كان ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي عمرو يختمه كل يوم مرتين (35) .

ويروي محمد بن محمد المؤقت المراكشي ان والده كان كثير القراءة لدلائل الخيرات، ختمه في يوم من الايام ثمانية وعشرين مرة . قال، هكذا سمعته من لفظه وسالته عن قدر مايمكث في قراءته المرة الواحدة . فقال : كنت اختمه في مقدار ثلث ساعة، اما الآن فاني اختمه في مقدار ربع ساعة (36) !

ولعلهاسرع قارئ لدلائل الخيرات، ومن الصعب تصور ذلك عمليا : فربع الساعة هو تسعمائة ثانية، وعدد صلوات الكتاب سبع وثلاثون واربعمائة، تضاف اليها مائتا اسم واسم واحد من اسماء الرسول، فيلزمه ان يقرا صلاة في كل ثانيتين تقريبا ، وهو امر صعب اذ ان كثيرا من الصلوات تشتمل على ازيد من عشرة اسطر، وبعضها يتجاوز ذلك . ولعل العبرة من كلام ابن المؤقت يجب ان توخذ من خاتمته، فقد انهى الحديث مع والده بقوله : وشوهدت بركة ذلك عليه حتى قال له مولانا رسول الله صَ في قضية روحانية : احببت ان اكتبك في ديوان الشرفاء من آل بيتي)(37) . فالى هذا الحد بلغ اعتقاد الناس بفضائل قراءة دلائل الخيرات، فجعلوه مطية لقضاء حاجات الدنيا، وبلغ المؤقت المسفيوي المراكشي اقصاها بطلب النسب الشريف بواسطته، وهو ماكان ينقصه، وهو العالم المحترم في وسطه

وكان عبد الله الخياط الهاروشي من منتقدي هذه القراءة العجلى التي يسرد فيها الكتاب سردا حتى لايفهم مايقال .

---

(34) الاعلام 193/1 .

(35) انس الساري والسارب 127 .

(36) السعادة الابدية 40/1 و 33/2 - 34، وميزاب الرحمات 351 .

(37) السعادة الابدية 34/2 .

قال (بعضهم لا نراه الا يقلب الاوراق كانه يعدها، وليست لهم همة الا في قولهم فلان يقرا دليل الخيرات سبع مرات كل يوم، وفلان عشرا، وغير هذا من الاعداد التي لا يقلبها عقلي) وفضل قراءة شيخه محمد العياشي التي قال عنها (لو شئت لعددت حروف قراءته . . . فهي جهرية بينة في الملا والخلاء، اذا سمعته يسبح ترتعد فرائصك، ويدخلك الرعب والهيبة) (38) .

- اهـــل الدليـــل :

لهذه الغاية تاسست فرق لتلاوة الكتاب والاستفادة منه ماديا ومعنويا . وكان ذلك احيانا من مبادرة العلماء .

فقد رتب العارف الشعراني في اواخر القرن الحادي عشر اثني عشر رجلا من افاضل اهل العلم والصلاح لقراءة دلائل الخيرات كل ليلة اثنين وجمعة، وجعل لكل شخص منهم اثني عشر ريالا مصريا في السنة (39) .

ولاحمد بن عمر بن بوستة المراكشي دور كبير في نشر قراءة الكتاب بمراكش والمدينة المنورة. فهو احد علماء المدينة (كان والده عاملا للمولى سليمان عليها)، وولاه المولى عبد الرحمن على مدينة مراكش (40). فكلف طائفة من الطلبة بنسخ دلائل الخيرات، وكان يسفر نسخه ويجلدها ويبعث بها مع المسافرين وركب الحجاج ليوزعوها مجانا حيثما حلوا، وينشروها في الآفاق والاقطار والبلدان . وجعل للعميان الملازمين لمقام ابي العباس السبتي خراجا على حفظه، فلم يبرحوا ان حفظوه. فتنافس المبصرون في ذلك، وكونوا فرقا لقراءته جماعة . وعمد الى انفس بساتينه بمراكش (جنان سقر) (41)،فحبسه على من يقراه اتجاه الروضه الشريفة بالمدينة المنورة .واطلـــع السلطان مولاي

---

(38) الفتح المبين ص 201 .

(39) رواه عن حسن العدوي الحمزاوي في النفحات الشاذلية . اظهار الكمال 281 .

(40) نقل سنة 1279 هـ الى عمالة ازمور، وخلفه على مراكش الجيلاني ابن حمو الحمزاوي النجاري، وتوفي بفاس سنة 1292 هـ .

(41) في ترجمة القاضي محمد بن محمد الفلاق اشارة الى تنازع ورثة احمد بن عمر حول الفرديتين غير المحبستين من جنان سقر فقد حبس فرديتين من اصل اربعة التي يتوفر عليها الجنان (الفردية - نوبة سقي) الاعلام 78/7 .

عبدالرحمن على ذلك، فوافقه وامضاه) (42) .

فكان بذلك المؤسس لنظام فرق الدليل الذي مازال قائما الى اليوم بكثير من المدن المغربية.

وكان حفيده محمد بن عبد السلام بن احمد بن بوستة المراكشي المتوفى سنة واحد وخمسين وثلاثمائة والف من علماء المدينة المهتمين بكتاب الدلائل والصلوات على النبي على وجه العموم قلد مؤلفه بجمع صلوات سار فيها على نهجه سماها "نور البصر في الصلاة على خير البشر" (43) . وله كذلك كتاب في التصلية جمع فيه صلوات وقصائد شعرية في مدح النبي صَ، فاكتسب بذلك شهرة كبرى بين اصحاب الدليل، لذلك طلبت منه بعض فرق مكناس ان يؤلف لهم رسالة توجيهية يستنيرون بها في قراءتهم واجتماعهم . قال :(فتارة كنت اعتذر لهم بعدم تيسير الاسباب، وتارة اعدهم بالجواب الى ان ورد على كتاب منهم في هذه الايام يتضمن تاكيد الود والوفاء بالوعد، فاستحييت منهم، واستخرت الله سبحانه واجبتهم الى طلبهم بما بلغ اليه علمي ووصل اليه فهمي) (45) .
وسماها "اتحاف السائل في تنبيه اهل الدلائل " (46).

وقد قصد بها افادة جميع الفقراء (وهي وان كانت خاصة بالفقراء من اهل مكناس، فاني ارجو الله سبحانه وتعالى ان ينفع بها جميع اهل دلائل الخيرات، بل وكافة الناس) (47) .

اما الموضوعات التي تناولتها الرسالة فهي :
- فضائل الصلاة على النبي ومحبته .
- نصائح موجهة الى الفقراء : كالابتعاد عن الصفات الذميمة (الحسد، البخل، الكبر، الرياء، النميمة) واتباع الصفات الحميدة (العلم، العفو، الصبر، كظم الغيظ. . .)

(42) اظهار الكمال 281، والاعلام 91/5، والسعادة الابدية 33/2
(43) م . خ . ع . ر . 32 ك .
(44) م . خ . ع . ر . 2801 ك
(45) اتحاف السائل ص 181 .
(46) ضمن مجموع من 181 الى 237 رقم 32 ك .
(47) اتحاف السائل 182 .

- مدح اهل الدلائل عموما : (فهم السالكون احسن طريق، ياتون لذلك الجمع بنية صادقة، وقلوب للمصطفى محبة شائقة، فيدركون المراد، ويرجعون الى منازلهم باعظم اجر وخير زاد) (48) .

اما مقدمهـــــا (. . . لايكون الا من اهل النسب الصحيح، والشرف الصريح ولم يزل ذلك الى الآن)(49) .

ويسوق امثلة للمقدم الفاسد : المتهاون في امور دينه، والتارك لصلاته، والذي يسعى لها من غير استحقاق، فيكون قصده (التصدير والكلام في الجماعات والاختيار للضيافات) (50) .

اما المقدم الصالح الحقيقي، فيجب ان يتصف : بمتانة الدين، والورع، وحسن اليقين، وان يكون عالما بما يلزمه في دينه من معرفة العقائد وعلم ما يصحح به عبادة ربه من طهارة وصلاة وصوم وغير ذلك مما لابد لكل مومن . . .

- ولابد ان يكون تقيا نقيا، خائفا من ربه، فهو القدوة للآخرين .

- وان يكون من اهل العفو والحلم والحياء والشفقة والرحمة ليستوي عنده الضعيف والقوي، والفقير والغني (51) .

رسالة اهل مكناس الى بوستة بمراكش اعتراف بالسبق لهذه المدينة فيما يتعلق بموضوع الدلائل، بل لقد كان من اللازم ان يزور مقدمو فرق المدن الاخرى مدينة مراكش، وضريح الشيخ الجزولي بها قبل التصدر للرياسة (52) .

وتلتقي المصادر مع الرواية الشفوية في ارجاع الفضل في تنظيم اهل الدليل وتشجيعهم على حفظه وروايته الى القائد احمد بوستة المراكشي، الا انها لم تحتفظ مع الاسف بمعلومات عنهـــا

---

(49) اتحاف السائل 223 .

(50) اتحاف السائل 224 .

(51) اتحاف السائل 224.

(52) زارها عدد من المقدمين وعلى راسهم مقدم فاس ابو القاسم السجلماسي المتوفى سنة 1296 هـ .

فيما بعد فابن المؤقت يكتفي بالاشارة الى وجود هذه الطائفة التي تقرا الدليل بين العشاءين في عدة مساجد (53) . في حين اشار عباس بن ابراهيم الى ان الذي تراس الفرقة بعد وفاة بوستة هو محمد العوني، وقال عنه (وهو نعم الرجل خادم الفقراء احسن خدمة، متواضع) (54) .

الا ان الرواية الشفوية تجعل خليفة بوستة هو احمد بن سالم العبد . لذا تسمى هذه الفرقة "بالفرقة الاصلية او فرقة بنسالم" وسيسميها منافسوها فرقة "العوام" . ذلك ان جماعة رفضت خلافة ابن سالم المذكور، وطالبوا ان يتراسها شريف، فقدموا لذلك مولاي امحمد سيدي خويا الفيلالي. فاتفقوا في الاخير على تاسيس فرقة ثانية سمت نفسها "فرقة الشرفاء" . ونذكر بدون ترتيب اسماء بعض مقدمي الفرقتين :

- الفرقة الاصلية، او فرقة ابن سالم (العوام) : احمد بن موسى / مولاي الكبير / مولاي اسماعيل/ مولاي علي قلوش / مولاي العربي بن سعيد / مولاي عمر الجبلي . ومقدمها الحالي ابنه محمد بن عمر الجبلي الشللي (55) .

- فرقة الشرفاء، من مقدميها : مولاي امحمد سيدي خويا، محمد بن المهزي/ واخوه امحمد بن المهدي/ ومحمد بن ادريس/ ولد الحاج الطبايلي/ مولاياحمد الشناق/ مولاي العربي البوعناني/ مولاي احمد بن اسماعيل/ ومقدمها الحالي هو مولاي عبد الله الوزاني (56) .

وتتكون كل فرقة منهما من حوالي اربعمائة عضو ، عشرهم من الشباب والباقي يتعدى سنهم الاربعين . واغلبهم من الحرفيين والتجار الصغار .

---

(53) السعادة الابدية 2/32 – 33 .

(54) الاعلام 1/185 .

(55) من مواليد سنة 1926، معلم متقاعد له مهام اخرى : امام وخطيب وواعظ ببعض مساجد مراكش، ومدير كتاب قرآني بقاعة بناهض . كان والده مقدما مدة 31 سنة، فحل محله بعد وفاته سنة 1979 . ترجم صاحب الاعلام لوالده محمد بن احمد الجبلي 7/33 – 34 .

(56) اصله من مكناس له مهام اخرى : منها رآسة الجوق الاندلسي بمراكش، رآسة فرقة المداحين بها، ومقدم الطريقة الوزانية .

وتعقد كل فرقة اجتماعها الاسبوعي بمقرها (غرفة بضريح الشيخ الجزولي) يحضره ربع الاعضاء، وهو العدد النشيط فيهما ذلك انه لايتيسر اجتماع كل الاعضاء الا في مناسبة كعيد المولد النبوي.

وتجتمع الفرقتان معا يوم الجمعة بين العصر والعشاء لتلاوة "الدلائل" عند قبر مؤلفه الشيخ الجزولي، فتكون فرصة لتوطيد العلاقات بين اعضائها رغم المنافسة القديمة بينهم .

والمستوى الثقافي للاعضاء جد متواضع اذ لايعرفون شيئا عن الجزولي ومؤلفاته، او دلائل الخيرات وطبعاته وشروحه . . . ويكتفون بترديد ماوصل الى اسماعهم من كرامات الشيخ وخاصة لقاءه للمرأة التي تخرج الماء من البئر بالصلاة على النبي . . . وهي الكرامة التي دفعته - حسب زعمهم - الى تاليف الكتاب .

ويمكن ان نستثني المقدم مولاي امحمد الشللي، فبحكم مهنته له اطلاع على بعض شروح الكتاب، ومعلومات عن مؤلفه (57) .

ويحفظ اغلب اعضاء الفرقة دلائل الخيرات، ومنهم من يحفظ الصلوات الاكثر تداولا فقط، في حين ان اقلية تقرا بالنسخة . وكانت النسخ المخطوطة هي الاكثر استعمالا فيما قبل، اما الآن فان الاعتماد يكاد يكون كليا على النسخ المطبوعة بلبنان، والمحفوظة بخزانة الفرقة (58) .

ولا يكلف الانخراط في فرقة الدليل سوى الحضور الدائم لاجتماعاتها وقراءاتها مدة شهرين، بعدها يعتبر الحاضر عضوا كامل العضوية ولهذه الاجتماعات دور في ربط اواصر المحبة والتفاهم والتعاون بين الاعضاء، خاصة وانهم ينتمون لنفس القطاع . وكانت لهم اسهامات في الاحداث الوطنية، فقد كانت فرق الدليل على راس الخارجين الى الجهاد عندما سمعوا بدخول الفرنسيين الى الشاوية . كما كانوا في صفوف الوطنيين خلال الحماية، فلم يكن التوسل حائلا بينهم وبين العمل، اقتداء بالشيخ الجزولي الذي نهض لمحاربة البرتغال بشواطئ سوس .

---

(57) مستواه الثقافي الكفاءة الخامسة من التعليم الاصيل سنة 1949 .

(58) تحفظ في صناديق وتوضع بمقر الفرقة ويكلف بها "الجرايا" .

وللفرقتين برنامج محدد للقراءة :

- هناك قراءات يومية : قراءة الثلث من الكتاب بعد حزب المغرب في المساجد التالية : مسجد سيدي ابوب، مسجد باب ايلان، مسجد البغداديين، سويقة الموقف، مسجد سيدي مسعود بالموقف، مسجد سيدي مسعود بروض العروس، زاوية البونيين بباب دكالة ، ضريح ابن برجان بالرحبة القديمة، ضريح عبد العزيز التباع بثلاثة فحول، ويقرا كاملا بعد صلاة الصبح بالضريح العباسي .

- قراءة اسبوعية : تقرا الفرقتان الدليل كل يوم خميس بين المغرب والعشاء (النصف) وبعد العشاء (النصف الثاني) بضريح الجزولي كل واحدة على حدة . تجتمعان معا يوم الجمعة بالضريح لقراءته كاملا بين العصر والعشاء .

ويقرا الثلث كل جمعة صباحا بمسجد دقّة ورُبّع، وبمسجد درب تُدغا بباب دكالة . في حين يقرا الثلث في نفس اليوم عشية بجامع تَسَفْسَرْت والثلث بمسجد ابي الفضائل بالقنارية .

- قراءات موسمية : تتم حسب الجدول التالي،

. ليلة العاشر من محرم، وليلة المولد النبوي بضريح الجزولي .

. دورة سبعة رجال : تبدا يوم الاحد الاخير من جمادى الثانية بالنسبة لفرقة الشرفاء، يوم الاحد الاول من رجب ابن سالم . وتقرا فيها الدلائل كل يوم احد بضريح من اضرحة سبعة رجال حسب ترتيب الزيارة بين الظهر والعشاء بالنسبة للاضرحة الموجودة خارج الاسوار (يوسف بن علي والسهيلي)، وبين العصر ومنتصف الليل بالنسبة للاضرحة الموجودة داخل الاسوار .

ويكون الختم بضريح السهيلي يحضره اعيان المدينة وبعض المدعوين من خارجها .

. ليلة ابن العريف، تحييها فرقة الشرفاء يوم سابع وعشرين من رجب .

. منتصف شعبان، بضريح ابي عمرو القسطلي المراكشي بالنسبة لفرقة الشرفاء، وبضريح احمد السوسي بالنسبة لفرقة ابن سالم .

. رمضان، تقرا الدلائل بضريح الجزولي كل يوم بعد العصر، وبعد العشاء .

. ليلة عيدي الفطر والاضحى، بضريح الشيخ الجزولي .

- الدعوات العامة والخاصة : تقرا الفرقتان دلائل الخيرات وبعض الامداح النبوية وما تيسر من القرآن الكريم خلال دعوات عامة، مثل ذكرى وفاة الملك محمد الخامس، ويكون بعضها خارج الوطن (في مكة والمدينة) ودعوات فرق من مدن او قرى اخرى : كفرقة مسفيوة، وموسم زرهون وفرق فاس، مكناس، اكدير، الجديدة، بني ملال، تطوان، الرباط . وفي دعوات شخصية خاصة لدى بعض سكان المدينة او مدن اخرى : احتفالا بزفاف او عقيقة، او استشفاء من مرض، او ترحما على ميت او لمجرد التبرك والتيمن . وتعقد الفرقتان نزها في بعض عراصي المدينة خلال فصل الربيع وخاصة بعدما يسلم اليها نصيبها من ربيعة (صندوق الهبات والصدقات) ضريح سيدي يوسف بن علي،يقرا فيها الدليل والامداح النبوية.

وتنظم الفرقة القراءة تنظيما محكما (59)، فهناك المقدم الاول (مقدم الفرقة) وهو الذي يشرع في القراءة ويامر بها، وينوب عنه نوابه الثلاثة، يسمى كل واحد منهم "مقدم الثلث" اي المتخصص في ثلث من اثلاث الكتاب . ويركز المقدمون على مايسمى عندهم (قلب القراءة) وهم عشرة افراد او اكثر (حسب عدد اعضاء المجلس) يتصدرونه ويختارون من القراء الذين يجيدون الدليل قراءة وحفظا وانشادا، ويتوفرون على اصوات جهورية تغطي ماقد يقع فيه المجلس من خطأ في القراءة .

ويساعدهم اثنان او ثلاثة من (الجرايا)، من المقربين للمقدمين، يبقون واقفين للقيام بدور التنسيق بين قلب القراءة، وباقي اعضاء مجلس الذكر .

وفي القراءات اليومية او الاسبوعية، يقرا الدليل وحده من اوله الى آخره، في حين تقرا معه اسماء الرسول، ويتبع بالامداح النبوية (البردة، الهمزية، وبانت سعاد) وبعض الوتريات . . .

---

(59) لاهمية موضوع القراءة كتب مجهول رسالة (كيف يستفتح القارئ دلائل الخيرات) م . خ . تمكروت رقم 2363 .

والقسم الاكثر قراءة وترددا في المناسبات والدعوات الخاصة، حيث لايتسع الوقت لقراءة الكتاب بكامله هو الثلث الاخير منه، ويبدأ بقول الجزولي (اللهم رب الارواح والاجساد البالية، اسالك بطاعة الارواح الراجعة الى اجسادها . . .)

وتستغرق مجالس الذكر بين ثلاث واربع ساعات . واذا كان ابو العباس احمد بن يوسف الفاسي المتوفى سنة واحد وعشرين والف، قد لاحظ ان معاصريه كانوا ينشدون الدليل واحزاب الجزولي اعتمادا على طبوع موسيقية (60)، فان فرق اليوم لم تعد تولى لهذا النوع من القراءة اي اهتمام مع ان منهم مجموعة من المادحين والموسيقيين (61) .

ولمجلس الذكر آداب واعراف اهمها : الاصغاء الجيد، والتفكير فيما يقرا، والتزام الصمت والوقار . فهم يعتقدون ان النبي يحضر هذه المجالس، وقد سئل احد مشاهير القراء عن ذلك في اواخر القرن الثالث عشر (وهو ابو عبد الله محمد الخراص) فقال : "واش كاين شي عرس اللي ما يحضر فيه العروس" (62) .

وتعتبر فرقتا مراكش لاهل الدليل اهم فرق المغرب واكثرها اعضاء، واكثر مساهمة في انشطة الذكر والامداح . وتوجد فرق اخرى ببعض المدن المغربية كفاس : وكان مقدمها في آخر القرن الماضي احد علماء المدينة ابو القاسم السجلماسي (63) .ويقرا بضريح مولاي ادريس كل يوم بعد آذان الفجر جزء من الدليل واسماء النبي، وكل جمعة بين العصر والعشاء ببعض مساجد المدينة .

وبالدار البيضاء فرقة نشيطة كانت ترفع تساؤلاتها ومايحدث بين اعضائها من مناقشات حول الكتاب قراءة وفهما وتاويلا الى بعض علماء المدينة وعلى رأسهم محمد الرضى السناني الذي اثبت بعضها في كتابه الشذرات (64) .

---

(60) ممتع الاسماع 30 – 31 .

(61) كمقدم الفرقة مولاي عبد الله الوزاني رئيس جوقة الآلة بمراكش ومعه في فرقة الدليل (الشرفاء) بعض اعضاء الجوقة .

(62) السعادة الابدية 1/92 .

(63) ترجم له صاحب الاعلام 1/392 .

(64) ص 197 – 199 ط . الدار البيضاء .

وبمدينة سلا فرق تداوم على قراءته بالمراكز التالية :

- الزاوية الحنصالية، الاثنين بعد صلاة المغرب .
- ضريح سيدي علي، الخميس بعد صلاة العشاء .
- جامع الصبيحي، الجمعة بعد صلاة العصر .
- ضريح عبد الله بن حسون، سابع المولد النبوي .
- ضريح سيدي شاقور، ليلة نصف شعبان .
- سانية حماني خارج باب شفعة، ليلة المعراج، وليلة المولد .
- الزاوية التهامية، عاشر ربيع الثاني .

وتوجد فرق اخرى في الرباط (ضريح العربي بن السايح) ومكناس، وزرهون، وتطوان وببعض البوادي مثل مسفيوة بناحية مراكش .

ان الجزولي وكتابه دلائل الخيرات قد اثر وما زال يؤثر، اكثر من غيره من اصحاب الاذكار والصلوات - في حياتنا اليومية في المساجد والزوايا والاضرحة والقصور والمنازل . يهدي الناس الى سواء السبيل، ويحبب اليهم الدين، ويحثهم على العطف والاحسان والتعاون .

المبحث الثاني - شروح دلائل الخيرات

من مظاهر الاهتمام بدلائل الخيرات ماوضع حوله من شروح وحواش وتعليقات . . . تختلف حجما ومنهجا وهدفا، فمنها ماقصد به افادة المريدين والعامة، وتقريب النص اليهم . ومنها ماصنف لطلبة العلم، الا ان كثيرا من الشروح لم يصلنا منها الا الاسم او وصلت منها نسخ فريدة كثيرة البتر والخروم تصعب الاستفادة منها .

ويمكن تصنيف شروح الكتاب الى صنفين :

I- شروح مغربية .

بدا الاهتمام بالدلائل منذ تاليفه في منتصف القرن التاسع فقد سارعلى نهجه محمد بن

قاسم الانصاري الشهير بالرصاع في هذه الفترة (65) . ويرجع تاريخ شروحه الاولى التي وصلتنا الى الربع الاول من القرن الحادي عشر، وسيعرف هذا القرن تاليف اهم شروح الكتاب وان كان الاهتمام به قد استمر الى القرن الرابع عشر . وهذه الشروح هي :

1 - الانوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات،

لابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي المتوفى سنة ست وثلاثين والف (66) . والمؤلف مشهور بتصوفه وريادته في الطريقة .فقد توفي والده بعد سنتين من ميلاده . ونشا في حجر اخيه الصوفي ابي المحاسن، وحجور المريدين من اتباعه، ومنهم عبد الرحمن المجذوب الذي كان شديد الاحتفاء به (67) . وخلف اخاه في تربية المريدين وهو مؤسس زاوية القلقليين بفاس (68)

ومن هنا كان اهتمامه "باحياء علوم الدين" الذي كان يدرسه . وشرحه للحزب الكبير، ودلائل الخيرات للجزولي.

واشار في مقدمة الكتاب الى سبب تاليفه ومنهجه فيه، فقال : (اما بعد فاني لما رايت كتاب دلائل الخيرات وشوارق الانوار . . . من افضل ما صنف في كيفية الصلاة على النبي المختار . . . انتدبت لوضع تعليق يكون كالشرح لبعض معانيه، او كالتشهد بما قد يخفى او يحتجب من مبانيه لينبه العاكف عليه على بعض اسراره، ويزيده بصيرة في اجتناء ثماره، وسميته بالانوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات ، سالكا فيه سبيل الايجاز والاختصار قاصدا بذلك رضى الله ونصيحة عباده، وتمسكا بما قد يجدي متعلقا بـاذيال رسول الله ومصطفاه، والله سبحانه المستعان) (69) .

---

(65) في كتابه "تحفة الاخيار" سنتحدث عنه في المبحث الثالث .

(66) انظر في ترجمته ممتع الاسماع 159، والسلوة 304/2 . والكتاب مطبوع على الحجر بفاس 1317 هـ الا انه نادر الوجود . توجد منه عدة نسخ مخطوطة خ . ع . ر . 933 ك، 937د، 1643د، وهذه الاخيرة هي المعتمد في البحث .

(67) ممتع الاسماع 159 .

(68) نشر المثاني ط . 2، 268/1 .

(69) الانوار اللامعات ص 125 - رقم 1643 د .

فالدافع الى التاليف هو مكانة الكتاب بين كتب الصلوات والهدف منه مساعدة القراء على فهم غامضه . ومنهجه : الايجاز والاختصار، فلم يتعرض الا للكلمات والتراكيب التي يعتقد انها غير واضحة . فيذكر معناها اللغوي، وموقعها الاعرابي، ويضبط النطق بها، بذكر صيغتها او قياسها على كلمة معروفة . ولا يستطرد او يدخل في مناقشة الموضوعات والاشكالات التي يطرحها الكتاب .

ويعتمد المؤلف في شرحه على بعض مصادر التفسير (تفسير ابن عرفة) والحديث (صحيح البخاري، وفتح الباري، والشفا)، وبما ان الشرح لغوي، فان الملاحظ ان الشارح شديد الارتباط بالقاموس يذكره عند ايراد كل كلمة او جملة . ولعل هذا عائد كذلك الى اهتمامه بهذا الكتاب منذ صغره دون غيره من كتب اللغة . فقد كان ينسخه لنفسه حتى بلغ مادة "مع" حيث قال (او هي للمصاحبة، فكانت مناسبة للحال . ففاجأه الجذب وورد عليه وارد قوي ازعجه . فكان آخر العهد بالنسخ . ولازم ابا المحاسن واختص به (70) وكان ذلك في فترة المعاناة التي يمر بها كل مريد قبل ان تستقر احواله، ويلزم شيخه ويخلو له .

<u>2 - شرح دلائل الخيرات لمحمد العربي الفاسي :</u>

لمحمد العربي الفاسي المتوفى سنة اثنتين وخمسين والف (71) . المؤلف من اتباع الطريقة الجزولية وهو ابن ابي المحاسن الفاسي شيخ الطريقة ومجددها في عصره . وله مؤلفات في علوم مختلفة اشهرها : مرآة المحاسن في التعريف بوالده المذكور، وبشيوخه واتباعه في الطريقة ، كما اشتهر بجراته وفتاويه في الجهاد ومواجهة النصارى في الشواطئ، وموقفه من تسليم العرائش لهم .

وقد استهل شرحه بحمد الله والثناء عليه (الحمد لله الذي هدانا للايمان والاسلام . . .) ثم بدا مباشرة في شرح خطبة دلائل الخيرات .

وهو شرح لغوي شبيه بشرح عمه عبد الرحمن الفاسي السابق الذكر : من الاهتمام بمعاني الكلمة واعرابها وضبط النطق بها . ويختلف عنه بميله الى الاستقصاء والتطويل، وتناول القضايا

---

(70) نشر المثاني ط. 2 - 268/1 .

(71) انظر في ترجمته نشر المثاني 180/1 - 183، والسلوة 313/2 - 315 .

التي يعرض لها الجزولي . وقد قال عنه محمد المهدي الفاسي في مقدمة شرحه للدلائل : (. . . سالكا في ذلك مسالك التحقيق والتتبع للالفاظ والتراكيب، والتدقيق، معطيا فيها الادوات حقها، ومونيا الفاظ مشروحه من الفنون العلمية مستحقها) (72) .

وبالرغم من ان صفحات الكتاب قد تجاوزت الستين واربعمائة (73) ، فان الشرح ناقص (. . . فانه رامه بالشرح بما يحصل به لو كل السرور والشرح) (74) .

اما القسم المشروح من الكتاب فهو :

1) من الفاتحة الى قول الجزولي "وعن بعض الصالحين انه قال : كان لي جار نساخ فمات . . . " اي يناهز نصف الفصل الاول " (75) .

2) ومن بداية الفصل الثاني (في كيفية الصلاة على النبي . . .) الى آخر الربع الاول " الحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته . . . " (76)

وجاء في آخر القسم الاول : هذا ماشرحه المؤلف رحمه الله من فضل الفضائل، ومن خطه نقل، ثم شرح قدس الله روحه من فصل الكيفيات الى آخر الربع الاول حسبما هو بخطه .

ويشير محمد المهدي الفاسي الى هذا التوقف بقوله (ثم خمدت قريحته، وفترت عزيمته، ولم يزد على ذلك شيئا مع بقائه حيا) ويفهم من حديثه ان السبب عائد الى انعدام (كتب الحديث والسير التي هي في هذه البلاد مفقودة لاتظهر) (77)، ولايمكن وضع شرح مفصل للدلائل دون الرجوع اليها .

وفيما يلي نموذج من هذا الشرح :

---

(72) تحفة الاخيار ، المقدمة . خ 11193 ز .

(73) النسخة المعتمدة رقم 1532 ك ،منسوخة سنة 1129 هـ عن نسخة المؤلف تقع في 467 ص.

(74) مقدمة الشرح للمفصل تحفة الاخيار .

(75) من ص 1 الى 188 من الشرح .

(76) من ص 189 الى 467 من الشرح .

(77) مقدمة تحفة الاخيار .

(اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد عدد ما اظلم عليه الليل) اي عدد ما اشتمل عليه الليل، ولفظ الليل قيل هو اسم جنس ليلة، كثمر ثمرة . قال ابو حيان والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع، واخطا من زعم ان جمعه ايال او ليال " بل ليان" جمع ليلة، ونظيره كيكة وهي البيضة وكياك كانهم توهموا انها ليلات وكيكات . ويدل على هذا التوهم ليبلية في التصغير، وقد حرصوا بليلات في الشعر (في كل يوم وبكل ليلات . . .)

(واضاء عليه النهار) اي ما اشتمل عليه النهار، والاضاءة لازمة له، فكلما كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا، وكلما كان النهار موجودا، كان وجه الارض مضيئا . . .(78)

3 - تحفة الاخيار، ومعونة الابرار، العاكفين على دلائل الخيرات وشوارق الانوار(79)

لمحمد المهدي الفاسي (80) المتوفى سنة تسع ومائة والف . وهو ثالث العلماء من الاسرة الفاسية يشرحون الكتاب .

والمؤلف من اعلام الطريقة الجزولية كذلك . اخذ عن محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الاندلسي، وابي الفضل قاسم الخصاصي الفاسي وهو حفيد ابي المحاسن الفاسي شيخ الطريقة في عصره .

ويتميز المؤلف بغزارة انتاجه، وخاصة فيما يتصل بالطريقة الجزولية، فقد وضع تاريخا لها من خلال كبار اعلامها وتلامذتهم الى عصره في كتابه ممتع الاسماع، وذيله بكتاب الالماع ببعض من لم يذكر في ممتع الاسماع، وتحفة اهل الصديقية باسانيد الطريقة الجزولية الزروقية، كما عرف بجده ابي المحاسن في كتابين هما : الجواهر الصافية، وروضة المحاسن الزاهية . . .

ووضع ثلاثة شروح على كتاب دلائل الخيرات، كبير ومتوسط وصغير . وقال عن تاليف شرحه الكبير "تحفة الاخيار" :

---

(78) شرح دلائل الخيرات 410 - 411 .

(79) نسخة تامة في مجلدين، وقع الفراغ من تسويده عام 1089 بفاس ونسخ في 1143 هـ رقم 11093 ز ، خ . ح ، مجدول، مسطرته 35 عدد كلمات كل سطر بين 17 و 20 كلمة . نسخة اخرى رقمها 17 ز نسخت سنة 1143 هـ

(80) ترجمته في النشر 160/2 - 162 . ط . حجرية، ومؤرخو الشرفاء 192 - 193 .

(. . .اما بعد، فقد كنت فيما مضى قيدت تقاييد وطررا على كتاب دلائل الخيرات . . . ثم اني الآن خفت عليها الدثور والضياع، فيذهب ما عملت باطلا من غير جدوى ولا انتفاع، فانتدبت بجمعها في هذا التاليف، وزدت ما يسر الله تعالى مما حضرني من التصانيف) .

ويرد سبب اقدامه على شرح الكتاب الى عدم وجود شروح للكتـــاب يعتمد عليهـا (ولـم أر من تكلم على الكتاب المذكور ممن يعتـد بكلامه، ويعول على‌سطور اقلامه) واستـثنى من ذلك شرحي عبد الرحمن الفاسي، ومحمد العربي الفاسي، لان الاول شديد الاختصار والايجاز، والثاني ناقص لم يشرح فيه صاحبه الا جزءا يسيرا من الكتاب .

فـرغ المؤلف من تاليـف " تحفـة الاخيار" في السـادس عشر من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين والــف بفـــاس .

ويشعر المؤلف بصعوبة المهمة، ويردها الى اربعة اسباب :

1) قلة الكتب والعلم، وقد سبق ان بررنا توقف محمد العربي الفاسي عن اتمام شرحه بعدم وجود كتب الحديث والسير .

2) ضعف الادراك والفهم .

3) شغل اليد وتشتت البال بالتسبب واعتلال الجسم .

4) قوة ماحتوى عـليه الكتاب من العلم والاسرار، وما كساه من طلاوة وانوار بحيث يعز الظفر بكل معانيه (81) .

ومع ذلك يقدم على شرحه عسى ان يجد فيـه العاكفون على قراءته بعض الفائدة (. . فانا مع عدم القـدرة ان ادعـيت او تعاطيت شـرحه، فـقد هجمت على عظيم، وتعرضت لامـر جسـيم . . . لكني اجمع مـالدي وما ساقه الله الي وان ظهـر لي مع ذلك شيء وحدي ذكرته ولم اكتمه عندي، سواء اخطات في ذلك او اصبت، اذ لعل مـاسطرت من ذلك كله، وكـتـبت، لايعـدم منه نفـعا من له على الكتاب عكوف، ان حصل له هذا المام ووقوف. . . وسميته تحفة الاخيار) (82) .

(81) مقدمة تحفة الاخيار .

(82) مقدمة تحفة الاخيار .

وقد استهل شرحه بسرد اسماء الكتب المؤلفة في الصلاة والتسليم على الرسول، ويقوم شرحه على الاهتمام بالمعنى اللغوي وبيان اعراب الكلمة وموقعها في الجملة، مع الحرص على المقارنة بين نسخ الدلائل، وتفضيل رواية النسخة السهلية . كما يهتم بالتراكيب البلاغية ويشير اليها متى وقعت في الكتاب المشروح . ويخرج الاحاديث موردا اكبر عدد ممكن من المصادر التي تروي الحديث ولايكتفي كغيره من الشراح بذكر مصدر واحد .

ويتسم هذا الشرح بالاستطراد والتطويل، وخاصة في بعض الموضوعات : كالحديث عن اسماء الرسول الذي شغل زهاء ربع الكتاب، وعن معجزات الرسول، واسماء الانبياء . . . وفي التعريف بالاعلام الواردة في الكتاب .وتدفعه رغبة الاستقصاء والتبيين الى مناقشة كل جزئية . فجاء مؤلفه جامعا لاصناف من المعلومات والنقول المستمدة من المصادر المتنوعة، مع اشراقات نقدية وجهها للاسلوب احيانا و للمصادر او الصوفية والذاكرين احيانا اخرى .

من نماذج شرحه :

(اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد عدد النساء والرجال)

قدم النساء لاجل السجع، ولو اراد مراعاة السجع ايضا في الصلوات التي بعدها ، لقدم بعد رضى نفسك، زنة عرشك، ثم بعده مداد كلماتك، ثم ملء ارضك على سماواتك بتقديم ارضك على سماواتك، لكن مراعاة السجع واستعماله وتكلفه، وخصوصا في الدعاء نص الائمة على كراهته وعدوه من المحدثات .

ونقل الشيخ ابو طالب في القوت في ذلك احاديث، واثار بعضها في البخاري، وبعضها في ابي داوود ، الا ما اوتيه عفوا وساقه الطبع وقذف به قوة الخاطر من غير تكلف ولا روية في اجتلابه، فلا باس به . وقال في الاحياء ان ما زاد على سجعتين فهو تكلف ينهى عنه . . . (اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها) .

اي بسببها ، وكذا يقدر في الاربع بعدها .

(من جميع الاهوال) جمع هول وهو ما يخافه الانسان ويفزعه ويعظم عليه .

(والآفات) جمع الآفة وهي العاهة ومايصيب الانسان مما ينقص به دينه او بدنه او دنياه، وفسرت الآفة ايضا بعرض مفسد للمراد مغير له على حسب مايعتريه .

(وتقضي لنا بها جميع الحاجات) هكذا في جل النسخ المعتمدة وفي بعض النسخ "وترفعنا بها عندك اعلى الدرجات " بزيادة عندك وهو في الفجر المنير . والمراد اعلى الدرجات التي تصلح لنا وتصح في حقنا . او ان الكلام خرج مخرج المبالغة، وكذا القول في قوله بعده .

(وتبلغنا بها اقصى) اي ابعده،

(الغايات) جمع غاية وهي المدى والنهاية .

(من جميع الخيرات) الحسية والمعنوية ،

(في الحياة) الدنيا،

(وبعد المماة) في البرزخ ومابعده (83) .

4 - مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات (84) .

لمحمد المهدي الفاسي السابق الذكر . وهو الشرح الموجز للكتاب قال في مقدمته (. . . وبعد فقد كنت وضعت على دلائل الخيرات تقييدا كالشرح لمبانيه، والتفسير لمعانيه، جمعت فيه ما لدي من التقاييد والطرر، ونسقت ماحضرني من النصوص والفوائد والغرر . ثم استطاله غير واحد ورغبوا فيما هو اصغر منه واجز في جمع الفوائد وتحرير المقاصد، وترك الزوائد، فاستعنت الله تعالى على هذا التقييد مقتصرا فيه على ما لابد منه من القدر المفيد، ومضيفا اليه بعض ما لم يكن في الاول تقرر . . . وسميته مطالع المسرات) (85) .

ومع ذلك فقد جاء في مجلد كبير الحجم يبلغ زهاء نصف الشرح المفصل :

- خصص ثلثه لشرح خطبة الكتاب، والفصل الاول منه، واسماء الرسول .

---

(83) مقدمة تحفة الاخيار .

(84) توجد منه عدة نسخ مخطوطة غ . ع . ر . 547 د، 1548د، 1652 ك وثلاث نسخ بخزانة ابن يوسف 41/1 -2-3 والثانية اجودها - مجدولة ملونة واضحة الخط، عدد صفحاتها 609، كتبت سنة 1147 هـ .

(85) مطالع المسرات ، المقدمة 1 - 2 .

- والثلثين للفصل الثاني منه في كيفية الصلاة على النبي .
- وذيله بشرح اسماء الله الحسنى وبعض الادعية المستجابة .

ولم يكن يميل فيه الى الاختصار، وانما يعطي للمسائل التي يشرحها حقها، دون ان يصل الى مستوى استطرادات " الشرح المفصل " التي كانت تبعده عن الموضوع المطروح . واهتم في مطالع المسرات بما يلي :

- اعتماد النسخة السهلية في سرد دلائل الخيرات، والمقارنة بين نصها ونصوص النسخ الاخرى التي كان يسميها (النسخ المعتمدة) مع ترجيح رواية السهلي .
- يشرح الالفاظ شروحا لغوية مع الاشارة الى موقعها الاعرابي ويعتمد في اغلب الاحيان على القاموس، وشروح الالفية، ومغني ابن هاشم . وخلافا لما هو الحال في الشرح المفصل فسر المؤلف الكلمات الواضحة التي لاتحتاج الى تفسير مثل : الفصل ، النوم، الموت، الحياة . . .
- تخريج الاحاديث، وذكر الاسانيد بدقة، ويتردد لديه : صحيح البخاري، وبعض شروحه وخاصة فتح الباري . وصحيح مسلم، والموطأ، ومسند احمد، وشرح الترمذي، والشفا، ومشارق الانوار ...
- رد الصلوات الماثورة الى اصولها وذكر اسمائها ان وجدت، واعتمد بالاضافة الى كتب الحديث على الحصن الحصين، وادعية البقري .
- الأستشهاد بالخطب والشعر .
- التطرق الي الموضوعات والقضايا المطروحة لدى الصوفية : الظاهر، الباطن، الحقيقة، الشريعة، مراتب الصوفية مثل الاوتاد، الابدال، والاقطاب . والعوالم الاربعة الملك، الملكوت، الجبروت، عالم العزة . والمقامات . . . ومن مصادره المعتمدة احياء علوم الدين، قوت القلوب، رسالة القشيري . . .
- ولا يخلو الكتاب مع ميل مؤلفه الى الاختصار من استطرادات، وخاصة في الموضوعات التالية : شرح اسماء الرسول، زوجاته وسراريه، اسماء الانبياء والملائكة، الصلاة والتصلية ومعانيها وفضائلها الايمان والاسلام، معجزات الرسول . .. ويعتمد في ذلك على كتب التفسير كتفسير ابن عرفة والنسفي، والرازي، وابن عطية . . . وكتب الحديث والسير السابقة الذكر، وتاريخ ابن عساكر وشروح المختصر . . .

- ولايخلو الشرح كذلك من لمحات نقدية، يرد فيها المؤلف الاقوال غير الصحيحة في نظره، ويحاول تقويمها وابداء الراي فيها وكان ابرزها في موضوعات التصلية والترحم والترضي واستعمال لفظ السيادة . وقد لاحظ ان الجزولي اخذ كثيرا مما جاء في مقدمة كتابه من كتاب المقدمات لابـــي الوليد بـــن رشيد .

5 - الشرح الوسيط على دلائل الخيرات (86) : لنفس المؤلف، بعد تاليف الشرحين الكبير والصغير، فكر محمد المهدي الفاسي في وضع شرح وسيط بينهما، يتجنب فيه استطرادات الاول، ويغني الثاني . وقد وضح ذلك في مقدمته فقال (. . . وقد اردت ان اجرد هنا ما في شرحي الكبير على دلائل الخيرات من الزيادات على الصغير، ليضيفها اليه من شاء . . . وقد كنت ادخلت فيه جميع ماحضرني مما قيدت عليه من الطرر والتقاييد، وما يناسب الشرح وما لايناسبه، كما ذكرت ذلك في اوله، في قولي : اما بعد فقد كنت فيما مضى . . . (نقل جزءا من خطبة الشرح الكبير تحفة الاخيار) (87) ويعترف هنا باستطراداته الواقعة في الشرح الكبير .

وحدد منهجه في هذا الشرح الثالث بقوله : (ولا التزم لفظ ما هنالك ولاسياقه ولاترتيبه، بل ذلك بحسب التيسير . واذكر الزائد مقتصرا عليه غالبا دون ما قبله من شرح كلام المؤلف، ما ترتب هذا المذكور عليه، وان حضرتني في الوقت فائدة زائدة ابديتها، او ظهر لي فساد في جملة من الكلام او استغناء عنها اخفيتها، او ابدالها بغيرها ابدلتها . وحذفت كثيرا من نصوص اللغة او اكثرها للاستغناء عنه، وبالله التوفيق) (88) .

وقد جاء في خاتمته (هذا اتمام التجريد لما في الشرح الكبير على الصغير من المزيد والحمد لله الولي الحميد) (89) .

---

(86) م . خ . ع . ر . 144 ك .

(87) مقدمة الشرح الوسيط .

(88) مقدمة الشرح الوسيط .

(89) ص 200 ب .

واهم ما يميز الشرح الوسيط :

- انه لايشرح دلائل الخيرات بكامله، وانما يقف عند الصلوات او الجمل التي يرى انها بحاجة الى مزيد من الايضاح والتفصيل، ويغفل تلك التي تعرض لها بتفصيل في تحفة الاخيار .

- لم يسلم من التطويل والاستطراد ، وخاصة في شرح باسم الله، والحمد لله، ومعنى الصلاة، وشرح اسماء الرسول، والخروج منها الى الحديث عن سيرته وغزواته وسراريه، واسماء الانبياء والرسل، والحديث عن الزيارة والترغيب فيها . وهي موضوعات سبق ان اطنب في الحديث عنها في شرحه المفصل .

- وكما هو الشان في شرحه الصغير كثيرا مايعمد الى شرح المسائل البسيطة الواضحة : كالفرض، والفصل، والحديث . . .

- ويخرج الاحاديث ويقارن بين نسخ الدلائل مفضلا النسخة السهلية .

- ويبدي المؤلف اطلاعا واسعا على كتب التصوف والحديث، ويستحضر آراء العلماء في الموضوع، ويناقشها بكثير من الدقة والتفصيل دون ان يغفل التعليق عليها بما يفيد القبول او الرفض .

وبهذا فان الاختلاف بين الشرحين المفصل والوسيط، لايرجع الى المنهج - لتشابه منهجهما معا - وانما يرجع الي ان الاول شرح فيه الدلائل كله، والثاني شرح فيه بعضه مما لاحظ انه اختصر القول فيه في شرحه الصغير .

بهذه التآليف الثلاثة يصبح محمد المهدي الفاسي اول المنكبين على دراسة دلائل الخيرات، واول من فسر غامضه، وبسط مافيه من علوم وناقشها ، فمهد للناس فهمه وادراكه، كل بحسب مستواه ومقدرته .

6 - اتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة بكشف القناع عن الفاظ دلائل الخيرات(90) لابي العباس احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر السكوني الفجيجي مولدا ودارا، الحسني نسبا .

(90) م خ ، ح . 3290 في 128 ورقة .

جاء في مقدمته بعد حمد الله والثناء عليه (. . .وبعد لما رايت دلائل الخيرات وشوارق الانوار المنسوب للامام بحر الموارد . . . من افضل ماصنف في كيفية الصلاة على سيدنا ومولانا محمد (صّ)، ومن اجلّ ما الفه . فاتضح لي ان الاعتكاف عليه والاشتغال به، والمداومة على قراءته وكتابته من وظائف الاخيار، ومن ورد المتقين الابرار . . . انتدبت لوضع شرح عليه ان شاء الله على حسب ما يتفضل علي الوهاب، واليق ما خفي منه بالفاظ وجيزة، واوضح ما اشكل منه ليكون نزهة للسائلين وتبصرة للعاشقين، وتذكرة للمتقين، وما ذلك على الله بعزيز . . .وسميته اتمام النعمة) (91) .

ويتضح من هذا التقديم :

- ان الفجيجي يقدم علي شرحه لانه يعتبره اهم وافضل ماصنف في كيفية الصلاة على النبي ليساعد قراءه على فهمه وادراك معانيه، هو نفس الدافع الذي دفع اغلب الشراح الى شرحه .

- ان الشرح مركز على الالفاظ، وقد اشار الى ذلك في العنوان (كشف القناع عن الفاظ دلائل الخيرات) .

- وانه وجيز نهج فيه سبيل الاختصار والايجاز . لذلك فهو يخلو من المناقشات العامية الطويلة والاستطرادات وتخريج الاحاديث باسانيدها وتناول القضايا الفكرية والدينية التي يطرحها .

وتقع النسخة التي وصلتنا منه في حوالي عشرين ومائة ورقة، تضم متن الدلائل وشرحه اللغوي معا .

7 - الازهار المنيرات في شرح دلائل الخيرات،

لمحمد بن محمد السالك المراكشي دارا ومنشئا، الجرني قبيلا (92)، والكتاب عبارة عن حاشية جد مختصرة، والنسخة التي وصلتنا منه كثيرة الخروم والمحو قليلة الفائدة (93) .

ومما تمكننا من قراءته : (الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الايمان والاسلام، وفضلنا باتباع نبيه سيدنا محمد افضل الصلاة وازكى السلام، وجعل صلاتنا عليه كفارة لنا من جميع الآثام . . .

(91) مقدمة الكتاب .

(92) ذكره صاحب الاعلام وقال بان الصغير الافراني اجازه سنة 1135 الا ان الظاهر انه وقع له خلط مع السالك بن السالك المراكشي كما لاحظ الناشر 6/58 - 59 .

(93) م . غ . ح . رقم 6494 ، في حجم صغير كثير الخروم .

وبعد يقول اضعف المسالك واحوجهم الى عفوه، مولاه محمد بن السالك المراكشي دارا ومنشئا، والجزني قبيلا، اني لما رأيت دلائل الخيرات وشوارق الانوار من افضل الكتب التي صنفت في كيفية الصلاة على النبي المختار، وكان الاعتكاف عليه . . . والمواظبة على قراءته تقوم . . . لمن اعوزه في هذه الاعصار من الابرار . . . (خروم)
وسميته الازهار المنيرات في شرح دلائل الخيرات، راجيا من الله الاكمال مستعينا عليه في جميع الاحوال) (94).

ويبدوا انه شرح الكتاب لنفس الاسباب :
- لاهيمته بين كتب الصلاة على النبي .
- ولمساعدة قرائه على فهمه وقراءته .
- ويتبين من خلال ما تمكنا من قراءته ان الازهار المنيرات شرح لغوي مبسط لنص الدلائل، يقدم معاني الالفاظ دون مناقشة المضمون او التعرض لما يطرحه الكتاب من قضايا واشكالات. ويبدو ان الشرنوبي قد احتذى حذوه في شرحه " مناهج السعادات" . فالشبه بينهما في المنهج كبير .

8 - تعليق على دلائل الخيرات،

للطاهر بن محمد بن ابراهيم التادلي المساوي البجعدي : تقع النسخة التي وصلتنا منه(95)في سبع وثلاثين صفحة من الحجم الصغير حالتها سيئة كحالة الشرح السابق "الازهار المنيرات" ويبدو انها جزء من الشرح تناول فيه - بدون شرح خطبة الدلائل - بداية الفصل الاول منه شرحا لغويا مقتضبا .

9 - ترجيز دلائل الخيرات،

لابي حفص عمر بن محمد المجاصي المكناسي، كان يشتغل به في اوائل القرن الثاني عشر الهجري . وقد وصلتنا منه نسخة جيدة مجدولة واضحة الخط، تقع في واحد ومائة ورقة (96) .

---

(94) مقدمة الكتاب .
(95) م . خ . ح . رقم 6657، كثير الخروم والمحو .
(96) م . خ . ح . رقم 884ز .

ولم يقم المجاصي بشرح الكتاب، كما جرت عادة المؤلفين، وانما رجزه على مافي ذلك من ابعاده عن وظيفته والغاية منه . ويلغ عدد ابيات الارجوزة حوالي الفين ومائتي بيت . استهلها بترجيز خطبة المؤلف، ثم الفصل الاول في فضل الصلاة على الرسول، والثاني في كيفية الصلاة عليه .

ومما جاء في المقدمة :

الحـــــمـــــد لله الذي هدانا ... للدين والايمان واجــتـــبـــانا
ثم الصــلاة والســلام ســرمــدا ... على النبي المصطفى مــحــمــدا
هو الذي من فــضله اســتنقــذنا ... انْ نعــبــد الاصنام والاوثانا
والآل والصـــحب الكرام البـــررة ... والتــابعين الســالكين الخـيــرة

وقال في الهدف من ترجيز دلائل الخيرات :

وبعــد فــالفــضل بهــذا الرجــز ... ذكــر صــلاتنا بلفظ مــوجــز
على النبي المصطفى مــحــمــد ... ســيــد كل مــقــتــد ومــهــتــد
اذكــر فــضلهــا بغــيــر سند ... يســهــل حــفظهــا لكل مــبــتــد
اذ هي افــضل جــمــيع العــمل ... لمن يريد القــرب للمــولى العلي
جــعلتــه مــحــاديا لفظ الامــام ... العـــــارف بربــه علـى الدوام
ابن سليــــمـــان اعني الجــزولي ... مـن آل بيـت المصطفى الرســـول

فالهدف هو الصلاة على النبي، لانها افضل العمل واحسن الوسائل المقربة من الخالق . اما المنهج فذكر الصلوات بلفظ موجز، خالية من الاسانيد ليسهل حفظها . محاديا في ذلك لفظ الجزولي .

ويعتذر الراجز لصعوبة ما اقدم عليه، ولقصور باعه، وعلو كعب صاحب الدلائل :

مــــهــــلا يا لائمي مما جــــعـلتــــه ... من التـجــاســر مما قــد رمــتــه
لأني لست من فـــرســـانهـــا ولا ... اطيق ان احــمــل مـــاتحــمـــلا
شــيـع الشــيــوخ العــارف بربه ... ابن سليــمـــــان بحق قـــدره

بهذه المقدمات ينظم المجاصي الصلوات مجردة من الاسانيد . فقال في ترجيزه لفصل : فضائل الصلاة على النبي".

قد قال من صلى في يوم الجمعة	عليّ حقا مائة مجتمعة
غفرت من ذنوبه العظام	وزن ثمانين من الاعوام
عن ابي هريرة فيما مضى	رضي عنه ربنا كل الرضى
قال رسول الله للمصلي	نورا على الصلاة بالتجلي
ومن يكن له على الصراط	لم ير نارا فهو ذو اغتباط
. . . قال النبي سيد السادات	اكثركم علي بالصلاة
اكثركم ازواجا في الجنان	حقا صحيحا خذه بالبيان
. . . وقال من صلى على مرة	صلى عليه الله حقا عشرة
ومن يصلي عشرة من العدد	صلى عليه مائة كما ورد
كذلك من صلى كمال المائة	صلى عليه الله الف مرة

وقد نظم في هذه الابيات بعض الاحاديث التي اوردها الجزولي في فضائل الصلاة على النبي، مثل (من صلى علي يوم الجمعة مائة مرة غفرت له خطيئات ثمانين سنة)، وحديث ابي هريرة (للمصلي علي نور على الصراط، ومن كان على الصراط من اهل النور، لم يكن من اهل النار) وحديث (اكثركم علي صلاة اكثركم ازواجا في الجنة) وحديث (من صلى علي مرة واحدة، صلى الله عليه عشر مرات، ومن صلى علي عشر مرات صلى الله عليه مائة مرة) .

وينظم عناوين الفصول كذلك :

فصل في كيفية ذا الصلاة	على رسول الله وصف يات

ومن نماذج ترجيز الصلاة الابراهيمية،

وصل اللهم على محمد	والآل مع ازواجه والمقتد
وذرياته كما صليت	على ابراهيم الذي اصطفت
وبارك على محمد وعلى	ازواجه وذرياته العلا
كما باركت على آل ابراهيم	انت حميد ومجيد وعظيم

ونظم تصليات الادعية النبوية بقوله،

اللهم رب محمد والآل	صل على محمد ثم الآل

واعطه الدرجة الرفيعة   في الخلد والوسيلة البديعة
. . . اللهم اعط محمدا الوسيلة   والدرج الرفيع والفضيلة

وتصليات التعداد والاستمرارية،

وصل ربنا على محمد   عدد خلقك لكل موحد
وعد ما خلقت او ماتخلق   وما احاط علمك المحقق
ثم الصلاة اضعاف الاضعاف   من ربنا المولى الغني الكاف
عليهم من الاله الحق   عدد ماعم القضا من خلق
ووزن عرش ورضاء النفس   ومدد الكلام دون حدس

ونظم التوسل باسماء الانبياء،

بحق كل اسم به دعاك   آدم إذنال به رضاك
بحق كل اسم دعاك به نوح   به سلام ربنا يلوح
بحق كل اسم دعاك هود   سلام ربنا له يعود

واسماء الرسول (ص)،

اسماء سيد الورى محمد   خذ : مائتان وذيلت بواحد
اولها محمد احيد   وحامد واحمد وحيد

واشاد المجاصي في الاخير بالسلطان الحاكم . وهو شيء انفرد به اذ لانجده في باقي الشروح، الا انه جد مفيد، اذ مكننا من التعرف الى الفترة التي الف فيها الكتاب، وهي اواسط القرن الثاني عشر الهجري (97)،

نشاته في دولة شريفة   ايامها مواسم سعيدة
قيمتها تاج ملوكها العظام   قد فاقهم بكل وصف لايرام
ما سمح الدهر بمثله ولا   احد، ان يبلغ ماقد وصلا
في العز والنصر مع التمكين   والظفر بالاعداء باليقين
اعني الامام مولانا عبد الله   نصره الله تعالى وحماه

(97) الفه في ظل السلطان عبد الله بن اسماعيل الذي حكم بين 1141 و 1171 هـ .

ولد مـــــولانا المقـــــدس الجليل   فـخـر السلاطين مولانا اسمـاعيل

ويتسم هذا النظم في كثير من الاحيان بالتكلف والتمحل والتكرار، خاصة في صيغ الصلاة الابراهيمية، وصيغ التعداد التي تتقارب في اسلوبها .

10 - تخريج احاديث دلائل الخيرات،

لابي راس محمد بن احمد بن عبد القادر الراشدي المعسكري الجزائري، المتوفى سنة تسع وثلاثين ومائتين والف بالجزائر . (وهو واحد من ثلاثة جزائريين شرحوا دلائل الخيرات اثبتناهم ضمن الشروح المغربية) .ترجمه الزركلي في الاعلام(98). ونسب له خمسين مؤلفا ذكر بعضها ومنها هذا الكتاب. وذكره عباس بن ابراهيم المراكشي كذلك في كتابه الاعلام (99) .

لم نتمكن من الوقوف على الكتاب . ويتضح من عنوانه انه اكتفي بتخريج احاديث الدلائل على غرار ما نجده في بعض كتب الصلوات التي سارت على نهج دلائل الخيرات او شرحته في الابتداء بتخريج الاحاديث وذكر اسانيدها .

11- استجلاب المسرات في شرح دلائل الخيرات،

لمحمد بن احمد الشريف الجزائري (100) . ابان المؤلف عن الغرض من تاليفه . فقال في المقدمة بعد حمد الله والصلاة على رسوله، (. . . اما بعد، فغرضي بهذه الرقوم والاشارات تلخيص شرح على كتاب دلائل الخيرات الذي عم النفع به، وشرقت وغربت به المسرات، وذلك لما رايت كثرة الاعتناء به من طرف العلماء الاعلام، والممارسين من الطلبة والعوام، وكثرة سؤال عن بعض ماتضمنه من الالفاظ وابتدائه للذاكرين ، شمرت ساعد الجد لايضاح مكنونه، وضبط الفاظه وتكحيل عيونه، لينظر القارئ له بعين اليقين) (101) .

---

(98) ج 242/6 . ط . 2 .

(99) ج 103/5، ط . بنمنصور .

(100) نسبه صاحب ايضاح المكنون خطأ للفاضل الازميري 476/1 .

(101) انظر الخزانة العامة بالرباط 1715ك وهي منقولة عن نسخة المؤلف في 17 رجب 1305 في 180 ص بخط مغربي دقيق ملون مسطرته 30، عدد كلمات كل سطر بين 14 و 15 كلمة .

فغرضه اذن تلخيص شرح دلائل الخيرات، لما لهذا المؤلف من شهرة وشفوف، ولكثرة اقبال الطلبة والذاكرين عليه وسؤالهم عن الفاظه ومعانيه . وهو هدف علمي نفعي دنيوي، خلافا لما يذكره الشراح من رغبة في الثواب لان الكتاب من افضل ما الف في كيفية الصلاة على النبي .

ويقول عن الشرح المعتمد في التلخيص (على اني لما تصفحت حاشية شيخ شيوخنا ابي عبد الله العربي الفاسي، وشرح شيخ شيوخنا ابي عبد الله محمد المهدي الفاسي، فوجدت الاول قد تكلم على بعض مسائله واطال، وترك الكثير لوضوحه عنده في المقال، والثاني، مزجه ومال الى البسط فحققه تحقيقا، وعدل عن الايجاز لتدقيقه تدقيقا، فاردت ان الخص لب كل منهما على جهة الاختصار منبها على بعض ماوجدته فيهما من مزالق الانظار . واضيف اليه بعض ما تلقيته من مشايخي وما سمحت به الافكار . وسميته باستجلاب المسرات بشرح دلائل الخيرات) (102) .

فمنهج الكتاب :

- تلخيص لب شرحي محمد العربي الفاسي، ومحمد المهدي الفاسي .
- التنبيه على مايحتويان عليه من اخطاء ومزالق .
- اضافة ما تلقاه من شيوخه، وما عنّ له خلال دراسته للكتابين .

ولم يلخص المؤلف لهذا المنهج الذي سطره في مقدمة كتابه اذ كان ميالا في اغلبه الى تلخيص شرح محمد المهدي الفاسي خاصة وتجريده من الاستطرادات والنقاشات العلمية المطولة، فجاء التلخيص مختصرا لايكاد يتجاوز الجوانب اللغوية والاعرابية للمتن .

وقليلا مايهتم بتخريج الاحاديث فبعد ايراد الصلاة كاملة وشرح الفاظها وموقعها الاعرابي، يلخص مدلولها كما جاء في الشرح المعتمد مشيرا الى ذلك بعبارة (والمعنى) ويعقد تنبيهات بعد شرح الصلاة يخصصها لمسالة معينة حتى لايقطع حبل الكلام ومنها : ازواج الرسول، لفظ السيادة، محبة الرسول، اسماء الانبياء . . .

(102) مقدمة استجلاب المسرات

وفيما يلي نموذج من شرح الشريف الجزائري، تناول فيه الصلاة الخامسة عشرة . قال :
(ذكرها النيسابوري في كتاب شرف المصطفى وابن سبع، وابن الفاكهاني وابن وداعة، وابو محمد جبر، وذكر لها فضلا وهي : (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما امرتنا ان نصلي عليه . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما هو اهله) . اي صل عليه صلاة تشابه وتناسب منزلته عندك واهليته، فالكاف للتشبيه وما مصدرية او موصولة وتحتمل التعليل، وما مصدرية اي لاجل اهليته لصلاتك عليه (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما تحب) بضم المثناة الفوقية بحاء المهملة، مضارع احبه فاعله ضمير خطاب الجلالة .
(وترضاه) اي تقبله بالله (له) اي لمحمد (صَ)، وفي بعض النسخ وترضى بدون ضمير كما عند جبر وابن سبع وابن الفاكهاني وابن وداعة، روي ان من اراد رؤيته (صَ) في المنام فليقل هذه الكلمات الثلاث عددا وترا فانه يراه في منامه .
قيل ويزيد معها "اللهم صل على جسد محمد في الاجساد، اللهم صل على قبر محمد في القبور "كذا في الشرح (103) .

ومن اطرف مافي هذا الكتاب محاولة المؤلف احصاء مقدار صلوات احدى تصليات التعداد وهي (وان تصلي عليه وعلى آله عدد كل سنة خلقتهم فيها، من يوم خلقت الدنيا الى يوم القيامة في كل يوم (الف مرة) فبعد سلسلة من الارقام قدم الناتج النهائي فقال بانه الف الف الف وخمسمائة الف الف وخمسة وخمسون الف الف (104) .

12 – شـرح دلائـل الخيـرات :

لمحمد بن محمد بن فراشة الجزائري (105) .اعجب بن فراشة بصلوات دلائل الخيرات وحسن تاليفه وفضل قراءته باعتباره من احسن مايتقربُ به الى الله، ويتوصل به الى رضاه، فقد (جمع فيه من الصلوات الحسنة، والكيفيات المستحسنة بحسن عبارة، ووضوح اشارة ، وجزالة لفظ، وسلاسة معنى مع طلاوة وحلاوة، تذوقها النفوس السليمة الكريمة، وتستعذ بها القلوب الغير

(103) استجلاب المسرات 96 .
(104) ص 142، وهو بالارقام كالتالي : 000 000 555 2
(105) اعتمدنا فيه نسخة خ . ع . ر . 1545 ك .

السقيمة، لم يسبقه في مراد سبقه سابق، ولم يطرقه في سما سهوه طارق . .) (106)

وقال في موضوع اقدامه على شرحه (وكنت قديما وحديثا يحثني خاص الشوق نحوه حثيثا، مشغوفا بغرامه، ولوعا بمطالعته، واري ذلك منة من الله تعالى عليّ يجب شكرها، ويرجى في العقبى ان شاء الله اجرها. وطال ماخطر في الخاطر ان اعلق عليه شرحا يكشف الحجاب عن استار مبانيه، ويرفع النقاب عن اسرار معانيه).

وكعامة المؤلفين، يبدي ما كان يشعر به من خوف وهيبة قبل الاقدام على التاليف . وقد اصبحت هذه العبارات التي تساق في ذيباجة الكتب من آداب التاليف . بعضها يترجم تقديرا حقيقيا للمسؤولية، وبعضها الآخر من باب تواضع المؤلفين واحترامهم لعملية التاليف .

فمما قاله ابن فراشة في هذا الباب (فاجدني اقصر عن سلوك هذا السّرى، فتارة اقدم رجلا، وتارة اؤخر اخرى، لعلمي اني بمعزل عن هذا المنزل، اذ من المحال كوني من فرسان هذا المجال...

فشمرت ذيل القوم عن ساق الحزم . . . وتجردت لسبح هذا البحر الخضم، وتكلفت شرح هذا الخطب المدلهم، واتيت بهذا التعليق على سبيل الاختصار متوسطا بين التفريط والافراط)(107).

وقال عن الدوافع الى التاليف (وخدمت به الجناب الرفيعة الاسمى والملاذ الرفيع الاحمى، صاحب الشفاعة العظمى، والمقام المحمود الاسنى . . . والرجاء من الله تعالى في حصول امور في مناقبه (صَ)، والانس بذكره لان من احب شيئا اكثر من ذكره . ولكي احشر ان شاء الله في زمرته بفضل الله ورحمته، لانه صَ حكم بان المرء مع من احب (107) .

ويمكن اعتبار شرح ابن فراشة بمثابة اختصار للشرح الكبير لمحمد المهدي الفاسي فقد كان المؤلف شديد الاتصال به يذكره في الشروح اللغوية البسيطة، وفي المناقشات المطولة .

وقد اشار الى ذلك فقال (واقتفيت . . . اثر الشيخ العالم العلامة ابي عبد الله محمد بن احمد الفاسي رحمه الله تعالى، وسرت على منواله واقتديت بمقاله . وكلما قلت، قال الشيخ، اياه

---

(106) شرح الدلائل لابن فراشة ص 2 – 3 .

(107) شرح الدلائل لابن فراشة 2 – 4 .

اعني رحمه الله تعالى) (108) .

وقد تم التلخيص في سفرين متوسطين :

- تناول في الاول خطبة الكتاب، والفصل الاول منه .

- واستهل الثاني باسماء الرسول صّ، دون ان يكمل شرح الكتاب (109) .

وشرحه يميل الى الاختصار، يهتم فيه بالتوضيحات اللغوية والنحوية، والمقابلة بين النسخ، مع تفصيل بعض الموضوعات المهمة وتقليبها على اوجهها، وايراد آراء العلماء فيها : كمفهوم الصلاة والحمد، والفرق بين الحمد والشكر، ومعاني الايمان والاسلام . . . ويتميز الكتاب باعتماد اسلوب المناظرة : قلت، فان قلت، اجيب . . .

ومن نماذج شرحه (وروي عن بعض الصحابة) جمع صحابي بين النسب وهو مخصوص في العرف بصاحب النبي(صّ) .

(رضي الله عنهم) جملة خبرية اللفظ دعائية المعنى، ورضي يتعدى بعلي . . .

اذا رضـيت علي بنو قـشـيـر لعـمـر الله اعـجـبني رضـاها

اي عني . وقال ابن هشام ويحتمل ان رضي مضمر معنى عطف .وقال الكسائي : حمل على نقيضه وهو سخط، كما يحمل على نظيره . قال ابن جني : وكان ابو علي يستحسن قوله . وقد سلك سيبويه هذا الطريق في المصادر كثيرا . وقال ابو عبيدة وغيره : انما ساغ هذا لان معناه احببته واقبلت عليه بوجه ودها . قال الشيخ ابو عبيد الله الفاسي رحمه الله ايراد " على " مع المصدر، سواء كان فعله يتعدى بنفسه كالرحمة او اللغة او بحرف جر غيره كالرضوان، وكانهم راعوا وقوع المدعو له او عليه .

(اجمعين) توكيد يؤكد به بكل مايؤكد بكل، فيعيد استغراق افراد المؤكد (110) .

وهكذا فان المؤلفين الجزائريين لم يشرحوا الدلائل بمفهوم الشرح، اذ قام المعسكري بتخريج احاديثه، ومحمد الشريف وابن فراشة بتلخيص الشرح الكبير لمحمد المهدي الفاسي الذي كان مهيمنا على التأليفين .

---

(108) ص . 8 .

(109) في مجموع ج / أ من ص 1 الى 189 . والثاني من 190 الى 352 . رقم المخطوط 545 ك .

(110) شرح ابن فراشة 160 .

شــــــروح مــــشرقيــــــة :

اهتم المشارقة كذلك بدلائل الخيرات فشرحوه شروحا متنوعة المشارب والاهداف، الا ان بعضها لم يصلنا الا خبره، ولم نتمكن بالتالي من الوقوف عليه لتقويمه، وسنكتفي بسرد اسماء هذه الشروح للتعرف الى مدى اهتمام المؤلفين بالكتاب .

13 - تفريج الكرب والمهمات بشرح دلائل الخيرات،

لعبد المعطي بن سالم بن عمر الشبلي السملاوي (111). المتوفى سنة سبع وعشرين ومائة والف . نسبه له صاحب ايضاح المكنون(112)، والزركلي في الاعلام (113).

14 - المنح الالهيات بشرح دلائل الخيرات،

لسليمان بن عمر بن منصور العجيلي الازهري الجمل (114)، المتوفى سنة اثنتين او اربع ومائتين والف، وهو شرح وسط بين التفصيل والاختصار، نسخه كثيرة التداول(115) .

والكتاب خال من المقدمة التي تتضمن عادة اسباب التاليف واهدافه . فبعد حمد الله والصلاة عليه يترجم المؤلف للجزولي ويتصدى بعد ذلك للشرح . ويهتم الازهري بتصحيح النص مقارنا بين النسخ المعروفة للدلائل وخاصة النسخة السهلية .

وكاغلب الشروح يشرح الكلمات والجمل شرحا لغويا، ويشير الى موقعها الاعرابي . ويلخص معنى التصلية ودلالتها ويخرج احاديثها .

---

(111) نسبة الى سلا بمصر له مؤلفات عديدة في الفقه والحديث والتصوف .

(112) 476/1 .

(113) ج 4/ 299، ط. 2 .

(114) من اهل هنية عجيل بمصر، له مؤلفات في السيرة والحديث والتصوف انظر اعلام الزركلي 194/3 ـط. 2 .

(115) م . خ . ع . ر . 1633 د ، مسطرته 28 في 175 ورقة من الحجم الكبير . انتهى المؤلف من تصنيفه في 16 شعبان 1191 هـ .

ويميل احيانا الى شرح الكلمات الواضحة : (الفصل لغة الحاجز بين الشيئين . . .) وكمعنى النبي ومعنى الصلاة . . .

واحيانا اخرى الى التفصيل والاستطراد : في موضوع فضائل الصلاة على النبي، والترغيب فيها، وشرح اسماء الرسول . وخلافا لكثير من الشروح يورد الازهري استشهادات شعرية بعضها من نظمه، ولايكتفي باستشهادات القرآن والحديث .

ومن نماذج شرحه : (اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما اظلم عليه الليل) اظلم فعل لازم، ومعنى اظلم الليل اشتد ظلامه، اي صل على محمد عدد الموجودات التي اشتمل عليها الليل بظلامه .

(واضاء عليه النهار) اضاء معناه اشرق، ويستعمل لازما كما هنا ومتعديا كما ضاء زيت المصباح، واللازم يستعمل رباعيا بالهمزة كما هنا، وثلاثيا من غير همزة . يقال ضاء النهار بمعنى اضاء، والمعنى عدد الموجودات التي مر عليها الليل والنهار (116)

15 – شـــرح دلائــل الخيــرات،

لعثمان بن الحاج علي الاكيني، المتوفى سنة عشر ومائتين والف. ذكره صاحب ايضاح المكنون(117) .

16 – بلوغ المسرات على دلائل الخيرات،

لحسن العدوي الحمزاوي المتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة والف بالقاهرة (118) اشتهر الحمزاوي بشرحه المفصل لشفا عياض "المدد الفياض" . وله مؤلفات عديدة في الحديث والسيرة والفقه، وشرحه للدلائل مطبوع طبعة حجرية مصرية .

17 – بدء الوسائل في حل الفاظ الدلائل،

لاحمد بن محمد السجاعي (119) المصري . نسبه له صاحب ايضاح المكنون (120)،

(116) المنح الالهيات، غير مرقم .

(117) ج / 1 – 476 .

(118) توجد ترجمته في اعلام الزركلي 214/2، ط. 2 .

(119) نسبة للسجاعية غرب مصر، له مؤلفات كلها شروح وحواش ورسائل ومنظومات في علوم الدين والتصوف والمنطق والفلك . الاعلام 1/ 89، ط. 2 .

(120) ج 1/167 .

والزركلي في الاعلام . (121)

18 - الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات،

ليوسف النبهاني، مطبوع بدار الحبلي بمصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة والف .

19 - شرح دلائل الخيرات المسمى : منتج البركات،

لمحمد بن اسماعيل الريحاني . ورد ذكره في ايضاح المكنون (122)

20 - شرح دلائل الخيرات،

لعبد الصمد بن حسن البرزنجي . ورد ذكره في ايضاح المكنون (123) .

21 - مناهج السعادات بشرح دلائل الخيرات،

لعبد المجيد الشرنوبي الازهري . فرغ من تحريره سنة اثنتين وثلاثمائة والف . وطبع بالمطبعة الاميرية ببولاق سنة اثنتين وعشرين وثلاثماذة والف (124) .

جاء في مقدمته، انه اقدم على شرح الدلائل :

- لانه احسن ما يتقرب به الى الرسول .

- ولرغبته في مساعدة القراء على فهمه وادراك معناه، قال :(وبعد . . .لما كان كتاب دلائل الخيرات من انفس مايتقرب به الى سيد السادات، اردت خدمته بضبط صحيح حميد، وتحليته بهذا الشرح المختصر المفيد ليقرب فهمه للناظر، وتحصل لي بركة مؤلفه البحر الزاخر، سيدي محمد الجزولي الحسني) (125) .

وهو شرح لغوي مختصر لايقف الا عند الكلمات التي يعتقد انها غامضة لايفهمها القارئ ويتجاوز غيرها، ويعرف بالاسماء الواردة فيه تعريفا مقتضيا . وغالبا مايعمد الى تقريب المعاني

---

(121) ج 89/1 ط. 2 .
(122) ج 476/1
(123) ج 476/1 .
(124) طبع على هامش دلائل الخيرات .
(125) ص ا، من مناهج السعادات .

بالاستشهادات الشعرية (126) . ويستعين على ذلك بعدة مصادر اهمها :القاموس، والشفا، وشرح الدلائل لمحمد المهدي الفاسي .

ومن نماذج شرحه : (اللهم صل على روح . . .)

هذا اول الحزب الثالث . ولهذه الصيغة فضائل منها ان من قالها سبعين مرة بحسن توجه واخلاص، راى النبي صَ في المنام .

(في الارواح) اي التي تصلي عليها بان تخصه من بينها بصلاة تليق به، والمراد عم بالصلاة روحه وجسده وقبره .

(ولاينقطع مدد هما) اي لاتنفذ زيادتهما،

(وعلى جميع) معطوف على سيدنا ومن النبيين الخ . . . بيان لاخوانه،

(والصالحين) جمع صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق عباده ويطلق على المومن . . . الخ

22 - حاشية على دلائل الخيرات،

لمؤلف مجهول (127). يوجد بالخزانة العامة بالرباط في نسخة صغيرة مبتورة الاول . يبدأ بقول المؤلف : (وفي الرصاع في كيفية الصلاة عليه(صَ) يوم الجمعة بعد صلاة العصر . . .) اي انه يبدا من وسط الفصل الاول . وهي حاشية مختصرة تهتم بشرح الدلائل شرحا لغويا مختصرا .

23 - شرح دلائل الخيرات،

لداوود افندي (128)، شرح مفصل للكتاب باللغة التركية، في مجلد ضخم . يقع في اربع وثلاثين وسبعمائة صفحة، مبتور الاول . ثم نسخه في التاسع من ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين والف من طرف اسماعيل بن احمد القرمي بالقسطنطينية .

---

(126) توجد هذه الاستشهادات في الصفحات 20-27-33-48-50-75-88-103-108-112-109-118-123

(127) م.خ.ع.ر . 3318 ك .

(128) م.خ.ع.ر . 1959 ك .

الخاتمـــة : لقي دلائل الخيرات عناية كبيرة من طرف علماء المغرب والمشرق فتصدروا لشرحه والتعليق عليه وترجيزه .

وقد وصلتنا اغلب مؤلفات المغاربة .

ويمكن تصنيف هذه الشروح الى ثلاثة انواع :

- موجزة، كالانوار اللامعات، واتمام النعمة، والازهار المنيرات، واستجلاب المسرات . يقصد بها تقديم شروح لغوية ونحوية مختصرة لصلوات الدلائل، وتلخيص معانيها . وهي مؤلفة عادة للطلبة والمريدين وعامة قراء الكتاب .

- وسيطة، كمطالع المسرات والشرح الوسيط وهما للمهدي الفاسي (وان كان المؤلف يعتبر "المطالع" من النوع الموجز، فانه اقرب في منهجه الى الشروح الوسيطة) وشرح ابن فراشة الجزائري، والمنح الالهيات للازهري، وهي اكثر تفصيلا من الاولى . وتؤلف للمتقدمين من الطلبة والعلماء، يهتم فيها بتخريج الاحاديث، والتوسع في شرح الصلوات ومقاصدها والتعليق عليها .

- مفصلة، مثل شرح محمد العربي الفاسي، وتحفة الاخيار لمحمد المهدي الفاسي . وهي مؤلفة للمتخصصين من العلماء والمهتمين بادب الاذكار واللغة والسيرة النبوية والحديث . . . ذلك لانها تتحول بما تتضمنه من تفاصيل واستطرادات، من كتب في شرح الدلائل الى كتب جامعة لمعلومات غزيرة، وآراء متنوعة في عدة علوم كاللغة والنحو، واعتمد المؤلف فيها شروح الالفية والمغني والقاموس .والتفسير، ابن عطية البيضاوي، الرازي، النسفي،

الحديث والسيرة : الكتب الصحاح بكاملها، وشروحها، والموطأ، والشفا وسيرة ابن هشام . وفي التصوف مؤلفات بن عطاء الله وقوت القلوب والاحياء والحلية، والرسالة القشيرية، ومختلف كتب الاذكار والاوراد والادعية لعلماء المشرق والمغرب .

وكانت لهذه المؤلفات مكانة بين الكتب المقررة في المساجد والجامعات بما تتيحه للشيوخ من فرص التنقل من علم الى آخر عند التعرض لها بالشرح والتعليق مما لايمكن تحقيقه في الكتب التي تدرس علما واحدا : النحو او التفسير او الحديث .

وقد تميز محمد المهدي الفاسي بين شراح دلائل الخيرات .

- فهو الوحيد الذي الف شروحا من كل صنف : مختصر/ وسيط/ مفصل . ويعتبر شرحه الاخير "تحفة الاخيار" اوسع الشروح واغزرها معلومات واحكمها منهجا، واكثرها بسطا لصلوات الكتاب ودلالاتها ومقاصدها .

- واعتبارا لاهمية هذا الشرح واقبال الطلبة والعلماء عليه قام محمد الشريف الجزائري بتلخيصه في كتابه "استجلاب المسرات" مع اضافة ماسمعه عن شيوخه ، مما لم يرد في الكتاب الملخص .

وهو الكتاب الذي يذكر كثيرا في الشروح التي جاءت بعده، ويعتمد فيها اكثر من غيره، مما يوضح المكانة التي ادركها المغاربة في هذا الباب، خاصة وان اغلب الشروح تقوم على التكرار والنقل وترديد نفس المعلومات .

ان شرح الدلائل بلغات غير العربية لكاف للدلالة على ما لقيه هذا الكتاب من قبول في مشارق الارض ومغاربها .

المبحث الثالث - اثره في كتب الاذكار والصلوات

يعتبر القاضي اسماعيل بن اسحاق البغدادي المتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين اول من الف رسالة في فضل الصلاة على النبي (129) . وتلتها مؤلفات اندلسية في نفس الموضوع . يمكن ان نذكر منها :

- انوار الاثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار، لاحمد بن معد بن عيسى التجيبي بن الاقليشي المتوفى سنة خمسين وخمسمائة (130) .
- وكتاب القربة الى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين لابن بشكوال المتوفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة (131) .
- والصلاة والاعتصام في كيفية الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانام لجبر بن محمد بن جبر القرطبي المتوفى سنة خمس عشرة وستمائة (132) .

ولم تسلك هذه المؤلفات منهجا موحدا، وانما اختلفت اساليبها من كتاب لآخر مع التركيز اساسا على سرد فضائل الصلاة على النبي وثمراتها اكثر من الاهتمام بالتصليات نفسها، وتغليب جانب السيرة النبوية عليها . وفي اواسط المائة الهجرية الثامنة صار للصلاة على النبي طابع مغربي خاص بسبب انتشار حفلات المولد النبوي الشريف التي اعتبرها ابن مرزوق من اعاجيب مايروى في بلاد المغرب (133).

---

(129) من منشورات الكتاب الاسلامي في دمشق بتحقيق محمد ناصر الدين الالباني . انظر مقالة محمد المنوني مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية . دعوة الحق ماي 1977 .

(130) م . خ . ع ر . 242 ق .

(131) م . خ . ع ر . 401 ك .

(132) وهنالك مؤلفات اخرى لقيروانيين وتلمسانيين في نفس الفترة اي قبل عصر الجزولي . انظر مقال محمد المنوني المذكور .

(133) المسند الصحيح الحسن، م . خ . ع ر . 111 ق . الباب السادس، الفصل السادس .

وسيتاكد هذا الطابع وياخذ شكله التام مع الجزولي وكتابه دلائل الخيرات . فقد صار هدفا يسعى كُتاب الاذكار الى بلوغه ومثلا اعلى اقتدوا به وحذو حذوه . وتذكر المصادر عند الحديث عن الكتب المؤلفة في الصلاة على النبي ان مؤلفا الف بشيراز كتابا سمّاه نفس الاسم "دلائل الخيرات" وعلى نفس الطريقة الا ان الله قد رزق القبول والاشتهار لكتاب الجزولي دون كتاب الشيرازي(134)

ولايكاد يسلم اي كتاب من كتب الاذكار المؤلفة ابتداء من اواخر القرن التاسع من تاثيرالجزولي ومؤلفه دلائل الخيرات .

وقد يبدو ذلك من العنوان : دلائل الابرار، دلائل القرب، الدلائل النبوية، ادل الخيرات، مشارق الانوار . . . في حين ينتخب بعضها بعض صلواته او يختصره او يسير على منواله في الترتيب ووضع صيغ التصلية .ومن آيات استحضاره عند التاليف اعتماده فيه :

- انهم كلما ارادوا تقويم صلاة من الصلوات قاسوها بصلوات دلائل الخيرات، فقالوا انها تساوي قراءته او ختمه، او تساوي صلاة من صلواته، او تقل عنها . وقد حدثت في ذلك مبالغات لايهمنا الآن النظر فيها، ولكنها تبرز انهم اعتبروه بين هذه المؤلفات بمثابة العملة المتداولة - بها تثمن وتقيم باقي المؤلفات .

- لاشيء يشفي غليل المتوسل والمصلي على الرسول مثل الدلائل فقد عرض النبهاني لائحة مطولة لكتب الصلاة والتسليم على خير البرية، واظهر اهميتها، وختمها بقوله (. . . ولكن المريد اذا لم يقتصر على هذه الصيغة، وتشوفت نفسه الى الزيادة، فليلازم قراءة "دلائل الخيرات" وختمه في كل يوم جمعة . . . ففيه الكفاية) (135) .

ويمكن تصنيف كتب الصلوات المتاثرة بدلائل الخيرات الى صنفين :

- الصنف الاول : اثر فيها تاثيرا عاما اي انها نظرت اليه عند التاليف دون ان تذكر ذلك . وقد تقتبس بعض صيغه وصلواته مع محاولة وضع صيغ اخرى خاصة الى جانبها .

---

(134) سعادة الدارين للنبهاني ص 5، طـ . بيروت 1316 . والاعلام 5/87-88 .

(135) سعادة الدارين 5 .

- الصنف الثاني : اثر فيه بشكل مباشر، يصرح في المقدمة او في متن الكتاب بعزمه على الانتخاب منه او اختصاره، والاقتباس من صيغه او محاذاته .

الصنــــــــف الاول،

اهم مؤلفات الاذكار والتصلية التي تكون هذا الصنف، هي :

1 - القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع،

لشمس الدين السخاوي الشافعي المتوفى سنة اثنتين وتسعمائة(136).يشتمل على مقدمة في تعريف الصلاة لغة واصطلاحا مع الحديث عن حكمها واصلها ومحلها . وعلى خمسة اقسام :

- الاول، في الامر بالصلوات وافضل الكيفيات فيها . ويتكون من سبعة فصول .
- الثاني، في ثواب الصلوات .
- الثالث، في التحذير من تركها .
- الرابع، في تبليغه (ص) من يسلم عليه، ورده السلام عليه .
- الخامس، في الصلوات عليه، في اوقات مخصوصة خلال اطراف النهار .

وهذا اهم الابواب، حيث يورد الصلوات بصيغها كاملة .

- الخاتمة، في اثبات جواز العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف .

2 - الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود،

لاحمد بن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة اربع وسبعين وتسعمائة(137) . في مقدمة وستة فصول وخاتمة،

- المقدمة، في الكلام على قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي، ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما : معنى الصلاة المقصود بها، وفوائدها . . .
- الفصل الاول، في الامر بالصلاة على النبي في وقت كان .

---

(136) نشر على الحجر بالهند في 202 ص . من طرف محمد محي الدين الجعفري الزيني .

(137) مطبوع بمصر سنة 1380، في 232 ص .

- الثاني، في كيفية الصلاة على النبي على اختلاف انواعها .
- الثالث، في مسائل وفوائد تتعلق بالفصلين : تحدث فيه عن افضل كيفيات الصلاة على النبي، وشرح بعض صيغها . وهذا اهم الابواب .
- الرابع، في فوائد الصلاة على الرسول وزيارة القبر الشريف .
- الخامس، في ذكر عقوبات من لم يصل عليه .
- السادس، في امور مخصوصة تتصل بالصلاة على النبي .
- الخاتمة، في جواز العمل بالحديث الضعيف عند الحث على الفضائل والترغيب فيها .

ويلاحظ تشابه بين الكتابين السابقين في المضمون والمنهج والاسلوب .

3- الدر النضير في كيفيات الصلاة على الشفيع البشير،

لاحمد بابا السوداني الصنهاجي المتوفى سنة اثنتين وثلاثين والف(138) يتناول الموضوعات التالية :
- مقدمة في تاريخ الشروح في التصلية .
- بعض ما ورد في فضل الصلاة عليه .
- احاديث مرفوعة في كيفية الصلاة عليه .
- ماورد من الآثار عن الصحابة والسلف الصالح ومن بعدهم من الكيفيات فيها .
- افضل الكيفيات في الصلاة على النبي (ثلاث عشرة صلاة لمشاهير العلماء وعشر صلوات لجنيد اليمن) .

وتبدو اهمية الكتاب في اختيار الصلوات وردها الى مصادرها واصولها وبعضها من صلوات الجزولي.

4 - ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج،

لمحمد المعطي بن محمد الصالح بن محمد المعطي العمري الشرقي المتوفى سنة ثمانين ومائة والف (139) .

(138) م. خ. ع. ر. رقم 1724د، في مجموع من ورقة 13 الى 31 .

(139) انظر في ترجمته نشر المثاني 2/277 - 278 . ط. حجرية، وفهرس الفهارس 2/169 .

اضخم كتب الصلوات على النبي حجما ، واكثرها اسفارا ، وقف صاحب نشر المثاني على نيف واربعين منها (140) .

وبلغ ستين جزءا، توجد اكبر مجموعة منه في الخزانة الحسنية بالرباط (141) .

وقد سار فيه على نهج الدلائل ، وغنية العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب لمحمد بن ناصر والد شيخه في التصوف (احمد بن محمد بن ناصر) ورتب اكثر صلواته -مثله- على حروف المعجم .

وقد تنبه كاتبه ومريده محمد بن عبد الكريم العبدوني لتاثير الجزولي فيه عندما قال (وقد ظهرت ثمرة ذلك الشيخ - اي الجزولي- في الشيخ الكامل المعطي بن الصالح، ففتح غوامض تلك الانوار . . . في كتابه السني الاسرار، التعظيم المقدار، المؤلف في الصلاة على النبي المختار واصحابه الاطهار : ذخيرة المحتاج . . .) (142) .

5 - نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب (143)

للمختار بن احمد الكنتي الفهري المتوفى سنة ست وعشرين ومائتين والف (144) .

يستقي كثيرا من صلواته من السيرة النبوية واحداثها ، وتتردد كثير من الصلوات المعتمدة في الدلائل، مثل، الصلاة الابراهيمية بصيغها المتنوعة، صيغ اسماء الرسول وصفاته، صيغ السؤال، الصيغ المبنية على الآيات القرآنية، وصيغ التعداد والاستمرارية، وتاتي في الغالب على هذا الشكل : (اللهم صل على سيدنا محمد عدد صلاة المصلين، من يوم خلقت الدنيا الى يوم القيامة في كل يوم الف مرة) وهي كثيرة التردد بنصها في الدلائل .

---

(140) 278/2 ط . حجرية .

(141) من رقم 7874 الى 7957 . وفي الخزانة الكتانية من 2756 الى 2799 .

(142) الاعلام 86/2، عن يتيمة العقود الوسطى .

(143) مخطوطاته متداولة . م. خ. ع. ر. 730 د .

(144) انظر ترجمته في الوسيط ص 361 ط . 2، وجامع كرامات الانبياء للنبهاني 247/2 .

وبالاضافة الى هذا، هنالك ادعية توسلية خاصة من انشاء المؤلف تثبت مكانته واسلوبه في الكتاب .

وقد شرحه محمد بن المختار الكنتي (ابن المؤلف) في كتابه،

- الروض الخصيب بشرح نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب (145)،

وقد ابان عن اهمية صلواته اذ ان الواحدة منها في نظره تعدل قراءة دلائل الخيرات(146) .

وذكر مارد في فضائل الصلاة على النبي قبل الشروع في شرح الكتاب شرحا لغويا .

6 - تحفة المستيقظين في الصلاة على سيد الاولين والآخرين،

لمحمد بوجدة الحلو، كان حيا سنة سبعين ومائتين والف(147) .استهله بذكر فضائل الصلاة على النبي وثمراتها مع استشعار لضخامة المسؤولية وصعوبة الهدف (استغفر الله من جرأتي على هذا الامر والى الله اتوب عسى ان يكون لي قسط من محبته وخدمته والتعلق باذياله) (148) .

وتسير اغلب صلواته على صيغة مكرورة متشابهة يركز فيها على اسماء الرسول وصفاته، ومعجزاته، واسماء الملائكة والانبياء :

- اللهم صل على سيدنا محمد صاحب الوسيلة والمقام .

- اللهم صل على سيدنا محمد صاحب المحبة والاكرام .

- اللهم صل وسلم عليه عدد تسبيح المسبحين .

- اللهم صل وسلم عليه عدد احاديث المحدثين .

وقد وردت لديه بعض صيغ السؤال، والتعداد، والاستحقاق، على غرار ماورد عند الجزولي . الا ان مايميز "التحفة" هو قصر التصليات وتشابه صيغها من الاول الى الاخير .

7 - نـــور الجمـــال،

لمحمد بن الطيب الصقلي الحسني الفاسي، المتوفى سنة واحد وسبعين

---

(145) م. خ. ع. ر. 730 د في 184 ورقة من حجم كبير

(146) ص 2 .

(147) م. خ. ع. ر. 284 د بخط المؤلف في 302 ص .

(148) ص 2 من تحفة المستيقظين .

ومــائتين والــــف (149) . الفه بطلب من اصحابه الفقراء :

(. . . وقد طلب مني الفقراء اصحابي ان اكتب لهم كتابا في الصلاة على سيد الخلق سيدنا محمد (ص)) فاجابهم الى طلبهم بعدما افاض عليه الخالق من خزائن فضله .

واكثــر صلواتــه حــول الـنور المحـمـدي الذي يعـتبـره اساس كل شيء في الوجود، والسبب في خلق الكائنات والعوالم والرسائل والانبيـــاء وهــو الاســاس الذي ينبني عليـه مـبدا الانسان الكامل(150) .

ومن نماذجها قوله (اللهم صل على نور الملكوت الذي اشرقـ في الجبروت، وازهر العرش من بهاء نوره، وامتلا اللوح من نور اسراره، وكتب القلم من علوم اقواله وحكمه، فخرقه النور فانشق صلى الله عليه وعلى آله، صلاة تتوسع الجنة ببركاتها، ولا يعلم توسيعها الا خالقها) (151) .

والى جانب هذا النوع من الصلوات الخاصة ، يورد المؤلف صلوات مركزة حول اسماء الرسول وصفاته ومعجزاته واسماء الانبياء والملائكة، وهي اكثر وضوحا وبساطة ، يهدف بها الى مدح النبي والصلاة عليه اكثر من اثارة قضايا صوفية، مقتربا بذلك من روح صلوات دلائل الخيرات .

8 - ملذذات الحبيب بالصلاة على اسماء النبي الحبيب :

لمحمد مصطفى ماء العينين بن محمد فاضل بن محمد الادريسي الشنگيطي المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة والف (152) .

وقد ركزه على اسماء الرسول كما هو واضح من العنوان وكما جــاء في مقدمــة الكتــاب (. . . وبعد فهذه صلوات على ما في المواهب اللدنية من اسمائه الظاهرة العلية، وسميتها بملذذات الحبيب

(149) انظر ترجمـتـه في السلوة 170/1 - 171 - والكتـاب من م خ ع ر 490 ر، في 181 ص حجم صغير .

(150) انظر في موضوع الانسان الكامل : الانسان الكامل للجيلاني .

(151) نور الجمال ص 17 .

(152) ترجم له عبد الحفيظ الفاسي الفهري في كتاب معجم الشيوخ 37/2 - 41 . توجد نسخة مخطوطة من الكتاب في خ. ع. ر. 750د مبتورة الاخير .

بالصلاة على اسماء النبي الحبيب ورتبتها ترتيبية على حروف المعجم ليسهل حفظها على قارئها (153) .

وقد اولى الجزولي اهمية كبيرة لاسماء الرسول، فادرج في اول كتابه مائتي اسم واسم واحد وبنى سبعا وتسعين صلاة منه حول موضوع الاسماء والصفات النبوية .

الا ان مايميز صلوات "ملذذات الحبيب" عن صلوات الدلائل هو الترتيب المعجمي . ففي الوقت الذي كان الجزولي يورد فيه الصيغ مطلقة دون اعتبار للحروف التي تبتدئ بها، يحرص الشنگيطي على ترتيبها معجميا، ويرتب اسماء كل حرف ترتيبا معجميا داخليا، على هذا النموذج:

- فصل حرف الالف :

- اللهم صل وسلم على محمد الابر بالله الذي ماوجد مثله في جميع خلق الله .
- اللهم صل وسلم على محمد الابطحي الذي ماوجد شكله في الحقيقي والشرعي .
- اللهم صل وسلم على محمد أتقى الناس الذي ذكره مطهر القلوب من كل انواع الوسواس .
- اللهم صل وسلم على محمد الاجود الذي به تزول عن المخلوقات الهموم . . .

ويستمر على هذا المنهج فيورد اسماء : الاحد/ الاحسن/ الاحمد/ الاخير/ الارحم . . . ومصدر هذا الحرص على الترتيب راجع الى تسهيل حفظ الصلوات وتذكرها لانها مكتوبة لعامة الناس من ذوي الثقافة اللغوية المحدودة .

9 - الدلائل النبوية والمكارم المحمدية (154) .

احمد بن العباس الشرايبي الفاسي المراكشي المتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة والف (155) .

يشتمل على مقدمة من ثلاثة مقاصد يحتوي كل واحد منها على ثلاثة اوجه :
- معرفة مايجب على المكلف في حق النبي (ص) .

---

(153) ص 2 .
(154) م. خ. ع. ر. 1571ك من 1 الى 260، المقدمات . ومن 261 الى 481 الصلوات .
(155) ترجمه صاحب الاعلام 465/2 .

- فضائل صلاته الشريفة النفيسة .

- موضوع الصلوات . فخاتمة تشتمل على خمسة مطالب .

وتشغل المقدمات زهاء نصف الكتاب لتاتي بعد ذلك الصلوات .

وقد ركزها كما هو واضح من العنوان على السيرة النبوية . واوضح ذلك في المقدمة عندما قال :

(ضمنته جملة من شمائله الشريفة العالية، ومن معجزاته ذات العجائب للمعتني بسيره واخباره، ولنبذة من احاديثه الفاخرة الوافية ليكون المصلي بها كانه يراه بعين بصره وابصاره . . .)(156) .

واغلب صلوات الكتاب تسير على الشكل التالي (اللهم صل وسلم وبارك علي سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد النبي الامي، فاتحة كتاب الهيئات والصفات، والرسول المكي الذي سددته بالآيات البينات، والطاهر المطهر الذي منحته المعجزات الباقيات الدائمات، والشفيع المشفع يوم القيامة في جميــع المخلوقات، الذي قـال ابو زيد عمر بن اخطب الانصـــاري في وصـفه . . . (حديث الخاتم)... عدد مافي علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله في كل نفس من كل معلـــوم لله)(157) .

وينظر الى صلوات الجزولي في اول هذه الصلوات /الاحاديث وفي آخرها، وكذلك في تلك التي بناها على اسمائه وصفاته (صً). على ان الاختلاف بين الكتابين يبقى متجليا في تشابه كثير من صلوات الشرايبي المبنية على السيرة والاحاديث وسيرها على نفس النمط لاتتغير فيها الا صيغة الحديث، وهو ما لانجده في صلوات الدلائل المتنوعة .

10 - قضاء الحوائج والاوطار في الصلاة والسلام على النبي المختار، لمحمد بن احمد بن علي التادلي الموساوي المراكشي المتوفى سنة واحد وثلاثين وثلاثمائة والف (158) .

الف الكتاب كما هو واضح من العنوان، لقضاء حاجاته وحاجات المسلمين . وقد بين ذلك في المقدمة :

(156) الدلائل النبوية ص 2 .

(157) الدلائل النبوية ص 2 .

(158) م. خ. ع. ر. 1551 ك بخط المؤلف، فرغ منها في 10 شعبان 1331 . وهو في 178 ص من الحجم المتوسط .

(. . . اما بعد، فاني لما رايت الصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد صَ من افضل مايتقرب به العبد الى ربه، وبها النجاة من الاهوال وعذاب النيران . . . رايت ان من صلى عليه (صَ) وطلب مراده، وايقظ قلبه وحسن بيته قضى الله له ذلك المراد في هذه الدار، وفي يوم المعاد حملني ذلك ان أؤلف كتابا ، اطلب فيه لنفسي ولوالدي وللمسلمين جميع حوائجهم واغراضهم) (159).

واغلب صلوات الكتاب من قبيل التوسلات الشخصية، وتقل فيه الصيغ الماثورة عن الاولياء، ومؤلفي الاذكار، اي تلك التي تسير على نهج دلائل الخيرات . ومما تميز به الكتاب تخصيصه الخاتمة لصلوات مرتبة على حروف المعجم ، يعمد فيها الى تكرار الحرف في كل سجعات الصلاة، خلافا لمنهج الشنكيطي في "ملذذات الحبيب" الذي يورد الاسماء المبدوءة بالحروف المعتمدة في الترتيب .

ومن نماذج تصليات "قضاء الحوائج" المرتبة على حروف المعجم قوله في حرف الباء .

(اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آل سيدنا ومولانا محمد صلاة تنور بها عيبي، وتقضي بها اربي، وتزيل بها ريبي، وتختم بها كتابي، وتشفي بها وصبي، وتزيحني بها من نصبي، وتفرج بها كربي، والقى بها ربي) (160) .

11 - ميزاب الرحمات في فضل الصلاة على سيد السادات،

لمحمد بن محمد المؤقت المراكشي المتوفى سنة تسع وستين وثلاثمائة والف (161) . تشبه مقدمة كتاب "قضاء الحوائج" فالغاية من التاليف عند ابن المؤقت نيل البركات والخيرات، وتفريج الكربات . . . واكتساب المحبة النبوية الخالصة . قال (وقد عنّ لي ان اذكر ماورد في

---

(159) قضاء الحوائج ص 150 .

(160) قضاء الحوائج ص 150 .

(161) هو صاحب السعادة الابدية المشهورة، توجد من ميزاب الرحمات نسخة خاصة بخط المؤلف، فرغ منه يوم 13 جمادى الاولى 1334 .

فضائلها، وعظم قـــدرها . وماللاكابــر في ذلك خدمة لحضــرة محمد الكائنــات وسيد كل مريد وسالك . . .) (162) .

يحدث فيه عن اهمية الصلاة على النبي، وثمراتها، وبعض الصيغ الماثورة عن الصحابة والعلماء والاولياء، وفضائلها، وفوائد الصلاة على النبي (ذكر اربعين فائدة) .

وفي خاتمة الكتاب اورد اسماء مؤلفاته ورسائل له في نفس الموضوع .وقال في حق مؤلفه هذا بانه (اجمع الكتب واعظمها وانفعها في الصلاة على النبي (صً) (163) .

وبالفعل فان ميزاب الرحمات هو الكتاب الذي جمع بين ثناياه اكبر قدر من الاقوال والمعلومات عن اهمية الصلوات وفضائلها وثمراتها . . . واكبر عدد من الصيغ الماثورة عن الصحابة والعلماء والاولياء المشهورين بالاذكار . وياتي دلائل الخيرات وشروحه في مقدمة الكتب المعتمدة فيه، واكثرها ترددا في استشهاداته . وتهيمن روح الدلائل في الكتاب كذلك من خلال المفاضلات التي يعقدها بين صلواته وصلوات مجموعات اخرى .

وتاتي كتب النبهاني في نفس الدرجة، وخاصة منها "افضل الصلوات" و "سعادة الدارين"، وهما من الكتب المتاثرة – كما سنرى – بدلائل الخيرات .

واهم خصوصيات ميزاب الرحمات الصلوات التي انشاها المؤلف سماها (مفاتح الخير والرحمة في الصلاة على سيد الامة) وهي مائة صلاة، قال عنها بانها (مجربة لاستجلاب الانوار والاسرار، من حضرة محمد الكائنات النبي المختار، ومجربة لقضاء الحاجات وكشف الكربات، ودفع المعضلات وحصول الخيرات والمسرات . . .)(164) .

لخص في كثير منها صيغ "دلائل الخيرات" واعادها ينصّها وابدع في بعضها الآخر .

---

(162) ميزاب الرحمات ص 3 .

(163) ميزاب الرحمات 387 .

(164) ميزاب الرحمات 132 . وتوجد الصلوات بين 133 و 153 .

12 - الانوار القدسية في الصلاة على خير البرية ،

لعمر بن الحسن بن عمر الكتاني الفاسي المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة والف (165) .

يشتمل على مقدمة في اهمية الصلاة على النبي، وثلاثة فصول :

- الاول، في الاحاديث الواردة في الترغيب فيها، والحض عليها، والاكثار منها .

- الثاني، في الصلوات المروية عن السلف الصالح : وهذا اهم فصول الكتاب . يورد فيه نماذج من الصلوات المأثورة عن العلماء ومؤلفي الاذكار .

- الثالث في فوائدها وثمراتها، وما يتعلق بها .

ويعتمد المؤلف كثيرا من الصلوات الواردة في الدلائل كالصلاة الابراهيمية بصيغها، وصلاة الفاتح للبكري، والصلاة التفريجية والتازية، وبعض صيغ التعداد . كما انه يكرر في الفصلين الاول والاخير كثيرا مما ورد في اول "دلائل الخيرات" من احاديث واقوال في فضائل الصلاة على النبي وفوائدها .

الصنف الثاني،

ومن المؤلفات التي اثر فيها دلائل الخيرات تاثيرا مباشرا :

13 - تحفة الاخيار في فضل الصلاة على النبي المختار، وعلى آله الابرار(166)،

لمحمد بن قاسم الانصاري التونسي الرصاع المتوفى سنة اربع وتسعين وثمانمائة (167) . عرف الرصاع بكتاباته في هذا الموضوع، فله " تذكرة المحبين في اسماء سيد المرسلين " (168) . ويشتمل كتاب " التحفة " على مقدمة واثني عشر فصلا ، اهمها الفصول التي تناول فيها حكم الصلاة على النبي وفضائلها (عدد منها ثلاثا واربعين فضيلة)، وكيفيات الصلاة عليه (ص) . اورد فيه صيغ الصلوات المأثورة عن الصحابة والاولياء .

---

(165) م. خ. بخط المؤلف في 46 ص، حجم كبير .

(166) توجد ترجمته في اعلام الزركلي 228/7 . من بيت امارة بتونس له عدة مؤلفات .

(167) مخطوط كثير التداول من نسخة في خ. ع. ر. 898 د، 1358د، 410ج، 631ك .

(168) م. خ. ابن يوسف بمراكش 516 .

تذكر خمس عشرة صيغة وردها الي اصولها مع الوقوف علي اسماء رواتها او اسانيدها بدقة، واغلبها من الصلوات الابراهيمية .

واورد كذلك صلوات بعض اعلام التصوف كعلي بن وفا، وسليمان بن علي مع الاشارة الى بعض فضائلها . وله بدلائل الخيرات علاقة وثيقة، اذ ان كل صيغ الصلوات الواردة فيه موجودة في دلائل الخيرات .

14 - كتـــاب في التصليـــــة، (169)

يرجع الاستاذ محمد المنوني ان يكون مؤلفه هو احمد بن علي بن محمد الهشتوكي السوسي المتوفى سنة ست واربعين والف(170) لان الاسم المذكور في نسخه هو احمد السوسي

تحدث فيه عن سيرة الرسول واوصافه وشمائله وما قيل فيه في الكتب السماوية . وعن اسمائه وشكل المسجد النبوي ووصفه . وعقد فصلا لكيفيات الصلاة عليه صَ . فكانت الصلوات الواردة فيه هي : الصلاة الابراهيمية بصيغها المتنوعة، وصلوات الاستحقاق والادعية النبوية كما جاءت في دلائل الخيرات (الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود ...) وختمه بذكر اثنتين وعشرين طريقة من طرق الصلاة عليه، كرر في بعضها الصلاة الابراهيمية، واورد في الاحزاب صلوات الآل والاهل والذرية وختم الكتاب بادعية توسلية شخصية جاءت اطول من الصلوات السابقة الذكر .

ويتضح تاثير دلائل الخيرات في كتاب التصلية من شكله فهو مثل كل مخطوطات الدلائل من حجم الجيب لما سبق ذكره من ميل الناس الى حمله معهم في اسفارهم وحلهم وترحالهم وحروبهم

---

(169) مخطوط متداول اعتمدنا فيه نسخة خاصة بمراكش .

(170) صوفي من سوس درس بمراكش، وصافحه واجازه بها احمد بابا كما درس بفاس علي ابن عاشر وعبد الرحمن الفاسي . . . واشتهر بالصلاح والزهد، وله في ذلك اخبار . من مؤلفاته : بذل المناصحة في فضل المصافحة . وامداح في الرسول (ص) . ترجمته صاحب الصفوة 68 - 70 . والنشر 356/1 طـ. 2 . انظر مقالة محمد المنوني في دعوة الحق، ماي 1977 .

تبركا به، وتعاطيا لقراءته في اوقات معلومة من الليل والنهار، ويستمر التاثير من ايراد الاسماء النبوية اسما اسما في صدر الكتاب، ورسم الروضة الشريفة وقبور : الرسول وضجيعيه ابي بكر وعمر، وشكل المسجد النبوي .

ويتاكد هذا التاثير في صلوات الكتاب المستقاة اساسا من دلائل الخيرات : الابراهيمية بصيغها، صيغ الاستحقاق، والاهل، والآل، والادعية النبوية . واخيرا في المنهج المتبع في الكتاب عموما، الى تقديم الحديث عن الروضة ثم الصلوات الماثورة عن الصحابة، واخيرا الادعية التوسلية الشخصية التي تعد الجزء الخاص الذي حاول المؤلف الابداع فيه .

15 - وردة الجيوب في الصلاة على الحبيب المحبوب،

لمحمد بن عبد العزيز الرسموكي اليعقوبي، كان حيا سنة اثنتين وخمسين ومائة والف (171) .

ويختلف هذا الكتاب عن الكتب السابقة، فهو عبارة عن مختارات من "دلائل الخيرات" و"دلائل الابرار . قال الرسموكي في مقدمته (. . . قصدي في هذه الكراسة ذكر صلوات انتخبهن من دلائل الخيرات ومن دلائل الابرار للجزوليين لما رايت من كثرة توابها لايعلمه الا الله تعالى . وقال عن اسباب تاليفه (وجعلته ذخيرة وكنزا لاهل الاسباب والاشغال القاصرين عن تلاوة دلائل الخيرات، من عامة هذه الامة المحبين لئلا تفوتهم تلك العبادة العظمى والوسيلة الكبرى لمن داوم على قراءتها كل يوم لينظم في سلك الاحباب) .

وبعد المقدمة يعقد فصلا لذكر بعض فضائل ما احتوت عليه الصلاة على النبي، ثم فصلا آخر يتناول فيه المقصود ويعرض الصلوات المختارة من الكتابين .

اما المقاييس المستعملة في انتخاب صلاة دون اخرى فقد وضحها المؤلف في الفصل الاول : الصلوات التي يقال بانها بعشرة آلاف صلاة او باربع عشرة الف او اذا قراها احد تعجب منه الملائكة في السماء، واذا قراها احد تنصب عليه الرحمة واذا قراها احد كمن قرا دلائل الخيرات كله. . .

---

(171) ترجمه المختار السوسي ترجمة موجزة في المعسول 25/5 . وقال بانه توفي بالحجاز في آخر القرن 12 هـ . اعتمدنا نسخة خاصة، ونسخة خ . ع . ر . 1593 ك .

فهو يردد الشائع المتداول عند كتاب الصلوات من تفاوتها في الاجر والفضل، والعجب في الامر ان بعض صلوات دلائل الخيرات - عندهم - تساوي اربعين مرة قراءة الكتاب كله .

وعلى كل فان هدف الرسموكي خدمة المريد الذي لايسمح له وقته بقراءة الكتابين، فقدم له احسن ما فيهما واكثره فضلا واجرا ليستفيد منه . ويبدأ مختاراته بصلوات دلائل الخيرات التي تشغل ازيد من ثلثي الكتاب ويتبعها بصلوات دلائل الابرار .

ولانريد الاطالة بذكر الصلوات المنتخبة من الكتاب الاول، ونكتفي بالاشارة الى انها تتصل بالموضوعات التالية : محور الآل، والاهل ، والذرية، الصلاة الابراهيمية بعدة صيغ، الادعية النبوية (المنجيـــة، الوسيلة، والفضيلة، العرش . . .) صيغ السؤال (اللهم اني اسالك . . .)صلوات الاسماء والصفات، وصلوات التعداد ، والدوام والاستمرارية . وبذلك فانها تمثل كافة المحاور التي اعتمدها الجزولي في كتابه .

وهكذا فان تاثر الرسموكي بالدلائل كبير وعميق، بالاضافة الي احتفاظه بصلوات من كتاب لم يصلنا ولانعرف شيئا عن مؤلفه،الا انه جزولي كذلك .

16 - كنـــوز الاسرار في الصـــــلاة على النبـي المختار (صَ) وعلى آله واصحـــابه الابـــرار (172) لابي محمد عبد الله بن محمد الخياط الشهير بالهاروشي الفاسي، المتوفى سنة سبعين ومائة والف (173) .

جاء في مقدمته (هذه صلوات جيدات عظيمات الاجور والمثوبات تمحق بها ان شاء الله السيئات، وتنمو بها الحسنات، وترفع بها الدرجات، جمعتها محبة في سيد السادات) .
ويتشابه هدفه من جمعها مع هدف الرسموكي في وردة الجيوب، فقد قصد بذلك ان تغني (عن كثيـــر

---

(172) م . خ . ع ر . 637 ك في مجموع من ص 136 .

(173) ترجمه صاحب شجرة النور الزكية ص 354 . وذكر انه توفي سنة 1175 هـ . بتونس اخذ عن محمد بن عبد القادر الفاسي، وابي العباس احمد بن محمد الطرابلسي، وقاسم الخصاصي، ومحمد العياشي وغيرهم .

من التآليف المطولات والمختصرات) لذلك فانه اعتمد نفس المقاييس (منها ما تعدل الثلاثة منها قراءة دلائل الخيرات، ومنها ماصح في الواحدة منها بانها تعدل قراءته اربعين مرة مستوفاة، ومنها ماتوجب شفاعة سيد السادات) (174) .

وتبلغ قيمة بعض صلواته المختارة سبعين الف صلاة، وهي تقديرات ومبالغات مالوفة ومتداولة لذا مؤلفي كتب الصلوات والاذكار . وبعدما اورد مجموعة من الصلوات الماثورة، ختم الكتاب (بكيفية من وجوه ذكر الباقيات الصالحات . . . فجاءت بحمد الله كاملة الذات والصفات، ونافعة في الحياة وبعد الممات) .

والصلوات المجموعة في الكتاب من صلوات دلائل الخيرات، وتقترب في مجملها من مختارات "وردة الجيوب" . تدور حول : محور الصلاة الابراهيمية بصيغها، صلوات الاسماء، صيغ الاستحقاق . . . وتغلب عليها صلوات التعداد بصيغها المتنوعة . . .

وكالدلائل، قسم الهاروشي كتابه الى اربعة ارباع تسهيلا لقراءته وحفظه، وختمه بادعية توسلية شخصية مختلفة عن الصلوات الماثورة . الا انه مختلف عنه في الاهتمام برموز الحروف والاشارة اليها في الصلوات (اللهم صل على ألِف أحُديتك، وحاء وحدانيتك، وميم مُلكك، ودال دينك . . .)(175) .

وفي مزج الآيات بالصلوات (اللهم صل على مشكاة جسمه، ومصباح قلبه، وزجاجة عقله، وكوكب سره الموقد من شجرة المبيض عليه من نور ربه، نور على نور) (176) . اعتمد فيها الآية (الله نور السموات والارض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . . . الآية) والامثلة على هذا كثيرة (177) .

17 - <u>الفتح المبين والدر الثمين في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين،</u> لعبد الله ابن محمد الهاروشي السابق الذكر(178)شرح فيه كنوز الاسرار في الصلاة على النبي المختار. وقد

---

(174) كنوز الاسرار ص 136 رقم 631 ك .
(175) ص 138 .
(176) ص 139 .
(177) سورة النور، آية 35 .
(178) م. خ. ع. ر. في مجموع مع كنوز الاسرار . له .

جاء هذا الشرح ليؤكد تاثر المؤلف في صلواته بدلائل الخيرات .

فقد عقد الباب الخامس (في اقامة العذر بين يدي نعال صاحب دلائل الخيرات والتنبيه على قطرة من بحر مااشتمل عليه تاليفه العظيم من الاسرار والبركات بعد تقبيل الارض بين يديه، والاعتراف بفضيلة السبق لهذا الفضل الكبير)(179) . وكما هو الشان في جل كتب الاذكار يحضر دلائل الخيرات عند الهاروشي حضورا دائما، ويجعله مقياسا يقيس به صلواته (واغلبها من صلوات الكتاب نفسه) فبعضها يعدل قراءته مرة واحدة، او ثلاث مرات . . . وتبلغ بعض صلواته اربعين سلكة من دلائل الخيرات، وهي الصلاة الثالثة عشرة (اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه . . . الى بدوام ملكك) . والصلاة الرابعة والعشرون من كنوز الاسرار وهي (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وازواجه وذرياته عدد ما في علمك صلاة دائمة بدوام ملكك)(180) .
ولعله قلد في ذلك الجزولي نفسه الذي روي محمد المهدي الفاسي في مطلع المسرات عن احمد الامين خديم الشيخ انه قال: من قرا هذه الصلاة (اللهم صل على سيدنا محمد وآدم . . .الى اجمعين) ثلاث مرات فكانه ختم دليل الخيرات (181). وهي من صلوات الدلائل .

واذا كان الهاروشي يشير الي مصادر صلواته في كنوز الاسرار، فانه في شرحه "الفتح المبين" يذكر هذه المصادر ويهتم بالاسانيد . ويذكرنا بمؤلف آخر في نفس الموضوع هو كتاب "الدر النضير" لاحمد بابا السوداني .
وكثيرا مانجد عبارة "وهي ماخوذة من دلائل الخيرات"ويبرر سبب اختيارها . فقال مثلا عن الصلاة التاسعة والاربعين (اثبتناها هنا لاشتمالها على الثناء على اكابر اهل الحضرة الالهية)(182) .

ويعترف الهاروشي بفضل الجزولي على كل مؤلفي الصلوات والاذكار وحيازته قصب السبق في هذا الميدان (اما الشيخ العارف محمد بن سليمان الجزولي فقد حاز قصب السبق الى هذا المرام، ونفع الله بتاليفه الخاص والعام حتى لقد رفع في الفضل ارتفاع الشمس في الهاجرة، وحصل

(179) الفتح المبين 197 .
(180) الفتح المبين 214 و 217 .
(181) الفتح المبين 218 .
(182) الفتح المبين 223 .

الناس منه على خير الدنيا، ونعيم الآخرة فله مرتبة الفضل بالتحقيق على جل من سلك هذا الطريق) (183) . فمن الطبيعي اذن ان يكون محل تقليد ومحاذاة من طرف كتاب الاذكار والتصليات .

18 - ادل الخيرات في الصلاة والسلام على سيد السادات،

لاسماعيل بن ادريس افندي (النصف الاول من القرن الثالث عشر)(184) . فرغ من تاليفه سنة سبع وعشرين ومائتين والف .

قال في مقدمته (هذه نخبة من صيغ صلوات شريفة، وتحفة من جميل دعوات لطيفة، جمعت بعضها مما ورد في الاخبار، وبعضها مما اخترعته الائمة الاخيار والاولياء المقربون الابرار) .

وعن سبب تاليفه (وسبب جمعي لها ماوقع لي من بوارق بشارات، اضاءت لي عن شوارق واشارات، تؤذن بالفضل الجسيم، والفيض العميم، وتنص على الدخول في شفاعة سيد المرسلين، والحوز لمنازل السابقين، وتعم جامعها وقارئها بفضل اكرم الاكرمين)(185)

ورتبه في مقدمة وثلاثة فصول :

- الاول، في فضل مطلق على النبي . جمع فيه ازيد من سبعين فائدة من فوائد الصلاة عليه ص مجيزا - كاغلب المؤلفين - الاعتماد على الاحاديث الضعيفة على عادة المحدثين في موضوعات الترغيب والترهيب .

- الثاني، في فضل ما حواه هذا الجمع من فوائد مما جاء في الآثار ونقل عن الاخيار والمقربين الابرار : قيّم فيه صلوات كتابه وابرز اكثرها توابا وفضلا .

وكان دلائل الخيرات - كالعادة- هو المقياس المعتمد، فجعلها تتراوح بين سلكتين وستين سلكة منه . وكان من المبالغين اذ جعل بعضها يساوي قراءة سبعين الف صلاة غيرها . . . بل ودخل مجال

---

(183) الفتح المبين 199 .

(184) م. خ . ع. ر. 1084 ج .

(185) ادل الخيرات، مقدمته ورقة 1 .

الاسطورة والتدجيل، باعطاء بعض الصلوات قدرات خارقة لايقبلها العقل (186).

- الثالث، في ترتيب تلاوتها . وقد صنفها في سبعة احزاب، يقرا كل واحد منها خلال يوم من ايام الاسبوع .

وكما ورد في المقدمة فقد ساق المؤلف بعض صلواته مما ورد في الآثار وبعضها مما اخترعه الائمة والاولياء اضافة الى ادعية توسلية خاصة .

ومن النوع الاول (ما ورد في الآثار) الصلاة الابراهيمية بصيغها وصلوات الاستحقاق، والتعداد والاستمرارية، والصلوات المركزة على الاسماء، وصلاة الفاتح، واغلب هذه الصيغ من صلوات دلائل الخيرات .

كما اورد بعض ادعية مشاهير الصحابة والائمة وصلواتهم : كالخلفاء الراشدين، وابي ذر، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، والحسن البصري، والجنيد، وسفيان الثوري، واحمد الرفاعي، واحمد البدوي والبكري وغيرهم (187) .

اما الادعية التوسلية الخاصة فقليله (اي النوع الثاني) (188) .

وقد سبق ان اشرنا الى ان الجزولي هو السابق الى هذا المنهج الذي يقوم على المزج بين الصلوات الماثورة والتوسلات الخاصة . وسيقوم بعض العلماء بتبرير ذلك وتحليله كما سنرى .

ويبدو تاثير الجزولي كذلك في عنوان الكتاب (ادل الخيرات) . وفي ايراد كثير من صلوات الدلائل، وتقسيمه الى سبعة احزاب يومية .

مع ذلك تبقى لادل الخيرات بعض الخصوصيات المميزة :

بنى بعض صلواته على آيات قرآنية، واحاديث نبوية على غرار ما وجدناه في كنوز الاسرار (189) .

---

(186) ورقة 12 . . . وهناك نماذج خرافية اخرى في نفس الكتاب .

(187) 16 ب و 17 أ .

(188) يوجد اهمها في الصفحات 25/88/90/178 . . . وما بعدها .

(189) توجد الصلوات المبنية على الآيات القرآنية في الصفات 87/88/176/177/207 . وعلى الاحاديث ص239 .

- الاهتمام بفك رموز الحروف في بعض الادعية والصلوات (190) .

- وضع تصليات خاصة مستغلقة تتسم ببعض الغموض على غرار مانجده عند ابن عربي من مثل قوله (اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صاحب اللطيفة القدسية المكسوة بالاكسية النورانية السارية في المراتب الالهية والمتكلمة بالاسماء والصفات الازلية والمقيضة انوارها على الارواح الملكوتية المتوجهة في الحقائق الخفية النافية لظلمات الاكوان العدمية المعنوية) (191) .

ولانجد هذا النوع من الصلوات عند اصحاب التصوف السني .

ويشير النبهاني في " سعادة الدارين" الى وجود كتاب اسمه (ادل الخيرات) من تاليف محمود الكردي القاري نزيل المدينة، وهو مؤلف (الباقيات الصالحات) كذلك (192) .

ولابي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني المتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والف كتابا في نفس الموضوع . اسمه (ادل الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات) (193) .

19 - نور البصر في الصلاة على خير البشر،

لمحمد بن عبد السلام بن احمد بوستة المراكشي المتوفى حوالي واحد وخمسين وثلاثمائة والف (194) .

جاء في مقدمته (. . . وبعد فان الصلاة علي النبي المختار سبب في قضاء الحوائج ونيل الاوطار، فيها يبلغ العبد مناه ويصل الى مولاه، ويدرك مايرجوه ويتمناه، . . .اذ لاجاه اعظم عند الله من جاه سيدنا محمد . وقد خدمته بهذه الصلوات، والمرجو من كرمه (صَ) ان يقبلها فتكون سببا عند الله تعالى في قضاء الحاجات ورفع الدرجات والنجاة من سائر المحن والآفات) (195) .

---

(190) ص 179/89 .

(191) ص 117 ب، وتوجد امثلة عديدة منها في 117 ب و 118 أ .

(192) ص 7، من سعادة الدارين .

(193) ترجمه ابنه محمد الباقر في كتابه (محمد الكتاني الشهيد) ط. الفجر 1962، وادل الخيرات، مطبوع ط. فاسية . ذكره محمد المنوني مع المؤلفات في الصلاة والتسليم على خير البرية . دعوة الحق ماي 1977 .

(194) م . خ . ع . ر . 32 ك اول مجموع 1-179 نسخة بخط المؤلف، تم الفراغ من تاليفه ونسخه يوم 28 ربيع الثاني 1349 .

(195) نور البصر 2-3 .

وهي نفس الاسباب التي دفعت التادلي الموساوي الى جمع صلواته "قضاء الحوائج والاوطار" السابق الذكر . وتهيمن على الكتاب روح دلائل الخيرات .

- فمؤلفه هو احد رؤساء فرق اهل الدليل بمراكش . وله رسالة مشهورة في حث الفقراء قراء الدلائل على التخلق بالفضائل الكريمة.

- يروي بوستة المراكشي انه الف هذه الصلوات باشارة من الجزولي فقد راى في منامه انه ذهب لزيارة ضريحه، فوجد الشيخ جالسا في قبره وسلم عليه ثم اعطاه اوراقا كتبت عليها صلوات بخط رفيع ماراى مثله . وقال له (اكتب مثل هذا) .

ففهم انه طلب منه نسخ دلائل الخيرات في مثل ذلك الخط الحسن فاعتذر لرداءة خطه، ولكن الشيخ اصر على قوله . فالهمه الله ان يجمع هذه الصلوات . قال بوستة (فجمعتها ، ولما خرجت على هذا المثال، واكملتها واخذتها وذهبت بها الى ضريح الشيخ، فقراتها عنده مابين المغرب والعشاء، ودعوت الله تعالى ان يقبلها مني وينفع بها .

وعند ذلك تذكرت الرؤيا ، وعرفت يقينا ان هذا هو مقصود الشيخ . .وهكذا جميع الكتب التي الفتها في الصلاة عليه صﷺ كلها باذنه وببركة دلائل الخيرات) (196) .

فالى هذه الدرجة كان المؤلف مولعا بدلائل الخيرات .

- وزاد في تعظيم شان كتابه بما رواه عن فضائل قراءته، وما حصل لاحد اقربائه من البركات والبشائر بعد مداومته على قراءته .

ولا تهمنا هذه الرؤى ولا الفضائل بقدر ماتهمنا دلالاتها والتي تتجلى في رغبة المؤلف السير في خط كتاب الجزولي عسى ان يحظى بما حظي به من شهرة وقبول . وجاء مضمون الكتاب ليؤكد هذه الرغبة . فقد كان الدلائل مصدره الرئيسي في صلواته : نقل عنه في صيغ الصلوات الابراهيمية، ومحور الانبياء والملائكة، وصلوات التعداد والاستمرارية وصيغ السؤال .

وفي الكتاب جانب ذاتي خاص تميز بادعية التوسلية القصيرة، والمزج بين الصلوات والآيات القرآنية مثل (اللهم صل على خليل الله الذي جعلت محبته علامة على محبتك، فقلت قل ان كنتم تحبون الله

---

(196) نور البصر 176 - 177 .

فاتبعوني يحببكم الله، وعلى آله وصحبه وسلم) (197)

20 - افضل الصلوات على سيد السادات،

ليوسف بن اسماعيل النبهاني (198) .

جعله وسيلة لمحو الذنوب، قال (اني تفكرت في كثرة ذنوبي وقلة اعمالي الصالحة، فعظم بذلك بلائي، وغلب خوفي على رجائي ثم الهمني الله سبحانه ان لا دواء لهذا الداء، انفع من صدق الالتجاء الى سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين . فقد قال تعالى : وابتغوا اليه الوسيلة . وهو (صَ) اعظم الوسائل والوسائط لديه، وافضل الخلائق واحبهم اليه، وها انا قد التجات الى جابنه الكريم صَ وخدمته بهذا المجموع الذي جمعته من فضل الصلاة عليه) (199) .

قسمـــه الى قسمـــــين :

- الاول، بين فيه فضائل الصلاة وفوائدها ويشتمل على سبعة فصول .

- الثاني، ذكر فيـه الصلوات بصيغها . وسار على نهج احمد بابا السوداني في " الدر النضير" ، وعبد الله الخياط الهاروشي في "الفتح المبين" ، في رد كل صيغة الى اصلها، وبيان رواتها وفضلها .جمع في هذا القسم سبعين صلاة هي "اكمل الكيفيات، وافضل الصلوات" في نظره وذكر مصادره في المقدمة فكان منها شفا عياض وعلى الخصوص دلائل الخيرات، وشرحه حسن العدوي المصري .ويحث الفقير على قراءة الكتاب لانه لانظير له في موضوعـه . (فانك مهما فتشت لاتكاد تجد ماشتمل عليه مجموعا في كتاب سواه) (200)

وختم النبهاني الكتاب بسبع قصائد في المدح النبوي والسيرة والشمائل النبوية . وتحتل صلوات دلائل الخيرات المرتبة الاولى ضمن صلوات الكتاب فقد بلغت زهاء النصف من مجموع

---

(197) ص 32 .

(198) طـ . دار الفكر ببيروت في 264 ص . د . ت. من علماء مصر آخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر . اخذ على الشيخ حسن العدوي شارح الدلائل والشفا .

(199) افضل الصلوات ص 3 .

(200) ص 5 .

السبعين صلاة : منها صلوات الاهل بصيغها ، والصلاة الابراهيمية بصيغها ، والصلاة المنجية، وصلاة نور القيامة، ومصباح الظلام، وصلاة السعادة ، والتفريجية، وصلوات التعداد والاستمرارية .

ولم يكن المؤلف ينسب للدلائل الا ما كان من التوسلات الخاصة بالجزولي . اما الصلوات الماثورة في الكتاب - وهي اغلب ما فيه - فكان يردها الى اصولها التي استقاها منها الجزولي نفسه .

من خصوصيات " افضل الصلوات " :

- ايراده لصيغ صلوات مشاهير الاولياء والصوفية كالشاذلي، والبكري، والجيلاني . . . وهي صلوات تتميز بالطول . بلغ بعضها ثمان عشرة صفحة .

- تذييله بقصائد مدحية توسلية .

- تذييل كل صلاة بشروح وحديث عن فائدتها ومصدرها . . . وفي هذا تكميل وخدمة لدلائل الخيرات ما دامت اغلب صلوات النبهاني مقتبسة منه .

21 - سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين،

ليوسف بن اسماعيل النبهاني (201) .

كتبه بعد "افضل الصلوات" السابق الذكر . ويمكن اعتباره بمثابة طبعة موسعة له . اذ سار فيه على نهجه في اختيار الصلوات التي يعتبرها من احسن صيغ الصلاة على النبي واكثرها فائدة.

يبدأ بخطبة في كيفية تاليفه واسماء الكتب التي كتبت في الموضوع :

- مقدمة، في ست عشرة مسالة تتعلق بالصلاة على النبي ويقع في عشرة ابواب :

الاول، في تفسير قوله تعالى، ان الله وملائكته يصلون على النبي . .

الثاني، فيما ورد في فضل الصلاة والتسليم على النبي (ص)من الاحاديث مرتبة ومضبوطة .

الثالث، فيما ورد عن الانبياء والعلماء في فضل الصلاة عليه .

الرابع، فيما ورد من لطائف المراثي والحكايات في فضل الصلاة عليه .

---

(201) طـ . ببيروت سنة 1316 هـ في مجلد من 720 ص

الخامس، المواطن التي تشرع فيها الصلاة عليه .

السادس، في التحذير من ترك الصلاة عليه .

السابع، في فضل السلام عليه صَ .

الثامن، في كيفيات الصلاة عليه . وهذا هو الباب الرئيسي، اورد فيه ثلاثين ومائة صلاة .

التاسع، في الكلام على رؤية النبي .

العاشر، في فوائد الصلاة على النبي (صَ)

وقد اعتمد كثيرا من صلوات "الدلائل" الا انه لاينسب للجزولي الا ادعيته التوسلية الخاصة . اما الصلوات الماثورة فيردها الى اصولها التي استقاها منها صاحب " الدلائل " وهو نفس النهج الذي سلكه في كتابه " افضل الصلوات" . اما الادعية الخاصة المنسوبة للجزولي في " سعادة الدارين " :

- اللهم صل على سيدنا محمد نبيك، وابراهيم خليلك، وعلى جميع انبيائك (202)
- اللهم اني اسألك واتوجه اليك بحبيبك المصطفى (203) .
- افضل صلوات الله واحسن صلوات الله . . . (204)

وتبقى لهذا الكتاب نفس خصوصيات الكتاب السابق "افضل الصلوات" :

- تسمية الصلوات وردها الى اصولها وذكر فضائلها .
- اختيار صلوات طويلة .
- المزج بين التعليقات والاحاديث عن الصلوات، وصيغ الصلوات .

---

(202) الصلاة 51/ ص 277 .

(203) الصلاة 122/ ص 344 .

(204) الصلاة 29/ المقدمة .

استنتــاجـــاتــــه عــامـــــة،

من الصعب الاحاطة بكل ما كتب في موضوع الصلوات والاذكار فقد الف العلماء والصوفية العديد منها :

- تطبيقا لقوله تعالى : (ان الله وملائكته يصلون على النبي، يا ايها الذين آمنوا صلوا وسلموا عليه تسليما) (205) فقد شرف الله تعالى محمدا بالصلاة عليه بنفسه وبصلاة الملائكة .

- كما امرنا ان نبتغي اليه الوسيلة (206) . واعتبر الصوفية محمدا احسن الوسائل بيننا وبين الله، فهو نبيه والشافع عن الامة .

وقد اكتفينا بذكر اهم كتب الصلوات والاذكار، واكثرها تاثرا بالدلائل ايثارا للاختصار .

أ) وتجمع بين هذه المؤلفات نقط ائتلاف، اهمها ،

1 - وجدت منذ عصر الجزولي (القرن التاسع الهجري)، واستمرت بانتظام الى آخر القرن الرابع عشر

الزمن / التصنيف	ق 9	ق 10	ق 11	ق 12	ق 13	ق 14	المجموع
الصنف الاول	-	2	1	1	3	5	12
الصنف الثاني	1	-	2	2	1	3	9
المجموع	1	2	3	3	4	8	21

2 - اغلب مؤلفيها من المغرب، ينتسبون الى مدن علمية عريقة (فاس/ مراكش)، او مناطق اشتهرت بزواياها النشيطة كالصحراء (الكنتية)، سوس (جزولية)، تادلة (الصومعة، ابو الجعد، كما أن بعضها مؤلف في المشرق (مصر خاصة)، او في افريقية :

---

(205) سورة الاحزاب، آية 56 .

(206) قال تعالى (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) سورة الاسراء آية 57 .

المنطقة / التصنيف	مشرق	افريقية	المغرب					المجموع
			فاس	مراكش	الصحراء	سوس	تادلا	
الصنف الاول	2	-	4	1	3	-	2	12
الصنف الثاني	3	1	2	1	-	2	-	9
المجموع	5	1	6	2	3	2	2	21

3 - اغلبها مخطوط (ثمانية عشر كتابا من اصل واحد وعشرين) . فمع كثرتها لم تلق بعد الاهتمام والعناية اللازمين من طرف الدارسين والباحثين لتعرف طريقها الى المطابع .

4 - وتتفاوت شكلا وحجما، ففي الوقت الذي يتكون فيه بعضها من اقل من عشر ورقات، يصل بعضها الآخر الى عدة مجلدات (كذخيرة المحتاج مثلا) . الا ان حوالي النصف منها متوسط الحجم .

وسار اصحاب النسخ الصغرى من الصلوات على نهج دلائل الخيرات في اعتماده في حجم الجيب ليتمكن القارئ من حمله معه على الدوام في الاسفار والحروب . فتنافس الصناع في ابداع اشكال من الاغلفة الجلدية المزخرفة التي تحفظه ليعلق على جهة اليمين .

5 - لكي تكون لخطاب هذه المؤلفات سلطة وفعالية وتاثير، حاول الكتاب تكثير المنطلقات المشتركة بينهم وبين المخاطبين وذلك بايجاد مايمكن تسميته بعقدة التاليف التي اتخذت عدة اشكال :

- كأن يطلب الفقراء من المؤلف تصنيف كتاب في الصلوات (نور الجمال) .

- يرى المؤلف في المنام ان الرسول قد اشار عليه بتصنيف الصلوات وجمعها .

- وقد يكون المشير على المؤلف هو صاحب دلائل الخيرات، فقد راى بوستة المراكشي ان الجزولي قد سلمه اوراقا فيها صلوات . . فالف كتابه (نور البصر) .

- وتدور أسباب تاليف اغلب كتب التصليات حول طلب المغفرة وقضاء الحاجة . ويحاول بعض المؤلفين لفت الانظار اليهم باستصعاب المهمة، واظهار العجز (تحفة المستيقظين) والتطاول على مقام النبوة (دلائل النبوة) .

6 - اذا كان الهدف الاساسي من هذه الصلوات، هو ذكر الله وعبادته والصلاة على نبيه طلبا للعفو والمغفرة . فان هناك اغراضا اخرى مستهدفة :

- نشر اللغة العربية بين الاوساط التي تغلب على لسانها العجمة (كان دلائل الخيرات منتشرا في بلاد الروم) (207) ، وكذا كتب الصلوات على النبي (المنتشرة في بلاد السودان) .

فمما قاله صاحب الدرر المرصعة عن صلوات ابي عبد الله محمد بن ناصر (واكثر فيها من اللغات والدعوات قصدا منه بذلك على ما قيل، تعليم اهل هذه الازمنة التي غلبت عليها العجمة واستولت على السنتهم اللكنة، اللغة التي بها يفهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى (صّ) (208) .

- وارفقوا الصلوات بالاحاديث (صحيحة وضعيفة) ، واسماء الرسول وصفاته، وشمائله، ومعجزاته، وسيرته . فجاءت هذه المؤلفات لتخدم السيرة النبوية كذلك وتبسطها وتلقنها للعامة الذين يرددون الصلوات فتزيد من رصيدهم العلمي في موضوع من اهم الموضوعات الدينية .

7 - وتراعى تبويبا متقاربا هو تبويب الدلائل يبدا عادة بمدخل او مقدمة في سبب تاليف الكتاب، ثم ينقسم الى قسمين رئيسيين :

- الاول، في الاحاديث والاقوال التي قيلت في الصلاة على النبي وفوائدها وثمراتها ومتى لاتجب... وقد يطول هذا القسم او يقصر بحسب مقاصد المؤلف :

تشغل عدة فصول ومباحث (كما في سعادة الدارين، وميزاب الرحمات) او لاتتعدى بضع صفحات (كما في اغلب المصنفات) .

ويختم هذا القسم برسم الروضة النبوية . وعند العلماء انهم يثبتونها ليتعرف اليها القارئ، ويشخصها بين عينيه، اذ عليه بعد قراءة الصلوات ان يتصور الهيئة الكريمة، بشرية من نور، في ثياب من نور، لتطبع صورته (صّ) في روحانيته، ويتالق معها تاليقا يتمكن به من الاستفادة من اسراره، والاقتباس من انواره(209) .

---

(207) كشف الظنون 1/495 .

(208) من الدرر المرصعة، ترجمة محمد بن ناصر (غير مرقم الصفحات) م.خ.ع.ر. 265 ك .

(209) مطالع المسرات، محمد المهدي الفاسي م.خ. ابن يوسف رقم 41، ص 215 - 216 .

- ويخصص القسم الثاني لكيفية الصلاة على النبي، ترد فيه بصيغها المتعددة مذيلة بتخريجها واسانيدها او مجردة من ذلك .

8 - وتقوم صيغ الصلوات في الدلائل وهي كتب الصلوات عموما على تقسيم ثنائي متداول : الجمع بين مراعاة الشرع وزيارة الاولياء، وما قاله الرسول او السلف الصالح، وما صدر عن الاولياء والعلماء . وقد اعطى الهاروشي مثالا بما جاء في " دلائل الخيرات " (وانت خبير بان الجزولي رضي الله عنه انما ابتدا في كتابه دليل الخيرات بما ورد عن الشرع، ثم بعد ذلك اتى بكيفيات اخرى غير واردة، وانما هي من مقولات الصالحين، وهو القدوة، فالمرجع اليه والمعول عليه (210) .

وفي الشطر الثاني من هذه الصيغ، تبرز محاولات المؤلف الابداعية وصلواته الشخصية، مع التزام الوضوح في العبارة .

9 - واخذت بعض هذه المؤلفات عن الجزولي تقسيمه الصلوات الى احزاب يومية مكونة من اربعة ارباع، او ثلاثة اثلاث . وذلك لتتخذ اورادا يومية من طرف المريدين (ورْد اليوم) .

وتحولت قراءة الدلائل الى المساجد والزوايا (الثلث اليومي) ويسهل هذا التقسيم حفظ الكتاب وقراءته . وتسعى كتب الصلوات بهذا التقليد ان يكون لها نفس القبول والانتشار .

10 - لدلائل الخيرات حضور دائم وثابت في كتب التصليات بانواعها : فقد اتخذته بمثابة المقياس او العملة التي تقيم بها الصلوات، فبعضها بمثابة سلكة من الكتاب، وبعضها اقل من ذلك او اكثر . وبعض هذه الصلوات من صيغ "دلائل الخيرات" نفسه (211) .

والتاثر هنا واضح بالاحاديث النبوية التي تجعل الصلاة بعشر امثالها، واحيانا باكثر من ذلك .

ب - اما اهم نقط الاختلاف بين هذه المؤلفات، فهي :

1 - بعضها يهتم بالتعليق على الصلوات اكثر من ايراد صيغها (الدر النضير، افضل الصلوات، سعادة الدارين، ميزاب الرحمات . . .) .

---

(210) الفتح المبين 206 .

(211) المواهب القدسية، وردة الجيوب، وكنوز الاسرار، وسعادة الدارين، (المقدمة) .

2 - ايراد صلوات تتسم بالغموض -خلافا لما عليه صلوات الدلائل واغلب مؤلفات الاذكار- تتداخل فيها الصور والتضمينات مما يوحي بوجود اسرار لاتفهمها الا النخبة . ولعل هذا من تاثير الاتجاه الفلسفي الصوفي عند بعض مؤلفي الاذكار (كما في آخر أدل الخيرات) .

3 - اعتماد الصلوات الطويلة كما في "افضل الصلوات" وينفي التوازن بين التقسيمات الثلاثية او الرباعية فيتفاوت عدد صلوات كل قسم . كما ان التطويل قد يوقع القارئ في السأم والضجر فلا يتحقق الهدف من الصلاة .

4 - يذيل بعض النساخ "دلائل الخيرات" ببعض قصائد المدح النبوي كبانت سعاد ، والهمزية والبردة، ولكنها ليست من الكتاب في حين ان بعض كتب الصلوات تختار قصائد شعرية توسلية وتجعلها من صيغ الادعية ان في آخر الكتاب (افضل الصلوات) او في وسطه (تصليات بوستة المراكشي، وذخيرة المحتاج) ، والشعر بما فيه من وزن وقافية وصور وسيلة فعالة من وسائل التاثير والاقناع .

5 - مع سيادة التقسيم الثنائي : صلوات ماثورة، وصلوات شخصية مبتدعة . وفي كتب الصلوات يختلف الاتجاه العام من كتاب الى آخر : بعضها تمتزج فيه التصليات بالسيرة النبوية من المولد الى الوفاة (ذخيرة المحتاج) ، في حين يركز بعضها على الاسماء او الصفات النبوية، او تصليات التعداد (كنوز الاسرار ومفتاح الاسرار) ، ومنها مايعطي الاسبقية للتوسلات الشخصية ويعتبرها اساس الاستجابة، وقضاء الحوائج والتعبد، فيغلب الصنف الثاني (المبتدعة) على الصنف الاول من الصلوات (الماثورة) . كما هو الشان في كتابي (قضاء الحوائج، ونور الجمال)

وبقدر ما يعتمد الكتاب على هذ الصنف يبتعد عن نهج " الدلائل " الذي تطغى عليه الصلوات الماثورة .

وقد ذهب الصقلي في صلواته مذهبا خاصا اذ بنى اغلبها على النور المحمدي (سمى الكتاب نور الجمال المحمدي) ، وجعله كما يقول الصوفية اساس كل شيء في الوجود ، وبه يمكن قضاء الحوائج وبلوغ المآرب .

6 - وتختلف بعض مؤلفات الصلاة والتسليم على النبي عن دلائل الخيرات باعتمادها الترتيب المعجمي للصلوات سواء في ذلك المغربي او المشرقي . وقد تاثرفي ذلك بكتاب "غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب "لمحمد بن محمد بن ناصر . ومن الكتب التي سارت على هذا النهج مع اختلاف في الطريقة والاسلوب، نذكر (ذخيرة المحتاج، وقضاء الحوائج، وملذات الحبيب، وميزاب الرحمات) ولعل الدافع الى ذلك هو :

- تنويع صيغ الصلوات واشكالها، درءا للملل والسأم .

- تسهيل حفظها .

- الاحتفال بالجانب الجمالي واللغوي، وخاصة عند الذين يعتمدون الترتيب المعجمي لآخر الكلمة لا لأولها (كما في قضاء الحوائج) .

فيصبح الترتيب بمثابة سجع متغير من فقرة الى اخرى .

يتبين من خلال عرض نقط الالتقاء والاختلاف بين كتب الصلوات "ودلائل الخيرات" ان تاثيره في هذه المؤلفات كان واضحا وعميقا انطلاقا من آخر القرن التاسع الهجري (عصر المؤلف) الى آخر القرن الرابع عشر . فظل الهدف الذي يسعى كل مؤلف الى بلوغ مستواه، والسير على نهجه عسى ان يدرك بعض ما ادركه من قبول وانتشار لدى المريدين والقراء والذاكرين على وجه العموم . وقد تمكن بعض المؤلفين من تحقيق ذلك، فاصبحت لمؤلفاتهم شهرة ومكانة بين مؤلفات التصليات والاذكار على وجه العموم .

خاتمـــة الفصـــل الثانـــي،

الاذكار والاوراد هي العهود التي تشد المريدين الى الشيخ والطريقة، والمفاتيح التي تفتح لهم الابواب لولوج المقامات والاحوال، وتساعدهم على ارتقاء درجاتها لبلوغ اعلاها .

وهي الوسائل التي تفتح للعامة ابواب السماء (وقال ربكم ادعوني استجب لكم)(212) .

لذلك فانها ادوات اساسية وضرورية في التصوف، لايمكن اغفالها او التنقيص من اهميتها . فلا توجد طريقة بدون اذكار واوراد .

وتختلف اهمية واسلوبا ومنهجا باختلاف الطرق الصوفية، وانتشار نفوذها، ومكانة شيوخها ومقاصدهم .

وقد تكون لكل شيخ من شيوخ الطريقة نفسها اذكاره واوراده يلقنها لمريديه في الزمان والمكان . فلكل من عياض والسبتي والجزولي والتباع والغزواني اذكاره واحزابه وتصلياته . . . الا ان احزاب الجزولي المجموعة في دلائل الخيرات، قد ادركت من الشهرة والقبول ما لم تدركه احزاب اخرى، فكان ذلك حافزا لنا لاتخاذها نموذجا نتتبع من خلاله تاثير اذكار سبعة رجال مراكش في ادب الاذكار عموما بالمشرق والمغرب .

وقد خرجنامن الدراسة بنتائج تؤكد اهمية هذا المجموع وشمولية تاثيره :

- فقد اقبل الصوفية على روايته، وحرصوا على ان يكون ذلك عن طريق مؤلفه، فحافظوا على تسلسل مروياتهم، واسماء شيوخهم التي تصلهم به .

- لم ينكب المسلمون في تاريخهم على تنظيم قراءة كتاب اذكار ودعوات باستثناء اهتمامهم بالقرآن الكريم، افرادا وجماعات انكبابهم على دلائل الخيرات . فقد واظبوا على هذه القراءة منذ تاليفه، واسسوا لذلك فرقا وجماعات تقرأ آناء الليل واطراف النهار واجرى المسؤولون لذلك الرواتب والجوائز . واقبل النساخ والوراقون على نسخه وتوزيعه في البلدان والاقطار . وتناقلوا فضائل قراءته وثمراتها، وبالغوا مبالغات زادت الناس تعلقا به، وانكبابا عليه . وكان له -ومازال- تاثير واسع في الحياة اليومية للمسلمين يتلى في التجمعات والمساجد والمدارس والدور في مناسبات الافراح والاحزان، حتى ان المجاهدين والمحاربين كانوا يتبركون بحمله معهم خلال الحروب والمعارك .

سورة غافر، آية 60 .

- واعتبارا لهذه الاهمية، ولانشغال الناس به، حظيت شروحه وتحليلاته بالقبول كذلك . فتسابق الطلبة والمريدون عليها مما جعل العلماء في المشرق والمغرب يقدمون على شرحه والتعليق عليه وتخريج احاديثه، وترجيزه احيانا ، ومنهم من كتب عليه عدة شروح مفصلة ووسيطة ومختصرة لتستفيد منها كافة الفئات الاجتماعية وعلى اختلاف مستوياتها الثقافية والعلمية . وقد اسهمت بعض هذه الشروح في اغناء الحركة العلمية التاليفية بما تضمنته من معلومات ومناقشات وفوائد تتصل بعلوم مختلفة .

- هذا النجاح الذي ادركه الجزولي وكتابه دفع كثيرا من الشيوخ وكتاب الاذكار منذ عصر المؤلف، الى تصنيف احزاب تسير على نهجه تبويبا وتقسيما واحيانا كثيرة تقتبس من صلواته واحزابه او تكتفي بتلخيصه وانتقاء بعض صلواته، وذلك تيمنا به وسعيا لادراك قسط من النجاح والشهرة التي ادركها . وقد تم لبعضها ذلك .

- لقي "دلائل الخيرات" هذه العناية والاقبال لانه يجمع بين طياته آيات قرآنية واحاديث نبوية وادعية ماثورة لمشاهير الصوفية، واخرى خاصة من تاليف الجزولي، وذلك باسلوب يتسم بالوضوح والبساطة، ويتجنب الغموض والتعقيد الذي تميزت به كثير من المؤلفات في الموضوع، كما انه لايجب اغفال مكانة مؤلفه بين صوفية الاسلام على وجه العموم، فهو مجدد الطريقة الشاذلية ومؤسس الطريقة الجزولية التي ستتفرع الى عدة فروع .

وسيعظم شان بعض هذه الفروع مع محافظة الطريقة ككل على كيانها ووجودها .

كما ان الجزولي سيبقى محافظا على مكانته فيها بعلمه، وكثرة اتباعه، وجهاده، ومواقفه في حياته، ومالقيه بعد وفاته من تقدير واعتبار .

فلا يساويه في المكانة الا امثال الجنيد والشاذلي . . . من اعلام التصوف الاسلامي .

الفصل الثالث - في كتب التراجم والطبقات .

تمهيد

المبحث الاول - مؤلفات في مناقبهم افرادا .

المبحث الثاني -مؤلفات في مناقب سبعة رجال

(في سبعة مطالب)

خاتمة الفصل

خاتمة الكتاب

لاحظ بعض مؤلفي كتب التراجم والطبقات (1)، اثناء جمع مواد كتبهم قلة المعلومات والوثائق المتصلة بابحاثهم، فاشتكوا من قلة اعتناء المغاربة بالتاريخ واهمالهم لكثير من اخبار اعلامهم وآثارهم(2) .

فهل يعلل ذلك باعتبارهم التاريخ من العلوم الدنيوية التي لا تكرس لها الجهود، فالثقافة الاكثر تداولا، والاكثر رسوخا في الاذهان والتدرس، هي الثقافة الاسلامية بفروعها وشعبها .

ويجب ان يؤخذ بعين الاعتبار عامل الضياع او الاحتجاب، فهي ظاهرة متميزة في التراث المغربي . فما اكثر الكتب التي وصلتنا اخبارها واصداؤها دون ان تصلنا هي : اما لانها ضاعت او لانها محتجبة في مكتبة عامة او خاصة، لم يتيسر بعد اخراجها والتعريف بها .

وعلى كل حال، فان مؤلفات التصوف وكتب المناقب والرجال التي تهمنا كانت معتبرة من العلوم الدينية التي حظيت بالعناية فبدا المغاربة يؤلفون فيها منذ آخر القرن الخامس وبداية القرن السادس، فوصلتنا قبل ان تصلنا اهم كتب التاريخ ودواوين الشعراء .منها كتاب الحجة لابن سبع السبتي، ومناقب الاولياء وصفة سلوك الاتقياء لابي الحسن المراكشي، والتشوف لابن الزيات، والمقصد الشريف للبادسي، واثمد العينين لابن تجبيلات المراكشي . . .

وقد تناولت هذه الكتب الظاهرة الصوفية من كل جوانبها :

- المذهب الصوفي في التوحيد .
- الطرق الصوفية .
- آداب الصوفية واذكارهم ومصطلحاتهم .
- مناقبهم وكراماتهم .

وكانت تتجنب التصوف الفلسفي المتمثل في مؤلفات ابن عربي، وابن سبعين والششتري وغيرهم . وتنهج منهج المحدثين في اعتماد السند وتمحيصه .

---

(1) محمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن ص 59، واليوسي في المحاضرات ص 4 ط . فاسية، وصاحب سلوة الانفاس ج 3/1 .

(2) حاول ليفي بروفنصال تعليل ذلك في كتابه مؤرخو الشرفاء، ص 37 – 38 ، تعريب ع . الخلادي.

وقد كان للغارات المسيحية على الشواطئ المغربية خلال القرن العاشر الهجري، وحركات الجهاد المضادة التي قادها الصلحاء وارباب الزوايا أثر في ظهور عدد من كتب التراجم والمناقب، تعرف بهؤلاء الصلحاء وطرقهم ومناقبهم وجهادهم وتلامذتهم فعرفت هذه القرون الاخيرة تاليف كتب مهمة في الموضوع :

دوحة الناشر، ممتع الاسماع، صفوة من انتشر، نشر المثاني، التقاط الدرر، البدور الضاوية، مباحث الانوار، سلوة الانفاس، الاعلام . . . واتخذ مؤلفوها مناهج وشروطا مختلفة :

- الشرط الزمني، منها مايضم تراجم اهل القرن العاشر، او الحادي عشر او الثاني عشر .

- الشرط المكاني، منها مايترجم للصلحاء في مدينة معينة، كفاس (السلوة)، او مراكش (السعادة الابدية)، او الرباط، او الصويرة . . .

- الشرط الموضوعي، بعضها يهتم بظواهر صوفية معينة (مناقب رجراجة، سبعة رجال . . .)

واذا اخذنا بالاعتبار ما الف في كل جانب من هذه الجوانب، فاننا نلاحظ ان حظ سبعة رجال من التاليف لم يكن ضئيلا، فقد الفت حولهم مؤلفات مهمة وصلنا اغلبها، في حين لم يصلنا عن الطائفة الرجراجية - المؤلف مجهول -.

تجسدت هذه العناية باعلام مراكش قبل تنظيم الزيارة لبروزهم واشتهار امرهم في مجتمعاتهم . فتناولتهم كتب التراجم والطبقات بصفتهم العلمية او الصوفية، قبل ان يترجم لهم باعتبارهم مكونين لظاهرة صوفية متميزة هي ظاهرة سبعة رجال .

لهذا سنقسم هذا الفصل الى قسمين :

1 - ما كتب عنهم افرادا قبل تنظيم الزيارة .

2 - ما كتب عن ظاهرة سبعة رجال .

وسينصب اهتمامنا على القسم الثاني خاصة .

المبحث الاول - مؤلفات في مناقبهم افرادا

عرّف كتاب التراجم برجالات مراكش قبل ترتيب الزيارة وانتظامهم في عقدها . الا ان هذه الكتب كانت قليلة لا تتناسب والشهرة التي ادركها بعض هؤلاء الرجال . كما ان بعضها لم يكن يشفي الغليل بالكشف عن كل جوانب الشخصية، فادى ذلك الى ضياع كثير من الاخبار، واستمر اللاحقون في ترديد ما كتبه السابقون على قلته وهزاله .

اما الشخصيات التي تم التعريف بها فهي :

القاضـــي عـيـــاض

بالرغم من شهرة عياض ومكانته العلمية، وجهوده في التعريف باعلام المذهب المالكي -فلولاه كما قيل لما ذكر المغرب - فان ما كتب عنه لا يناسب هذه الشهرة .

فاذا استثنينا تلك التراجم المختصرة التي عقدها له كتاب التراجم في الاندلس كالفتح ابن خاقان في القلائد، وابن الابار في معجمه، وابن شكوال في الصلة، والذهبي في التذكرة، وابن فرحون في الذيباج المذهب، والنبهاني في المرقبة العليا . . . فان اهم ما كتب عنه هو :

- كتـــــاب التعريـــف لابنه ابي محمـد (3) :

هو اول مؤلف خصص لعياض . له اهمية خاصة باعتبار مؤلفه هو ابن القاضي نفسه واقرب الناس اليه واكثرهم معرفة به لذلك فان المعلومات التي سبقت في هذا الكتاب سيرددها المترجمون فيما بعد، ولن يزيدوا عليها الا تعليقات وملاحظات .

وقد تحدث ابو عبد الله عن نسب والده، وهجرة اجداده من الاندلس الى فاس ثم سبتة . وعن شيوخ والده ورحلته العلمية . ورتبهم في آخر الكتاب ترتيبا معجميا . ولعله اعتمد في ذلك على كتاب عياض نفسه الذي عرف فيه بشيوخه الموسوم " بالغنية " (4) .

---

(3) حققه محمد بنشريفة، منشورات وزارة الاوقاف، طـ . فضالة د- ت .

(4) حققه محمد عبد الكريم طـ . الدار العربية للكتاب 1978 .

واشتغاله بالتدريس والقضاء في سبتة وغرناطة .

وموقفه من الموحدين وثورة سبتة، ثم تغريبه الى مراكش ووفاته بها .

ونظرا لانه الف الكتاب في ظل الدولة الموحدية فانه حاول ان يبرئ ساحة والده من اي مشاركة في ثورة سبتة، فذكر بانه (بادر بالمسابقة الى الدخول في نظام الموحدين) (5) . وان الشك في طبيعة علاقته بيحيى الصحراوي قد زال بعفو عبد المومن عنه وتقريبه اليه .

وقد جمع ابو عبد الله نماذج من خطب عياض ومن رسائله وبعض قطعه الشعرية، كما اهتم بجمع نبذ من اخباره التي تتضمن علاقاته بمعاصريه من علماء وقضاة وكتاب، مما يلقي الضوء على مراحل حياته .

- ازهار الرياض في اخبار عياض،

لاحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة واحد واربعين والف . الفه بين سنتي 1013 و 1027 هـ، بطلب من علماء تلمسان الذين كانوا يتوقون الى معرفة اخبار عالم المغرب الاكبر عياض . وهو احد الكتب المهمة التي الفها المقري : ازهار الرياض ، نفح الطيب، زهرة الآس .

وقد صاغه في شكل ثمان روضات خصص كل واحدة لمرحلة من مراحل حياة مترجميه، الا انه جاء ناقصا، اذ لم ترد فيه الروضتان السادسة والسابعة (6) :

1 - روضة الورد في اولية هذا الامام الفرد (الجزآن الاول والثاني) (7) .

2 - روضة الاقحوان في ذكر ماله في المنشأ والعنفوان .

(5) التعريف ص 11 .

(6) هما : روضة الآس في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس لجرحه من آس .

- وروضة الشقيق في جمل من فوائده، ولمع من فرائده المنظومة نظم الدر والعقيق . لاحظ محققو الكتاب انهما سقطتا من كل النسخ المخطوطة من الكتاب مما يدل ان المؤلف لم يحررهما اصلا .

(7) طبعت الاجزاء الثلاثة الاولى بالقاهرة سنة 1939 بتحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي .

3 - روضة البهار في ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم اظهر من شمس النهار (معا في الجزء الثالث) .

4 - روضة المنثور في بعض ماله من المنظوم والمنشور .

5 - روضة النسرين في تاليفه العديمة النضير (الجزء الرابع وقسم من الجزء الخامس) .

8 - روضة النيلوفر في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي ازكي من المسك الادفر (بقية الجزء الخامس) .

وهو اوسع مؤلف في ترجمة عياض والتعريف باخباره ومؤلفاته ملك فيه المقري منهجه المعروف في التاليف وهو الاستقصاء والاستطراد . فلم يكن يكتفي بالحديث عن عياض او ما يمث اليه بصلة ، وانما يتجاوز ذلك الى كل ما يتصل بالحياة الثقافية في الاندلس والمغرب منذ عياض وما قبله الى عصر المؤلف . فجاء بذلك موسوعة جامعة لاصناف المعلومات والاخبار، وملخصة لتآليف وتقاييد وصلنا بعضها، وباد البعض الآخر .
فصار مصدرا مهما ليس فقط بالنسبة للمترجم له، وانما للتراث المغربي الاندلسي الى عصر المؤلف . وهو نفس المنهـــج الذي سيـسلكـــه في نفح الطيب الذي الفــه في ترجمـــة اديب الاندلــــس لسان الديـــن بن الخطيـــب .

ان كتاب التعريف، وازهار الرياض يعدان الى جانب مؤلفات عياض، المنابع الاساسية التي استقى منها الدارسون المحدثون الذين كتبوا عن عياض (8) .

- شـــــروح الشفـــا :

لما كان كتاب الشفا من اهم ما كتب في موضوع السيرة والحديث بحسب شهادة العلماء المعاصرين وغير المعاصرين لعياض، فان الاهتمام كان منصبا عليه اكثر من غيره من مؤلفاته، بل ان كثيرا من المعلومات عن عياض ومذهبـــه وتاليفـه توجد في مقدمات الكتب الكثيـرة التي تصـدت

---

(8) كتبت عن عياض ابحاث ورسائل جامعية بكليات الآداب، ودار الحديث الحسنية تناولت ادبه وآثاره الدينية، الى جانب العدد الكبير من المقالات، والاعداد الخاصة من المجلات.

لشرحه او التعليق عليه او تلخيصه او تخريج احاديثه ومحاذاته .

ونحن وان كنا لانقصد دراسة هذه الشروح فاننا سنكتفي بذكر اهمها لاظهار مدى العناية التي لقيها هذا الكتاب دون غيره من مؤلفات عياض ومن كتب السيرة عموما :

1 - الوفا ببيان فوائد الشفا لعبد الله بن محمد التونسي التجاني كان حيا سنة سبع عشرة وسبعمائة (9) .

2 - المقتفى في حل الفاظ الشفا لبرهان الدين ابراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة واحد واربعين وثمانمائة (10) .

3 - فتح الصفا في تعريف حقوق المصطفى لابي الحسن علي بن محمد بن اقبرس الشافعي المتوفى سنة اثنتين وستين وثمانمائة (11) .

4 - مزيل الخفا عن الفاظ الشفا لتقي الدين احمد بن محمد القاهري الشمني المتوفى سنة واحد وسبعين وثمانمائة (12) .

5 - الاصطفا لبيان معاني الشفا، لشمس الدين محمد بن محمد الشافعي الدلجي المتوفى سنة سبع واربعين وتسعمائة (13) .

6 - رافع الخفا عن ذات الشفا، لعلي بن سلطان القاري المتوفي سنة اربع عشرة والف (14) .

7 - نسيم الرياض في شرح شفا عياض لشهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي المتوفى سنة تسع وستين والف (15) .

---

(9) م.خ.ح. رقم 4016 .

(10) توجد منه عدة نسخ مخطوطة بالاسكوريال، ودار الكتب المصرية .

(11) توجد منه عدة نسخ مخطوطة بالاسكوريال والزيتونة، م.خ.ع.ر. 749 ق .

(12) طبع في اسطنبول سنة 1265 هـ، في دار الفكر ببيروت .

(13) م.خ.ع.ر. 813 ج .

(14) طبع بتركيا سنة 1310 هـ، وبمصر .

(15) طبع باسطنبول وبالقاهرة عدة مرات، وبهامشه شرح الشفا للقاري .

8 - الفتح الفياض على شفا عياض، لعلي بن محمد الفاسي الحريشي المتوفى سنة اربع وثلاثين ومائة والف (16) .

9 - المدد الفياض، بنور الشفا لعياض، للحسن العدوي الحمزاوي (17) .

10 - المنهل الاصفى في شرح ماتمس الحاجة اليه من الفاظ الشفا لابي عبد الله محمد بن علي التلمساني (18) .

واختصرت بعض المؤلفات كتاب الشفا، فركز على اهم موضوعاته، وجردته من الاسانيد ليسهل حفظه .

واهم هذه المختصرات :

1 - لباب الشفا، لمحمد بن الحسن بن محمد المالقي المتوفى سنة واحد وسبعين وسبعمائة (19) .

2 - لفظ ندا الحياض من ازهار نسيم الرياض لمحمد بن عبد السلام بناني المتوفى سنة ثلاث وستين ومائة والف = اختصر فيه شرح الخفاجي لشفا عياض (20) .

3 - تلاخيص من كتاب الشفا، لمؤلف مجهول الاسم (21) .

وتعـــــدى الاهتمـام بالشفـا شرحـــــه واختصـــاره الى تخريج احاديثـه (22)،

(16) توجد منه عدة نسخ مخطوطة في خ.ع.ر. 578 ق، 0701 د ، 334 ك .

(17) طبع بالقاهرة في مجلدين .

(18) توجد منه نسخ خطية بالاسكوريال وبالجزائر وفي خ. ع. ر. رقم 1316 ك .

(19) من مخطوطات خزانة الزيتونة بتونس، بروكلمان 266/6 .

(20) م. خ. ع. ر. 1456 ك .

(21) م. خ. ابن يوسف بمراكش رقم 26 .

(22) من الكتب التي اهتمت بتخريج احاديث الشفا .

- مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ ، ط. القاهرة 1276 هـ .

- تخريج احاديث الشفا لناصر الدين محمد بن طغرل الصيوفي، ط. بريل بلايدن .

- تكميل مناهل الصفا، لادريس بن محمد العراقي الفاسي المتوفى سنة 1183 هـ .

ونظمه (23)، ومحاذاته (24) ، وهي دلائل على اهمية الكتاب وحسن تقبل رجال العلم له وشهرته .

وتقدم هذه مؤلفات تراجم ومعلومات مفصلة عن حياة عياض ومؤلفاته، قبل شرح الفاظ الشفا ومناقشة موضوعاته وتخريج احاديثه، وبذلك تعد مكملة للكتب التي ترجمت له .

يوسف بن علي الصنهاجي :

لم يلق ابو يعقوب ما لقيه رجالات مراكش من عناية المترجمين والكتاب . فضاعت لذلك كثير من اخباره، والقليل الذي وصلنا منها كان مصدره الوحيد هو التشوف لابن الزيات المعاصر لابي يعقوب .

فهل يرجع هذا الاهمال الى تقلص الدور السياسي والاجتماعي والعلمي الذي نهض به بالمقارنة مع ادوار عياض او السبتي او الجزولي وذلك اعتبارا لظروفه الخاصة (كان مبتلى بالجذام) وعلى كل حال فان موقعه الصوفي في عصره كان بارزا فهو قريب من ابي يعزى صاحب الطريقة الصوفية المشهورة في العصر الموحدي، ذلك لان شيخه ابا عصفور هو تلميذ ابي يعزى .

المصدر الاساسي المترجم لابي يعقوب هو التشوف الى رجال التصوف لابي الحجاج يوسف بن يحي التادلي الشهير بابن الزيات المتوفى سنة سبع وعشرين وستمائة (25) .

من اهم مصادر التاريخ الديني بالمغرب ألف سنة سبع عشرة وستمائة، موضوعه : زمنيا صلحاء الدولتين المرابطية والموحدية، مع عدم ذكر المعاصرين منهم للمؤلف، قال (ولم اتعرض فيه لاحد من الاحياء)(26)

---

(23) نظمه احمد سكيرج في كتاب سماه : مورد الصفا في محاذاة الشفا يقع النظم في 7747 بيت ، و 5 مجلدات، ميكرو فيلم خ. ع. ر. 1061 . انظر ترجمته عند الاستاذ عبد الله الجراري في كتابه التاليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين ، ص 42 – 46 ، ط . دار المعارف، الرباط .

(24) اثر الشفا بمنهجه واسلوبه وموضوعه في مؤلفات حاولت تقليده والسير على نهجه، وهي :
- مفتاح الشفاء لعبد الرحمن الفاسي .
- زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من سيرة الخلائق، لمحمد الحاج الدلائي . خ . ع . ر . 306 ك .
- نزهة الراوي وبغية الحاوي في شمائل النبي (ص) وخصائصه ومعجزاته .

(25) – طبع بتحقيق ادولف فور في الرباط سنة 1958، واعيد طبعه بتحقيق احمد التوفيق من منشورات كلية الآداب بالرباط 1984 .

(26) التشوف 13 .

ومكانيا، صوفية حاضرة مراكش وما كان من اعمالها، وما اتصل بها سواء تعلق الامر بالمنتسبين الى المدينة او الوافدين عليها .

وتميز الكتاب بالعدد الهائل من الشخصيات التي جمعها (سبعا وسبعين ومائتين)، وبمنهجه الخاص :

- لم يقحم نفسه في مناقشة النظريات الصوفية، وركز على اخبار الرجال :(وجردت هذا الكتاب من علوم التصوف، واقتصرت على ابـــراد اخبـــار الرجال، فان احياء علوم الديـــن . . . هو المنتهى فـي ذلك (27) .

- توخى الدقة والضبط في نقل الاخبار وروايتها باعتماد اصح الاسانيد وتمحيصها . قد اشار الى ذلك في مقدمة الكتاب (وتحريت في نقل ذلك عن اهل الثقة والامانة والخير والصلاح، والمستورين ماالستطعت، وربما ذكرت باسنادي ما نقلته من ذلك . وربما سمعت الخبر من عدة طرق بالفاظ كثيرة فاعتمدت على اصحها سندا واقربها الى الصواب لفظا) (28) .

لهذا انتشر التشوف وبقي من المصادر الاساسية للتصوف المغربي، فالمعلومات التي قدمها عن بعض الصوفية القريبين من عصره، ظلت تتردد بنصها في كتب التراجم اللاحقة دون ان يضاف اليها شيء آخر .

وقد جاءت ترجمة ابي يعقوب المبتلى (29) مقتضبة، عرّف به وبنسبه وشيخه ابي عصفور (خصه بترجمة كذلك)، وابتلائه بالجذام، وما اثر عنه من صبر ورضى بهذا البلاء، وشكر لله عليه، ونوعية الحياة التي كان يحياها في غاره الذي سيصبح قبرَه بعد وفاته .

وترددت هذه الترجمة بنصها في كتب الطبقات . واشار اليفرني في درر الحجال الى وجود علاقة قرابة بين ابي يعقوب وابي مدين الغوث الصوفي المشهور دون ان يوضحها او يذكر مصدره

(27) التشوف 6 .

(28) التشوف 4 .

(29) التشوف 308 - 309 .

المعتمد في ذلك، وناقش قول ابن الزيات (وكان صابر راضيا)، محاولا ابراز التناقض بين العبارتين (30).

واكتفى المترجمون اللاحقون كعباس بن ابراهيم، ومحمد بن المؤقت بنقل كلام ابن الزيات، ومناقشة اليفرني له (31).

ابو العباس السبتي

اغفل صاحب التشوف ذكر بعض الصوفية من معاصريه بالرغم من انهم لم يكونوا احياء عندما الف الكتاب (سنة سبع عشرة وستمائة) كالقاضي عياض المتوفى سنة اربع واربعين وخمسمائة، وابي العباس السبتي المتوفى سنة واحد وستمائة، في حين ترجم (من هم اقل مكانة وشهرة. الا انه تدارك ذلك بتخصيص ترجمة مستقلة لابي العباس، ذيلت بها بعض نسخ التشوف وجاءت مستقلة في نسخ اخرى (32)، وعنوانها:

- اخبار الشيخ ابي العباس السبتي،

لهذا المؤلف اهمية كبيرة لان ابن الزيات كان معاصرا للسبتي، واحد رفاقه. لذلك روى بعض اخباره عنه وعن اصحابه وتلامذته امثال: ابن مساعد، وابن خالص، وعيسى بن شعيب، ويوسف بن محمد بن الحسن الانصاري المعروف بالحكيم الاندلسي. فكان لذلك المنبع الاساسي لاستقاء اخبارا لشيخ السبتي فيما بعد.

ويشتمل على الابواب التالية:

- مولده بسبتة ودراسته على الشيخ الفخار،
- باب في اصل مذهبه القائم على الصدقة،
- باب في ابتداء امره: انتقاله من سبتة الى مراكش،

---

(30) انظر الفصل الثاني من الكتاب الاول من هذه الاطروحة.

(31) في اظهار الكمال، والاعلام، والسعادة الابدية.

(32) لذلك ذيل بها محقق الطبعة الثانية من التشوف الكتاب.

- باب في ذكر فضائله،
- باب في ذكر اخباره وكراماته .
- باب جامع لمنازعه . وكان ابن الزيات مخلصا لمنهجه في التشوف :

1) تمحيص السند، واختيار الصحيح منه .

2) الاهتمام بالاخبار والكرامات المعقولة اكثر من الاهتمام بالمذاهب الصوفية .

وبقيت هذه الترجمة المفصلة اساس ما نعرفه عن السبتي، فلم يضف اليها كتّاب التراجم الذين جاءوا من بعد الا النزر القليل، كصاحب المعزى في اخبار ابي يعزى، وصاحب نفح الطيب . وسيكتفي بعض المحدّثين بنقلها بنصها مع اضافة ما قيل فيه من امداح، وما فسر به مذهبه في الصدقة والجود (33).

<u>- تعطير الانفاس في التعريف بالشيخ ابي العباس،</u>

لمحمد بن محمد المؤقت المراكشي (34) .الفه باشارة من شيخه فتح الله بناني بعدما جمع اخبار مشاهير الحضرة المراكشية في كتابه السعادة الابدية، فاقترح عليه ان يفرد عميدهم ابا العباس بترجمة خاصة مستقلة .

وجعله في خمسة مباحث :

الاول، في مولده وبلدته وصفته ونسبه ونقلته .

الثاني، في ذكر مشايخه .

الثالث، في سيرته واحواله .

الرابع، في تصرفاته ومناقبه .

الخامس، في دعواته وبعض قصائده .

---

(33) في اظهار الكمال، والاعلام، والسعادة الابدية . انظر المبحث الثاني من هذا الفصل .

(34) طبع على الحجر بفاس سنة 1336 هـ وبهامشه اظهار المحامد في التعريف مولانا ابن يوسف بمراكش .

وذكر المصادر المعتمدة في الكتاب وهي : مناقب صاحب التشوف وكتاب المعزى لابي العباس احمد الصومعي، ونفح الطيب للمقري، والنجم الثاقب لابن صعد، ونيل الابتهاج لاحمد بابا، واظهار الكمال لعباس بن ابراهيم . وبذلك سيكون جامعا لكل ماكتب عن ابي العباس لان منهج ابن المؤقت يقوم على النقل المباشر دون انتقاء، بما في ذلك القصائد الشعرية الطويلة التي قيلت في مدحه والتعريف بمذهبه . ولم يكن يلتزم دائما بذكر المصدر المعتمد كما انه جرد اكثر الاخبار الواردة عند ابن الزيات من الاسانيد التي حرص هذا الاخير على اثباتها . فجاء عبارة عن اخبار وكرامات متلاحقة صيغت في شكل قصصي، الغاية منه ابراز عظمة المترجم له وبطولته ومكانته بين اولياء عصره، وذيل ذلك بتجاربه، وتجارب بعض معاصريه، وما لمسوه بانفسهم من بركة الولي وفضائله تاكيدا لما رواه القدماء عنه وعن مذهبه وكراماته .

الجزولي واتبـــــاعـــه

اهتم كتاب التراجم بالجزولي لانه مجدد الطريقة الشاذلية السنية، ومؤسس الطريقة الجزولية التي حظيت بانتشار واسع، وزاده اهمية انتماؤه لرجالات مراكش فتعددت الكتب التي ترجمت له لهذه الاسباب . تضاف اليها التراجم التي تفتح بها شروح دلائل الخيرات :

- دوحــة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني المتوفى سنة ست وثمانين وتسعمائة (35) .

يعتبر ابن عسكر اول المؤرخين للحركة الجزولية بالمغرب(36)اذ كان ينوي الترجمة لاتباع الجزولي في هذا الكتاب . وبالفعل ترجم لكل الذين عاشوا منهم في القرن العاشر، مبتدئا بشيخه ابــي الحجاج يوسف الفجيجي تلميذ الغزواني المشهور .

ويهمنا ان نذكر منهم التباع والغزواني (37)من رجالات مراكش . الف الكتاب سنة خمس وثمانين وتسعمائة . واذا كان من مزاياه ترجمته لشيوخ عاصرهم ولقيهم، او لقي من لقيهم . وهذا ما يجعل كتابه من اهم مصادر التعرف الى هؤلاء فانه يؤخذ عليه :

(35) نشره محمد حجي سنة 1976 ضمن منشورات دار المغرب . . .

(36) مؤرخو الشرفاء ص 163، تعريب ع . الخلادي .

(37) وردت ترجمتها على التوالي في الصفحات 136 و 96 وما بعدهما .

- عدم تحديد تواريخ الوفيات بالدقة اللازمة والاكتفاء بذكر العقد الذي ولد او توفي فيه المترجم له .
- الاسهاب في الحكايات الاسطورية وخلطها بالكرامات المعقولة
- مخالفة اسلوب الكتاب لقواعد اللغة العربية، واستعمال العامية في كثير من الاحيان (38) .

والكتاب مرتب ترتيبا جغرافيا، اذ بدا بالمدفونين بالمنطقة الشمالية حيث مدفن عبد السلام بن مشيش شيخ الشاذلي، ثم باقي المناطق في اتجاه الجنوب . وترجمته للتباع كانت مقتضبة وان بدا منها انه كان يعرف الكثير من اخباره، وقصده الاختصار (لو تتبعناها لاستقلت بها اسفا) (39) .

وستتردد بنصها عند المترجمين فيما بعد، وان كان صاحب الممتع سيقوم باغنائها بمعلومات عن علاقته بشيخه السهلي .

اما ترجمته للغزواني فكانت اطول واهم، ولعل ذلك راجع الى انه شيخ شيخه الفجيجي، فتمكن من معرفة اخباره بواسطته .

والدوحة مصدر مهم لمؤرخي الطريقة الجزولية الذين جاءوا بعده ، فقد ترجم <u>صاحب ممتع الاسماع لخمسة واربعين من مشايخ الدوحة</u>، واعتمد اساسا على ما قيل عنهم في هذا الكتاب .

- <u>ممتع الاسماع، في ذكر الجزولي والتباع، وما لهما من الاتباع والالماع</u>، لمحمد المهدي الفاسي المتوفى سنة تسع ومائة والف (40) .

المؤلف نفسه من اعلام الطريقة الجزولية، اخذ عن محمد بن محمد بن عبد الله ابن معن الاندلسي، وابي الفضل قاسم الخصاصي الفاسي، وهو حفيد ابي المحاسن الفاسي، شيخ الطريقة في عصره . وأحد افراد اسرة علمية تميزت بالاهتمام بالتراجم، وخاصة ما يتصل بمشايخ

---

(38) انظر ملاحظات الناشر في المقدمة .

(39) الدوحة 137 .

(40) طبع على الحجر بفاس سنة 1305 و 1313، انظر ترجمته عند بروفنصال 192 ومحمد الاخضر : الحياة الادبية ... 138 .

العلم والتصوف(41) .

والكتاب كما يتضح من عنوانه يؤرخ للطريقة الجزولية بالمغرب من القرن العاشر الى اوائل القرن الثاني عشر، واعلامها الجزولي والتباع والغزواني من سبعة رجال مراكش .

وقد بدا بالجزولي ، ثم اصحابه، فاصحاب اتباعه : التباع . . فاصحاب الصغير السهلي، وأصحاب احمد الحارثي، واصحاب الغزواني . واصحاب تلامذة هؤلاء : كعبد الله الخياط، ومحمد الطالب، ويوسف التليدي، ومحمد بن عيسى، وعبد الرحمن المجذوب وابي المحاسن الفاسي .

يورد معلومات عن ميلادهم ونشاتهم ومشايخهم في العلم والطريقة، ومؤلفاتهم وما اثر عنهم من اقوال وكرامات واخبار .

مصادره في ذلك الرواية والمشافهة، اذ عاصر كثيرا من اتباع الطريقة الجزولية، وروي عنهم او عن شيوخهم . كما اعتمد اساسا على مصدرين : دوحة الناشر، ومرآة المحاسن لمحمد العربي الفاسي عمّ والده .

وتختلف التراجم اهمية بحسب موقع المترجم له في الطريقة او اتصاله بالمؤلف، او توفر معلومات غزيرة عنه في مصادر اخرى . ففي الوقت الذي لا تتعدى فيه بعض التراجم الاسطر القليلة، او الجزء من الصفحة الوحيدة ، نجد ترجمة الجزولي مثلا تشغل ثلاثا وثلاثين صفحة، ومعن الاندلسي سبع عشرة صفحة .

وجاءت تراجم بعض افراد الاسرة الفاسية جامعة غنية بالمعلومات والاخبار .

وتتسم تراجمه بالحرص على ضبط الرواية والسند والاهتمام بتاريخ ومكان الوفاة . مما يساعد بالفعل على وضع خريطة لتوزيع اتباع الجزولي في المغرب وتواريخ وفياتهم (ذكر سبعة وسبعين تاريخ وفاة، منها عشرة تقريبية، وعين اماكن دفن عشر ومائة ترجمة، من مجموع التراجم) .

---

(41) مثل احمد بن يوسف الفاسي، ومحمد العربي الفاسي، وعبد القادر الفاسي، ومحمد ابنه، وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وعبد الرحمن بن محمد الفاسي، وغيرهم . انظر الحديث عن الاسرة الفاسية في كتاب مؤرخو الشرفاء 168 .

وتسمح الخريطة (على الصفحة اللاحقة) بابداء الملاحظات التالية :

1 - ان تراجم الكتاب هي قليل مما ذكر للجزولي من اتباع في حياته (42)، بالاضافة الى اتباع تلامذته واصحابهم . . .

وقد كان المؤلف مدركا لذلك، اذ قال في آخر الكتاب (هذا ما حضرني من التعريف بالشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي، ومن عرفته من اتباعه الاموات، واعتقد واعترف باني ماذكرت منهم قليلا من كثير ولانقطة من هدير، ولاقطرا من مطر غزير، ولكن هذا مبلغ علمي القاصر، وباعي القصير) (43) .

2 - يتركز اتباع الجزولي حسب الممتع في مثلث قاعدته مدينة فاس (ثلاثة وعشرون تابعا) وسلا (ثلاثة اتباع) مرورا بمكناس (احد عشر) وناحيته(ثمانية اتباع) . ورأسُه تطوان (تابعان) مرورا بالقصر الكبير (خمسة عشر) واصيلا (تابع واحد) من جهة، وقشتالة وشفشاون (ثمانية اتباع) من جهة ثانية .

ويضم هذا المثلث وما حوله اثنين وثمانين تابعا .

في حين لايبقى لمنطقة الجنوب بكاملها من تادلا الى اقصى سوس مرورا بمراكش الا ثمانية وعشرين تابعا (44).

3 - ان هذا التوزيع لايعني تمركز اتباع الجزولي في الشمال مع العلم انه ينسب للجنوب . وبه قضى خلوته الطويلة، وفيه توفي .

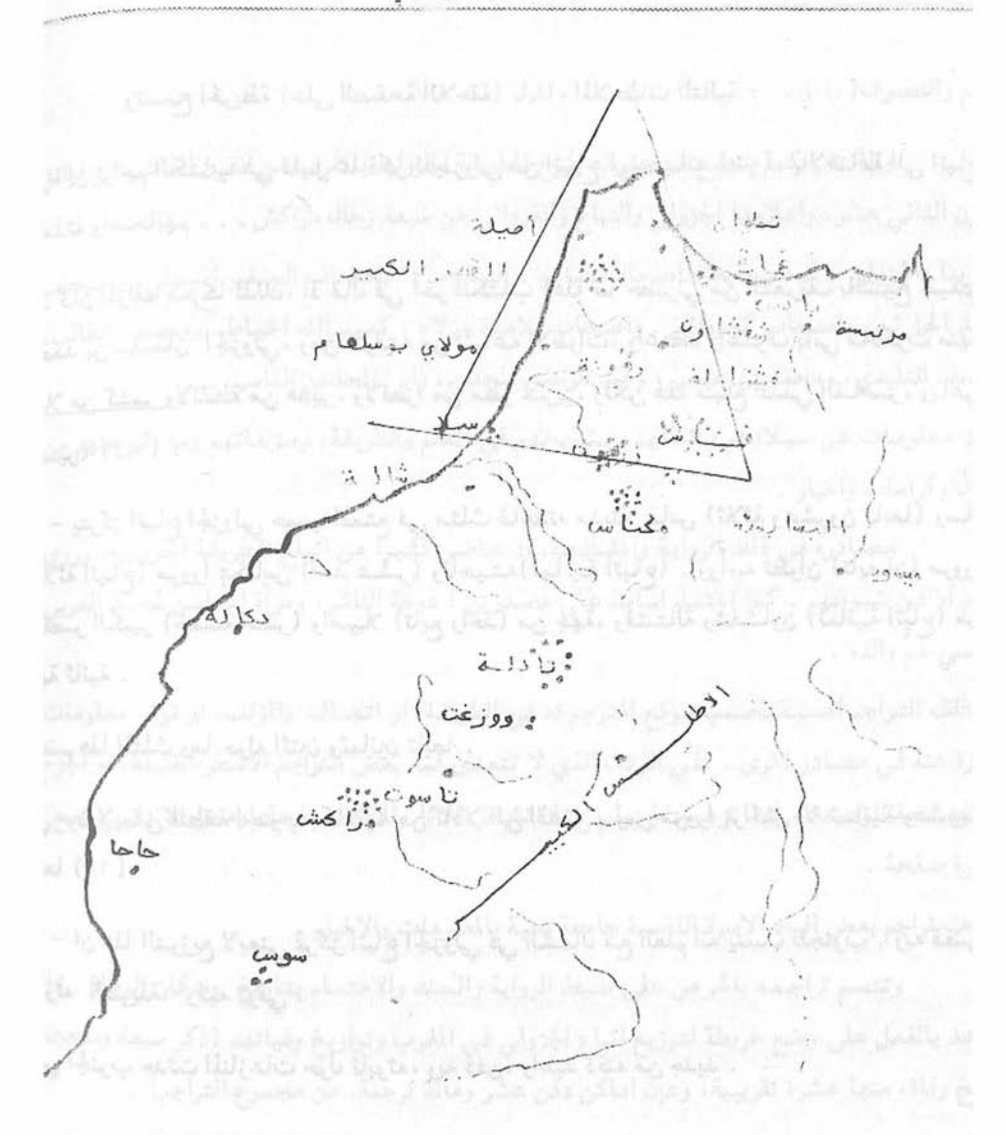
وفي الجنوب حدثت المنازعات حول ثابوته، وبه دفن، واعيد دفنه من جديد .

---

(42) تذكر له المصادر 12665 تلميذ عندما كان بثغر اسفي، ثم بسوس . تحفة اهل الصديقية 24 - 25 . م. خ. ع. ر. 76 ج .

(43) ممتع الاسماع 187 .

(44) عدد الاتباع الذين نعرف اماكن دفنهم كما اوضحنا، هم 110 .



توزيع أتباع الجزولي والتباع حسب ممتع الاسماع

(كل نقطة تمثل تابعا)

ان الذي يفسر هذا التمركز :

أ) ان مصادر محمد المهدي الفاسي اهتمت بفاس والقصر الكبير خاصة (مرآة المحاسن) ومنطقة الريف والشمال (دوحة الناشر) فخضع لتوجيهها .

ب) لم تتح للمؤلف الذي يعرف فاسا والقصر الكبير خاصة ورجالها فرصة التعرف الى مشايخ الجنوب واتباع الجزولي فيه .

لهذا السبب اعتذر المؤلف عن عدم ذكره لكل اتباع الجزولي في خاتمة كتابه، وحاول تجاوز هذا النقص بجمع مؤلفات اخرى في الموضوع .

وذيله بمؤلفه "الالماع ببعض من لم يذكر في ممتع الاسماع" استدرك فيه ترجمة لم ترد بالاصل، وهي سيرة احمد بن محمد بن محمد بن عبدالله معن الاندلسي الفاسي المتوفى سنة عشرين ومائة والف (45) .فتوسع في ذكر اخباره وكراماته ومناقبه (46) . والمترجم له في هذا المستدرك هو رفيق المؤلف في الدراسة . اذ درس بدوره على والده محمد بن محمد المذكور، وعن ابي الفاضل قاسم الاخصاصي . . .

وقام احمد بن عبد القادر التاستاوتي المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة والف بنظم رجال الممتع، وشرح هذا النظم (47) . ذكر فيه مائة وست تراجم، وذيل نظمه بابيات اثبت فيها تراجم الاشياخ الذين لقيهم، واشياخهم ممن هم على شرط الممتع . ويشتمل هذا الذيل على تسع وثلاثين ترجمة، ينتمي اغلب مشايخها للطريقة الناصرية الجزولية الزروقية .

عاشوا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر . ومنهم من كان على قيد الحياة اثناء وضع المنظومة سنة تسع ومائة والف (ذكر ذلك في ترجمتي محمد العياشي بن عبد القادر وابي العباس احمد بن ناصر) ومن مشاهير مشايخ عصره المذكورين في المنظومة : محمد بن ابي بكر الدلائي،

---

(45) انظر ترجمته كذلك في الصفوة 220 - 221 .

(46) من نسخه : م. خ.ع.ر. في 58 ص حجم متوسط، واخرى في خ.ع. بتطوان 593 .

(47) م.خ.ح. مجموع 3070، وكذلك م.خ.ع.ر. 555 ك 1302 د .

ومحمد بن ابي بكر العياشي، وعبد القادر بن علي الفاسي ومحمد ميارة، ومحمد المعطي ابن عبدالخالق الشرقي، والحسن اليوسي، واحمد بن محمد بن ناصر .

ويحتوي الشرح على معلومات قيمة عن المترجم لهم الذين عاصرهم المؤلف واخذ عنهم، توجد عند غيره (48) .

الا انه يؤخذ على النظم وشرحه :

- الاختصار الشديد المخل بالمقصود احيانا، اذ لا تتجاوز بعض التراجم ذكر اسم المترجم له ونسبه .
- عدم ضبط كثير من تواريخ الوفيات المقدمة على وجه التقريب .

- تحفة اهل الصديقية، باسانيد الطائفة الجزولية والزروقية لمحد المهدي الفاسي السابق الذكر : جمع فيه اتباع الجزولي وزروق خلافا للممتع المخصص للطريقة الاولى . واستهله بترجمة مفصلة للجزولي والدلائل على صحة طريقته وشرفها، فذكر :

- ما تواتر من علمه وفضله واستقامته .
- شدة محبته للنبي، وكثرة صلاته عليه .
- شهادة اهل البصائر والمشايخ الاكابر بجلالته وعلو شأنه وقطبانيته .
- ماظهر له وعلى يديه من الخوارق والكرامات في حياته وبعد مماته .

وقد ساق كلاما للشيخ في عرض هذه الدلائل بتفصيل (48م) .

ويستوعب الكتاب اسانيد رجال التصوف بالمغرب خلال القرنين العاشر والحادي عشر متمثلة في الطائفتين الجزولية والزروقية وصنّف كل واحدة في سبع طبقات :

الطائفة الجزولية : ذكر المؤلف بان (عددهم لايحصى، وغالبهم بنواحي سوس ومراكش)(49) . فأكد ملاحظتنا على التوزيع المستخلص من ممتع الاسماع والذي يركزهم في الشمال . وطبقات هذه الطائفة هي :

---

(48) تحفة اهل الصديقية 8 - 11 .

(48م) تحفة اهل الصديقية 8 - 11 .

(49) تحفة اهل الصديقية 24 .

- الطبقة الاولى، اتباع الجزولي : الصغير السهلي، عبد العزيز التباع، احمد الحارثي الحسن اجانا، محمد الامين، سلامة بن ابي سلامة، سعيد بن محمد الدكالي .

- الطبقة الثانية، اتباع اتباعه المذكورين اعلاه .

- الطبقة الثالثة، اتباع محمد الغزواني وغيره .

- الطبقة الرابعة، اصحاب عبدالله بن حسين وغيره .

- الطبقة الخامسة، اصحاب فارس بن الحسن .

- الطبقة السادسة، اصحاب الحسين اللجائي وغيره .

- الطبقة السابعة، الشيوخ الموجودون الآن، الآخذون عن هؤلاء .

الطائفة الزروقية : صنف مشايخها في الطبقات التالية :

- الطبقة الاولى، اتباع احمد زروق .

- الطبقة الثانية، اصحاب احمد بن يوسف الراشدي .

- الطبقة الثالثة، اصحاب عبد الله الخياط .

- الطبقة الرابعة، اصحاب ابي الطيب .

- الطبقة الخامسة، اصحاب عبد العزيز بن حليمة .

- الطبقة السادسة، اصحاب ابي الحسن علي الكومي .

- الطبقة السابعة، الشيوخ الموجودون الآن، الآخذون عن هؤلاء .

وختم الكتاب بتتبع اسانيد الطريقة من الجزولي وزروق الى الشاذلي، ومنه الى الرسول (صَ) مع الاشارة الى الاختلافات الواردة في الفهارس، وكتب الطبقات في هذا الشان .

وبذلك ياتي الكتاب ليكمل مجهود المؤلف في التعريف بالجزولي واتباعه المبدوء في ممتع الاسماع، ويثبت مكانتهم في التصوف المغربي .

- خاتمــــة المبحث، هذه المؤلفات القليلة التي عرفت برجالات مراكش - قبل تنظيم الزيارة - وبمذاهبهم وطرقهم الصوفية واتباعهم تكتسي اهمية كبيرة، لان مؤلفيها عاصروا المترجم لهم او عاشوا في زمن قريب منهم، فتمكنوا من استقاء الاخبار من منابعها واصولها . فكانوا لذلك وبدون استثناء المصادر الاساسية والوحيدة - احيانا - للمؤلفات التي ستتناول فيما بعد هؤلاء الرجال باعتبارهم مكونين لظاهرة من ظواهر التصوف المغربي . وهذا ماجعلنا نقف عندها قبل الوقوف عند المؤلفات التي ارّخت للظاهرة المذكورة .

المبحث الثاني - مؤلفات في مناقب سبعة رجال

استهوت هذه الظاهرة بعض كتاب التراجم والطبقات، فوضعوا مؤلفات في التعريف بها، وبرجالاتها ومناقبهم . وقد ضاع بعضها ووصلنا البعض الآخر مبتورا . ولم يسلم منها الا القليل .

وقد تم تأليفها بين اوائل القرن الثاني عشر ومنتصف القرن الرابع عشر .

- المطلب الاول - درر الحجال في سبعة رجال،

مؤلفه ابو عبد الله محمد الصّغير بن محمد بن عبد الله اليفرني المراكشي (50) اصله من سوس، وهو من مواليد مراكش سنة ثمانين والف . ودرس بها وبالقرويين، واشتهر بمؤلفاته التاريخية :

- نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي : في تاريخ الدولة السعدية وظهور الدولة العلوية الى عهد المولى اسماعيل، ذيل به الانيس المطرب لابن ابي زرع، روضة النسرين لابن الاحمر، فأتم تاريخ الدول المغربية الى عصره .

- وخص السلطان الذي عاصره بكتاب هو : روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف .

---

(50) حاولنا ان يكون حديثنا مفصلا عند تناولنا للكتب التي لاتوجد منها الا نسخ فريدة بخطوط مؤلفيها، في حين ملنا الى الاختصار عند الحديث عن الكتب المتداولة او المطبوعة .

واذا كانت كتب التاريخ تركز على الاحداث السياسية والعسكرية ولا تولي نفس الاهتمام للجوانب الاجتماعية والاقتصادية، فان المؤرخين يلجؤون عادة الى كتب المناقب والتراجم لسد هذه الثغرات بل ويعتبرونها اكثر صدقا في تناول الاحداث، لانها لم تكتب تحت توجيه او ضغط السلطان الحاكم (51) .

- وقد ادرك اليفرني ذلك، فألف صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر لتكون مكملة لنزهة الحادي . فكان بذلك من المتخصصين في تاريخ هذا القرن -الف الصفوة لتكملة تراجم الدوحة .
وكان اهتمامه منصبا على مشايخ الجنوب بحكم انتمائه اليه، وخاصة اولئك الذين ينسبون الى مراكش.

واعتمد المصادر الموثوق بها، والروايات الدقيقة . وخلصه من الخرافات والاساطير المبالغ فيها مكتفيا بالكرامات المعقولة المنسوبة الي مترجميه .

وفي هذا الاطار الف كتاب "درر الحجال" :
- لتدوين جانب من التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب بدراسة هذه الظاهرة والملابسات الدينية والاجتماعية والسياسية التي افرزتها وانعكاساتها على الاوضاع بالبلاد .
- والتعريف باعلامها ومذاهبهم وطرقهم الصوفية، ومناقبهم ومدى تاثيرهيم في رجالات عصرهم .

واذا كان الهدف الاول قد تحقق وبكثير من النجاح، فقد سد العثور على الكتاب كثيرا من الثغرات، وصحح الاوهام التي وقعت فيها المؤلفات اللاحقة التي لم تعتمده، فان الهدف الثاني لم يتحقق الا جزئيا، ذلك ان المؤلف لم يتمكن من اكمال الكتاب، فلم يُعرّف الا باثنين من السبعة، هما يوسف بن علي وعياض .

وصلتنا من الكتاب نسخة فريدة بخط المؤلف (52) . تقع في ثمانين صفحة من الحجم

---

(51) مؤرخو الشرفاء 68 .

(52) توجد في مكتبة خاصة بالرباط، وقد سمح لنا مالكها بتصويرها مشكورا، انظر تعليق محمد المنوني عليها في كتابه المصادر العربية لتاريخ المغرب 170/1، رقم الكتاب 425، ط. الرباط 1983 .

الكبير، في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرا، في كل سطر بين خمس عشرة ، وسبع عشرة كلمة .

ويتخلل الصفحات بياض في الاصل يبدو ان المؤلف تركه للتصحيح او استكمال المعلومات فلم يعد اليه .

ويعتقد بروفنصال ان "درر الحجال" كتب قبل سنة سبع وثلاثين ومائة والف، وهو تاريخ كتابة الصفوة حسب ماذكره الحوات (53)وتبعه في ذلك محمد الاخضر لتحديد الفترة بين ثمان وعشرين ومائة والف (تاريخ تاليف الافراني لاول كتاب اي المسلك السهل) وسبع وثلاثين ومائة والف (تاريخ تاليفه للصفوة) .

ويسمح لنا هذا الكتاب باقتراح تاريخ ادق للتاليف، وهو بين اربع وثلاثين ومائة والف، - فقد ورد في "الدرر" ان المؤلف اقترح على والي مراكش بناء ضريح ابي يعقوب يوسف في تلك السنة بعدما داهمه سيل جارف - وسبع وثلاثين ومائة والف تاريخ كتابة الصفوة، آخر مؤلفاته .

- مضمون الكتاب : خطط المولف لاخراج كتابه في حجم كبير، فجعله في مقدمة طويلة وسبعة اسماط . الا انه لم يتيسر له تنفيذ ذلك . اذ ان اغلب فصول المقدمة ناقصة او لم تكتب في الاساس .كما انه لم يضع الا سمطين من اصل الاسماط السبعة .

- المقدمة : تتكون من ثلاثة وثلاثين فصلا مصنفة كالتالي :

حالة الفصول	التعيين	مجموع
فصول تامة	4/5/6/9/22/23/24/26/27/29/30/31/32/33/.	14
فصول ناقصة	2/3/8/10/11/12/13/16/20/25/28/ .	11
فصول ساقطة او لم تحرر اصلا	1/7/14/15/17/18/19/21 .	8
المجموع		33

(53) مؤرخو الشرفاء ص . 90 .

وتتناول هذه الفصول التمهيدية ثلاثة محاور اساسية :

- المحور الاول، الولاية والاولياء : الكتاب مبتور الاول يبدأ بجزء من الفصل الثاني، وبعبارات : (وعن القشيري ان دواء القلب خمسة اشياء قراءة القرآن،و خلاء البطن، قيام الليل، التضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين . . .)

ويناقش في المحور الاول قضايا الولاية والاولياء المطروحة في كتب التصوف : ماهية الولاية هل هي ظنية او قطعية، فضل ذكر الاولياء .واستعراض كراماتهم ومناقبهم (تبرير تاليف الكتاب)، وفضل محبتهم وموالاتهم، والفروق الموجودة بين اصنافهم : السالك، المجذوب، والملامتي (55) ويقف موقفا سلبيا من مدعي التصوف ومنتحلي الولاية من معاصريه (قلت وقد كثر قوم يمشون في الطرقات منكشي العورات ومرتكبين لمباحات ومحرمات، يسميهم الناس بالمجاذيب . وعادتي انا فيهم ان اعرض عنهم، فلا اعرض لهم بانكار ولابتسليم) مع انه أورد آراء كبار الفقهاء في الانكار عليهم كابن حجر(56) .

وتناول في هذا المحور كذلك مراتب الاولياء : القطب، الغوث البدل . . . ومسالة المفاضلة بين علماء الظاهر والباطن . . .

(لان من الرجال السبعة الذين قصدنا جمع مناقبهم من غلب عليه علم الظاهر، ومنهم من اغلب عليه علم الباطن)(57) .

فرجح راي الجمهور، ومنهم شيخه احمد السوسي في تفضيل حامل العلمين معا على حامل علم واحد . وناقش الافراني كذلك مسائل اخرى مثل هل الاولياء معصومون اولا ؟ هل يعلم الولي انه ولي ؟ هل يسلب من الولاية ؟ وهل يبلغ الولي درجة يسقط عنه فيها التكليف ؟ هل الكرامات ثابتة في حقهم؟ وهي مسائل كثيرة الورود في كتب التصوف يتخذ منها المؤلفون مواقف متباينة من مثبت ومنكر

(54) درر الحجال 65 .
(55) درر الحجال 7 .
(56) درر الحجال 8 .
(57) درر الحجال 12 .

لهـا . ويعتـمـد كل فريق على قرائن نقلية، وبراهين عقلية . وساقـهـا في هذه المقدمة لانها ظلت من الموضوعات المطروحة بالحاح في عصره .

- المحور الثاني، الزيارة وآدابها : طرح المؤلف باختصار موضوع زيارة الاولياء وآدابها كما جاءت في بعض كتب التصوف ، وكما هي ممارسة في عصره مبديا وجهة نظره فيها .

فمن شروطها : الطهارة، المشي على الارجل، خلع النعلين من باب المقبرة، تخصيصها بالولي المقصود دون غيره، استقبال وجه الولي، قراءة الفاتحة . . .

وناقش قضايا اخرى اقل اهيمة : هل يجوز طلب الدعاء من الغير اولا ؟ وما مصير الصدقات التي تهدى للاولياء ؟ وهل ينتفعون بما يقرأ في اضرحتهم من قرآن ؟ وحكم تغطية قبور الاولياء باثواب الحرير وايقاد المصابيح والشموع داخل الاضرحة ؟ وما يذبح عند ابوابها من ذبائح ؟

ومسالة بناء المساجد على قبور الصالحين، وحكم اختيار الصلاة فيها والدفن بالقرب منها (58) ؟ وحكم الحلف في روضات الصالحين ونقل التراب الموجود عند قبورهم تبركا ؟ والتجاء ارباب الجرائم والجنايات الى اضرحة الاولياء ؟

وقد اثارت هذه المسالة الاخيرة اهتمامه فعرض آراء الائمة والعلماء فيها بتفصيل، وهي آراء تميل في اغلبها الى القول بضرورة اخراجهم لانهم هتكوا حرمة انفسهم، فابطلوا ما جعل الله لهم من الامن .

الا أن اليفرني ياخذ موقفا مخالفا لهذا، اقتضته الظروف الخاصة بالبلاد (. . . لان هذا المغرب كثير فيه الحيف من الولاة في الاموال والدماء وغير ذلك، فجعل المظلومون يلوذون بضرائح الاولياء فيتحصنون بذلك منهم، لما في انفس كثير من الولاة من تعظيم امر جانب الاولياء، ولما يرون من العقوبة النازلة بمن يهتك حرمات الاولياء، اذ جرب ذلك حتى صار امرا محققا عند الخاص والعام .ثم صار من كان ظالما اذا دخل تلك الاحرام امن على نفسه ولايعرض له احد . . . فلو كنا نخرج الجناة وارباب الجرائم منها لكون الشرع اخرجهم . . .ربما ادى ذلك الى اخراج المظلومين لان الولاة ربما يقيمون عليهم حججا شرعية، فسد الناس هذا الباب كله رعيا لهذه المصلحة العامة التي تحققنا فائدتها وجربنا منفعتها) (59) .

---

(58) درر الحجال 40 – 41 .

(59) درر الحجال 41 – 42 .

ومذهب مالك مبني على مراعاة المصالح، وسد الذرائع .
المحور الثالث، زيارة سبعة رجال مراكش : راعى المؤلف التسلسل الموضوعي في عرض هذه المحاور، فبعد الحديث عن الاولياء، والزيارة وآدابها، يخلص الى المهم وهو زيارة اولياء مراكش ليكون بذلك قد عرف بمفهوم الولاية واقر مشروعية الزيارة وشروطها ... ويعتبر هذا المحور اهم ما في الكتاب على الاطلاق باعتبار مؤلفه اول من يطرح ظروف وملابسات تنظيم الزيارة والاهداف منها . وسيكون بذلك المصدر الرئيسي في الموضوع(60) . وقد عرض هذا الموضوع في ثلاث نقط اساسية :

1 - مشروعية شد الرحال لزيارتهم منتقدا من سماهم (المتفقهة) الذين اخذوا بظاهر الحديث الصحيح المتفق عليه عند الشيخين (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الاقصى) مبينا ان الحديث محمول على شدها للصلاة، اما شدها لغير هذه العبادة مباح : فالزيارة تذكر بالموت، وتكون للاعتبار . . . بدليل ان الرسول كان ياتي حراء وقباء (61) .

2 - سبب تعيين هؤلاء السبعة رجال وتخصيصهم بالزيارة من بين صلحاء المدينة، ومتى كان ذلك : ربطها بمواجهة محمد الشيخ السعدي لقبائل الشياظمة بجبل الحديد، وانتصارهم عليه بفضل رجالهم السبعة كما كانوا يعتقدون . فاشار علماء مراكش على السلطان باستعمال نفس السلاح (عسى ان يرزقه الله الكرّة على الشياظمة) .
واعتمد اليفرني في هذه المعلومات على الرواية الشفوية المتعددة المصادر (حدثني غير واحد ممن يعتمد على حديثه . .) وهذا ممكن مادام المؤلف قريبا من زمن الاحداث . وهو من الذين يوثق بنقولهم المكتوبة وروايتهم الشفوية في كل مؤلفاته (62) .

وكان لقلة انتشار هذا الكتاب اثر في الاعتقاد بان الزيارة لم تبدا الا مع المولى اسماعيل في محاولته اخضاع منطقة الشياظمة وحاحا في اطار توحيد كلمة البلاد بعد عقود من الانقسام

---

(60) نقل عنه المتاخرون، الا ان بعضهم لم يعرض أراءه كما وردت في هذا المحور بإظهار الكمال، والسعادة الابدية . . .ولم يتمكن دوكاستري من الاطلاع على هذا الكتاب، واكتفى بالمصادر السابقة الذكر . فوقع في بعض الاخطاء (انظر الفصل الثالث من الكتاب الاول من الاطروحة) .
(61) درر الحجال 45 .
(62) انظر ملاحظة بروفنصال في كتابه مؤرخو الشرفاء 96 و 219 .

والاضطراب . فكلف أليوسي باختيار اعلام الزيارة بمراكش التي اراد السلطان ارجاع الثقة الى سكانها بعدما لقوه منه من عقوبة وشدة لمناصرتهم اعداءه والثائرين عليه .

هذا الطرح تبنّته بعض المصادر المتاخرة في غياب هذا الكتاب القريب من زمن الاحداث (63) .

3 - الحكمة في كونهم سبعة لا اقل ولا اكثر : تحدث عن اهمية هذا الرقم في مظاهر الكون (سماء، ارض، انسان. . .) ووجود سبعة يدفع الله بهم عن اهل الارض . . .وتيمن الناس به دون غيره من الارقام (64) .

ختم المقدمة بذكر الهدف من التاليف (. . . فالقصد به اولا وبالذات خدمة جناب اولئك السادات، والسبب الحامل عليه محبتي فيهم(65) . جسد هذه المحبة بالابيات التي ختم بها المقدمة، منها قوله :

ياسادتي انا عبدكم فلتجبروا كسري وفكوا عن فؤادي عائقه
انتم حماة الحي فاقضوا حاجتي واشفوا فؤادي من هموم لازقه

ومن مظاهرها مدحه لابي العباس السبتي (66)، والاقبال على قراءة اخبار الاولياء (67)، وخفض الجناح للاحياء منهم (68) .

- التعريف بمناقب سبعة رجال : بعد هذه المقدمة الطويلة، افرد المؤلف كل واحد منهم بترجمة مستقلة سماها سمطا :

- السمط الاول - في التعريف بيوسف بن علي : اعتمد اليفرني في هذه الترجمة - بالاساس - على ما جاء في التشوف من تعريف بابي يعقوب وشيخه وطريقته وابتلائه بالجذام، وشكر الله على ذلك، وكراماته في حياته وبعد وفاته .

---

(63) انظر الفصل الثالث من الكتاب الاول .
(64) بيننا في الفصل السابق الذكر اهمية الرقم في التراث الديني المسيحي
(65) درر الحجال 58 .
(66) نونية في 23 بيتا ذكرناها في الفصل الاول من هذا الكتاب .
(67) جمع كتاب الصفوة من ازيد من 25 مصدرا .
(68) رسالته الى صالح الشرقي، وبيتان فيه :

ويمكن تصنيف اضافاته الى صنفين :

أ) تعليقات واستطراد، على بعض اقوال التادلي، وخاصة عبارته (وكان صابرا راضيا) موضحا فسادها، لان الصابر ليس براض، والراضي ليس بصابر . منتهيا بعد شرح طويل الى ان المترجم له كان راضيا لاصابرا .

اما الاستطرادات فكثيرة، اذ كلما اثيرت مسالة في الترجمة الا واستطرد الى شبيهة لها مما شاهده اوروي له (قصة ولي ابتلي بالجذام شبيهة بقصة ابي يعقوب – حديث عن ابي يعزى وطريقته وشيوخه -وعن ابي مدين ومذهبه . . .)

2) معلومات جديدة عن المترجم له، لم يذكر سنده فيها او المصدر الذي استقاها منه . مع حرصه - عادة – على التوثيق في كتاباته (لجوءاهل مراكش اليه لحمايتهم من سلطان جائر ؛ (69) وجود علاقة قرابة بين ابي مدين الغوث وابي يعقوب) .

وفي الترجمة وثيقة مهمة حول بناء ضريح ابي يعقوب سنة اربع وثلاثين ومائة والف (70) .

هذه الاضافات والاستطرادات لاتمنعنا من القول بان ترجمة ابي يعقوب بقيت كما كتبها التادلي في مطلع القرن السابع ولم تظهر معلومات جديدة تساعد على فهم هذه الشخصية وكشف المجهول من سيرتها .

- <u>السمط الثاني، القاضي عياض</u> : لم يتيسر لليفرني ان يختم هذه الترجمة .فقد انتهت صفحات الكتاب في بدايتها . ولم يتضمن ما ذكره منها اي جديد عن عياض . اذ اكتفى بنقل ما جاء عنه في كتاب التعريف لابنه ابي عبد الله .

فتحدث عن نسبه، وانتقال اجداده من الاندلس الى المغرب، ودراسته وشيوخه . . . وزهده في الدنيا، واخلاقه وسيرته مع معاصريه .

ولعل ما تميز به عن المصدر السابق مناقشته للعبارة المشهورة(لولاعياض لما ذكر المغرب)

---

(69) كان يعقوب كثير الصدقات على المساكين والفقراء، واشتهر بعدله ورعايته لمصالح السكان. المعجب 284 . ط . 1949 .

(70) درر الحجال 65 .

وجواب ابي علي اليوسي عند ما سُئِل عن حد حرم الشيخ خلال زيارته لضريحه، فقال (المغرب كله حرم لابي الفضل) (71) .

وقصد بايراد المقولتين تاكيد مارواه عن فضل عياض ومكانته بين علماء المغرب واوليائه .

- خصائص الكتابة الصوفية في " درر الحجال"

يسمح لنا ما وصلنا من "درر الحجال" بابداء الملاحظات التالية :

1 - الاكثار من التقسيمات والفصول، فقد عقد ثلاثة وثلاثين فصلا للحديث عن ثلاثة محاور اساسية . وجاءت مختصرة لاتتعدى بضعة اسطر في الغالب، ولم يتعد بعضها الآخر الصفحة الواحدة وبلغ اطولها ثمان صفحات . وهو الفصل الذي تناول فيه كرامات الاولياء . ولعل مرد هذا الاختصار عائد الى موقع الفصول من الكتاب، فهي عبارة عن مقدمة لا غير .

2 - تعكس موضوعات المقدمة مشاغل عامة الناس في عصر المؤلف : مناقب الصلحاء، المفاضلة بين علماء الظاهرة والباطن اثبات كرامات الاولياء، وهي احيانا متواضعة تصل حدود التفاهة كمناقشة مسالة تقديم الصدقة للولي، واخذ التراب من القبور، وقراءة الفاتحة عندها، والحَلف في الروضات والاضرحة . . . وهي مسائل لا اهمية لها في ذاتها، وتقوم دليلا على المستوى الذي آلت اليه الكتابة الصوفية في منتصف القرن الثاني عشر .

فقد ركز على القشور وترك جانبا الموضوعات الاكثر اهمية والتي تعين المريد على معرفة نفسه ومجاهدتها ومعالجة عيوبها وعللها، قصد قطع المقامات، وتجاوز الاحوال، لبلوغ الهدف المنشود . وقد كان لتقديس الاولياء وتتبع اخبارهم ومناقبهم اثر في تعدد مؤلفات الطبقات والتراجم " كالدرر " الذي نتحدث عنه، والصفوة، والنشر، والتقاط الدرر .

3 - اساليب الاستدلال، ينوع المؤلف اساليب الاستدلال على ما يورده من آراء، ويعرض له من مناقشات . وهي بالاساس القرآن والحديث واقوال السلف ومشاهير مؤلفي كتب التصوف .

ويكثر من اعطاء الامثلة وقصص الاولياء وخاصة المعاصرين له . ويتوخى الدقة والضبط بالنقل عنهم

---

(71) درر الحجال 79 .

مشافهة او رواية، واختيار اصح الاسانيد عند تاخر ازمانهم . ويحتوي الكتاب على مجموعة من الاخبار المروية عن اصحابها مباشرة من معاصري المؤلف .

كما يستشهد بالنصوص الشعرية على عادة مؤلفات التصوف كالتشوف، وانس الفقير، واثمد العينين، وغيرها . . . ويقصد به اثارة العواطف والانفعالات خدمة للمقصد العام .

4 - ويسعى الى الاقناع بهذه الاساليب اكثر من استعمال اسلوب النقاش، وابداء الراي . فهو كثير التردد بادي السلبية، قليلا ما يبدي رايه او موقفه بكامل الوضوح . فما اكثر مثل تعبيراته (هذه المسالة كثر فيها النزاع بين الائمة، وتشعبت فيها الاراء، ونحن نلخص كلامهم في ذلك تلخيصا حسنا) (72) . وبالطبع دون ابداء راي في ذلك .

وفي مثل قوله عند حديثه عن الساعين للقبور حفاة (لكن عادتي انا الا انكر عليهم في ذلك)(73) . ويتخذ موقفا سلبيا من المجاذيب الذين يجوبون الطرقات شعثا غبرا، قائلا في موضعهم (وعادتي انا فيهم ان اعرض عنهم فلا اعرض لهم بانكار ولا بتسليم) (74) .

ويمكن رد هذا الموقف الى ما شاع في عصر المؤلف من احترام الاولياء كيفما كان حالهم، وما يتناقله الناس من مناقبهم وكراماتهم وقدراتهم على معاقبة المنكرين عليهم والجاحدين لفضلهم . فلم تكن لليفرني الشجاعة لكافية للتخلص من هذه المعتقدات ومواجهة الموضوعات بتجرد .

ولعله كان اكثر جراة عندما تعلق الامر بمسالة لها ابعاد دنيوية، كقضية التجاء اصحاب الجرائم الى الاضرحة، واتخذ موقفا صريحا وهو منع اخراجهم منها سدا للذرائع وفقا للمذهب المالكي . اذ قد يلجأ اليها المظلومون كذلك لما شاع في البلاد من ظلم الولاة والحكام، فيكون اخراجهم ظلما لهم واعتداء على حرمتهم (75) .

5 - الاستطراد، كان اليفرني مولعا بجمع اخبار الصوفية واقوالهم ومناقبهم فحصل على

---

(72) درر الحجال 46 .

(73) درر الحجال 31 .

(74) درر الحجال 8 .

(75) درر الحجال 42 .

قدر مهم منها كان له دور في ميله الى الاستطراد . فكلما تحدث عن حادث او ظاهرة انساق الى ما يعرفه من مثيل لها في محفوظه او مشاهداته . وهي ظاهرة عامة في التآليف العربية القديمة، لاتخلو من فائدة بالرغم من سلبيتها منهجيا ، فالمعلومات التي قدمها عن ابي يعزى، وابي مدين مثلا مفيدة جدا وان جاء عرضا في حديثه عن يوسف بن علي، وكذلك الشان في كثير من فصول المقدمة .

6 - المصادر، لاحظ بعض دارسي النزهة ان اليفرني قد رجع فيه الى اوثق المصادر المعروفة في عصره واستعملها استعمالا سليما ، والى المستندات المخزنية التي وقف عليها. ونقل منها بامانة (76) . ونبه بنفسه في مقدمة كتابه الصفوة انه اعتمد فيها على ازيد من عشرين مصدرا (ذكرها في آخر الكتاب) . وقال :(فكن ايها الناظر واثقا بما فيه من الفوائد، عالما انها منقولة من الاصول المجردة من الزوائد) (77) .

لقد سلك المؤلف نفس المنهج السليم في التعامل مع مصادر " درر الحجال " . فكان يشير الى اسم الكتاب، واسم صاحبه ويحدد بداية النقول ونهايتها . ويضيف الى المصادر المكتوبة الرواية الشفوية مهتما بضبط الاسانيد وتدقيقها .

ومصادر ماوصلنا من " الدرر " متنوعة : اغلبها في موضوع التصوف منها الاصول التي لابد ان يرجع اليها في هذا الموضوع كرسالة القشيري، والحكم العطائية، وحلية ابي نعيم، وتذكرة القرطبي . . . ومنها مؤلفات وشروح لبعض المغاربة كزروق في شرح الحكم وشرح حزب البحر، وفي كتابه "القواعد". والناصري في " اسئلته " .

ومنها مؤلفات في الصلاة والتسليم على النبي مثل القول البديع للسخاوي وضياء النهار في فضل الصلوات والاذكار لابي القاسم بن محمد .

واعتمد كذلك كتب التراجم وطبقات الاولياء كالتشوف، ومناقب الجيلاني والنجم الثاقب لابن صعد، والديباج لابن فرحون . . .

وفهارس العلماء : كفنية عياض، وفهرسة العمري، وفهرسة المنجور . والنوازل، كنوازل ابن رشد،

(76) مؤرخو الشرفاء 96 .

(77) الصفوة 2 .

والنوازل القورية، ومعيار الونشريسي واخيرا كتب الحديث وشروحها كالصحيحين، ومسند احمد، والموطأ. . . وذلك لتخريج الاحاديث الواردة في موضوع الاولياء والولاية والزيارة . . .

7 - ويصير " درر الحجال " بدوره مصدرا مهما لتوفره على معلومات لاتوجد في غيره :

- منها مايتعلق بالمؤلف نفسه، انفرد بذكر بعض الشيوخ الذين اخذ عنهم : وهم ابو علي المعداني، العربي بن ابي القاسم الامراني ابو عبد الله المسناوي . واشارته على الوالي باصلاح ضريح ابي يعقوب كما هو عليه الآن .

- ومنها مايتعلق بظاهرة سبعة رجال : تاريخ تنظيم الزيارة، وملابساتها وهذا ما خوله مكانة خاصة بين المصادر التي تناولت هذا الموضوع .

المطلب الثاني - الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة .

مؤلفه محمد المكي بن مريدة السرغيني الساوري الصنهاجي المراكشي، يرجع نسبه الى بني صبيح من قبائل العرب القادمين الى المغرب زمن الموحدين . وهو من اهل مراكش، كان اماما بمسجد ابي العباس السبتي .

وجاء في سلوة الانفاس انه كان (من اهل العلم والفقه والجلالة والدين) (78) وعند صاحب الاعلام انه كان (رجلا عالما صوفيا لا تاخذه في الله لومة لائم) (79) . وانه مستجاب الدعاء، اذ كانت له وجاهة عند المولى سليمان قبل ان يشي به بعض الولاة لديه، حتى اوغر صدره عليه، فاشخصه لحضرة فاس وبها توفي سنة اربع وثلاثين ومائتين والف . وقال صاحب الاعلام (ولم يبق العامل الذي سعي به الا أياما حتى قطعته قبيلة الرحامنة اربا اربا، ورموه بوادي نسيفة)(79م) لم تذكر له المصادر الا هذا الكتاب : الكواكب السيارة (80) .

موضـــــوعه : شرح فيه المؤلف الخطبة الشهيرة التي صدرت عن المولى سليمان في نبذ البدع والمواسم مبديا آراءه فيما جاء فيها .

---

(78) السلوة 234/3 .

(79) الاعلام 187/6 .

(79م) الاعلام 187/6 .

(80) وصلتنا مخطوطة منه في خ. ع. ر. 479 ك، تقع في 226 ص حجم متوسط تم الفراغ من نسخها بتاريخ 2 قعدة 1287 هـ.

وقد حمل فيها كما هو معروف على زيارة سبعة رجال مراكش، ومما قاله : (ومن الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة " سبعترجال " فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم) . الى ان قال : (فعلينا ان نقتدي بسبعة رجال ولانتخذهم آلهة لئلا يؤول الحال فيهم الى ما آل اليه في يغوث، ويعوق ونسرا . . .) (81) .

ولم يكن ضد الطرق الصوفية والاوراد، فقد كان الناس ينخرطون فيها ويتلقنون اورادها بكامل الحرية. وكان القصد من دعوته الى عدم الغلو في الدين اقامة التوازن بين الطرق الصوفية الموجودة على عهده . فقد استقبل المولى سليمان الشيخ احمد التيجاني (82) . الهارب من ظلم الاتراك بالجزائر . وامده بالمال وساعده على بناء زاوية بفاس، وجلب الاتباع اليها قصد الحد من نفوذ الزاويتين الدرقاوية والحنصالية المتزايد، خاصة وانه عانى الكثير في مواجهة امهاوش الحنصالي الذي التفت حوله قبائل ايت او مالو وهزمت جيوشه بعدما اظهر الدرقاويون مناصرته (83) .

وليس من باب المصادفة ان تقوم الطريقة التيجانية على المبادئ التي نادى بها السلطان، وهي ترك البدع والمواسم والزيارة ولايخفى تاثرهما معا بالحركة الوهابية التي عرفها المشرق آنذاك على يد محمد بن عبد الوهاب، وكانت تدعو الى التوحيد وعدم وصف النبي باوصاف التعظيم وعدم تعظيم الائمة والاولياء ببناء الاضرحة والقباب عليهم والتزام البساطة في الماكل والمشرب والملبس .

وقد ارسل رسائله الى كل البلاد الاسلامية وتصدى للاجابة عليها الاديب حمدون بن الحاج، وحمل الجواب الامير ابراهيم بن سليمان بنفسه سنة ست وعشرين ومائتين والف في موكب عظيم . وقد تبين من خلال المناقشة التي دارت بينه وبين بعض العلماء المغاربة المشاركين في الموكب ان الوهابيين لم يكونوا ضد زيارة الاولياء للاعتبار بحال الموتى، وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور، وانما منعوها عن العامة سدا للذرائع لانهم يشركون العبودية بالالوهية، ويطلبون من الاموات قضاء الاغراض (84) .

---

(81) المنتخبات العبقرية 89 . والاستقصا 123/8 .

(82) قدم احمد التيجاني الى المغرب سنة 1211 هـ الاستقصا 104/8 – 105

(83) Esquisse d'histoire religieuse du maroc 87 - 92 .

(84) الاستقصا 119/8 – 124 . وانظر مبادئ الوهابيين في كتاب الامام محمد بن عبد الوهاب او انتصار المنهج السلفي . طـ . دار المعارف 1978 .

وهكذا فالجدال حول الزيارة عموما، وزيارة سبعة رجال خصوصا، هو الدافع الى تاليف ابن مريدة لهذا الكتاب .

- مضمـون الكتـــاب، لم يرتب المؤلف ابوابه كالمعهود في ابواب وفصول، وانما ترك لنفسه الحرية في تناول الموضوعات التي تعرضت لها الرسالة السلطانية، فجره ذلك الى الوقوع في التكرار وتناول الموضوع الواحد عدة مرات .

واهم موضوعات الكتاب هي :

- المقدمة، حدد فيها موضوع مؤلفه، فاشار الى صدور رسالة المولى سليمان (مختصرة مفيدة، مشتملة على علوم جمة، تكلم فيها على الزيارة) والى رغبته في شروحها (فاردت ان اكتب بعض ماظهر مما سطره علماؤنا رحمهم الله، امتثالا لما اوجبه الله علينا من طاعته) .

ويبدو انه كان مترددا قبل الاقدام على ذلك، خوفا من ان لايدرك قصده، وتحرف غايته لقوله (وان كان الاولى الصمت) .

وجره ذلك الى الحديث عن فضائل الصمت ومضار الكلام . فساق احاديث نبوية، واقوالا للائمة في الموضوع (85) .

أ - فضائل العلم، واصناف العلماء والمفاضلة بينهم وبين الاولياء : اتخذ هذا الموضوع تمهيدا لما سيعرض له فيما بعد .تاكيدا على اهمية طرح القضايا وتدارسها ودور العلماء في ذلك .وقدم للموضوع بآيات واحاديث مثل " والراسخون في العلم "و " ان الملائكة لتضع اجنحتها رضى بطلب العـلم (86) . . .

والعلم المقصود هنا هو النافع المقترن بالخشية والمهابة . وقد جاء في " الحِكَم " ان خير العلم ما كانت الخشية معه . وفي " لطائف المنن " الشاهد على العلم المطلوب وجـود الخشيـة لله، وشاهـد الخشية

---

(85) الكواكب السيارة ا - 4 .

(86) مثل انما يخشى الله من عباده العلماء / والذين اوتو العلم درجات / انظر سورة فاطر أية 28، والمجادلة أية 11، وآل عمران أية 7، وطه أية 114 .

موافقة الأمر . اما علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتعلق لاربابها، وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة . فما ابعد صاحب هذا العلم عن ان يكون من ورثة الانبياء، اذ لا ينتقل الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه (87) .وواضح من كلام المؤلف انه يصنف نفسه من اصحاب العلم النافع الذين لايتملقون ولاتكون الدنيا هدفهم لاقدامهم على انتقاد كلام السلطان .

ويقرن المؤلف العلم بالعمل، فطلب العلم والاشتغال به من افضل العبادات التي يتقرب بها الى الله . والعلم والعمل متلازمان بحيث يكاد يدخل كل واحد منهما في حد الاخر، فلا يكون العلم علما في الشرع الا بالعمل . ولايكون العمل عملا شرعا الا بالعلم، غير انهما يختلفان باللقب الغالب لانهم يسمون العالم من كان غالب اعماله العلم، والولي من كان غالب اعماله الانقطاع الى التعبد بغير العلم : فكل عالم ولي لله . وكل ولي لله عالم .ومع وصوله الى هذه النتيجة يطرح مسالة المفاضلة بين المرتبتين فيرى ان النظر فيها يجب ان يكون من وجهين :

- احدهما، النظر من جهة الدليل الشرعي، وهو نقلي ونظري . في النقلي كل ما ثبت للعالم ثابت للولي .

وفي النظري طلب العلم مما عدا الفرض من باب فرض الكفاية من قام به قام بفرض . والانقطاع للعبادة من باب النفل، والفرض سابق للنقل . وصاحب العلم ينفع نفسه وغيره، في حين ان صاحب العبادة لاينفع الا نفسه والاول خير من الثاني .

- وثانيهما، النظر بالنسبة والاضافة، فمن الناس من يصلح لطلب العلم اكثر مما يصلح للانقطاع للعبادة والعكس . لهذا رجحت كفة العلم على الولاية وان كان بعضهم فعل العكس كابي حامد الغزالي وقد رد ابن مريدة على الغزالي وفسر اتجاهه ذلك، بمبالغته بجعل علم الفروع علم الدنيا لما رأى عليه رجال عصره (88) .

2 - السنة والبدعة وانواع البدع : بما ان موضوع رسالة المولى سليمان هو محاربة البدع

---

(87) الكواكب السيارة 4 - 8 .

(88) انظر تفاصيل ذلك في الكواكب السيارة 18 - 29 .

فان المؤلف قد عني بتعريف البدعة، اعتمادا على عدد من الاحاديث النبوية (89)، انتهى منها ان البدعة كل ما خالف قواعد الشرع بتحريم حلال، او تحليل حرام . وميزوا بين البدع في ذاتها، فاعتبروا بعضها واجبا او محرما او مندوبا . . .

وقسم البدع الى خمسة اقسام :

- بدعة واجبة اجماعا كتدوين القرآن، والشرائع، خوفا عليها من الضياع، لان تبليغها لمن بعد واجب اجماعا .

- بدعة محرمة اجماعا، وهي ما تناولته ادلة التحريم وقواعده، كالمكوس، وتقديم الجهال على العلماء . . .

- بدعة مندوب اليها كصلاة التراويح .

- بدعة مكروهة اي ما تناولته قواعد الكراهة كتخصيص الايام الفاضلة بنوع من العبادة او الزيادة على العدد المندوب في التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل (ثلاثا وثلاثين) .

- بدعة مباحة، وهي ما تناولته قواعد الاباحة كاللباس الحسن، والمسكن الحسن ونحوه .

ويدعو المؤلف الى عرض ما لايتضح انه من السنة على قواعد الشريعة فاي قاعدة اقتضته ألحق بها . لذلك تحدث طويلا عن السنة واهمية اتباع الكتاب والحديث وجزاء الخروج عنهما (90) .

3 - حول التصوف : يسوق المؤلف اقوال كبار الائمة والصوفية في موضوع - من حيث تعريفه، انواعه، اغراضه - كالجنيد، وابن عطاء الله، والقشيري وزروق وغيرهم . وقد ركز على مسالة خاصة :

- حرص التصوف السني على الملاءمة بين الحقيقة والشريعة واعتمد في ذلك آراء واقوال مشاهير العلماء والصوفية (91) .

- مقامات الصوفية ومصطلحاتهم، تحدث عن الفرق الاول والفرق الثاني، وحال اهل الجمع،

---

(89) انظر الاحاديث في الكواكب السيارة 28 - 31 .

(90) الكواكب السيارة 34، وما بعدها .

(91) الكواكب السيارة 45، وما بعدها .

وجمع الجمع . واهل الكمال . واستعمل في توضيح هذه المقامات المؤدية الى مقام الشهود، مصطلحات كالحال والسكر والعارف والحق والخلق . . . الى غير ذلك من الالفاظ المصطلح عليها لدى الصوفية (92) .

4 - الاولياء : قدم المؤلف كعادته للموضوع بآيات واحاديث عن الولاية والاولياء(93). وتطرق بعد ذلك لأهم الاشكالات التي تطرحها الولاية على مختلف العصور، مثل :

- الولاية والعصمة (94) .
- ما يحجب الاولياء عن العامة (95) .
- حكم التوسل بالاولياء (96) .
- فضل مصاحبتهم، وشروط الصحبة (97) .
- ادعاء الولاية وانحراف التصوف في عصر المؤلف (98) .

5 - الزيارة وآدابها : استعرض المؤلف آراء القدماء في مسألة الزيارة ممهدا بها للحديث عن زيارة سبعة رجال مراكش ولخص ما قالوه في الموضوع : في حكمها، وآداب زيارة مسجد الرسول، وقبره، وآداب زيارة الاولياء حسب المذاهب . ومآل اليه أمر الزيارة في عصر المؤلف من انحراف وخروج عما كان عليه السلف الصالح : تقبيل القبور وجلب ترابها، والاعتقاد بقدرة دفنائها على النفع والضر . . . وساق في الاخير نماذج من ادعية العلماء عند القبور (99) .

---

(92) الكواكب السيارة 59 - 67 .

(93) كقوله تعالى(ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون) سورة يونس آية 62 . وقوله تعالى (من عادى لي وليا . . .) الحديث من الاربعين النووية، ص 38، القاهرة 1978 .

(94) الكواكب السيارة 69 - 72 .

(95) الكواكب السيارة 10 -101 .

(96) الكواكب السيارة 105 - 106 .

(97) الكواكب السيارة 119 -121 .

(98) الكواكب السيارة 135 - 140 .

(99) الكواكب السيارة 93 - 95، و 113 - 117 .

6 - سبعة رجال مراكش : لم يحظوا بالعناية اللازمة من طرف المؤلف، اذ لم يخصص لهم الا صفحات معدودة من كتابه (100) .فقد كان الغرض من تاليفه شرح رسالة المولى سليمان، وكما هو معروف تناول عدة موضوعات، تعتبر زيارة رجالات مراكش احدها .

واستهل الحديث عنهم (الكتاب لا يشتمل على ابواب وفصول كما قلنا) بقوله (وهذا أوان الشروع فيما اعتمدته من ذكر سبعة رجال) (101)

والملاحظ انه لم يبدا بالترتيب المتعارف عليه في الزيارة وانما بدا بالثالث (السبتي) منتهيا الى الثاني (عياض) .

وبرر ذلك بقوله : (وقد اخترت ان نبتدئ بالولي الذي اعطي بسطة في اللسان، وقدرة في الكلام ... وهو ابو العباس احمد بن جعفر الخزرجي) (102)، وتحدث بعد ذلك عن الجزولي والتباع والغزواني فالسهيلي، فيوسف المبتلى، فعياض .

وحافظ مع ذلك على الترتيب التسلسلي . وتبريره غير مقنع ما دام ان غيره قد اعطي نفس القدرة على الكلام والمناظرة كعياض والجزولي والغزواني . . .

فهل يرجع السبب الحقيقي في تجاهل الترتيب الى اعتباره بدعة وتفضيله ان يتم التعامل معهم بصفتهم افرادا كباقي اولياء المدينة ؟ او انه قدم السبتي لما يحظى به من تقدير وعناية من طرف سكان المدينة الذين يعتبرونه عميد اوليائها .

وكان حديثه عنهم مختصرا الى حد ان ترجمة ابي يعقوب لم تتجاوز بضعة اسطر، في حين شغلت تراجم التباع والسهيلي وعياض ما بين صفحتين وثلاث صفحات .

واعتمد في ذلك على مصادر محدودة : التشوف بالنسبة للسبتي وابي يعقوب (يكرر عبارات التادلي نفسها)، والممتع بالنسبة للجزولي والتباع والغزواني، فنقل منه بعض اخبارهم، ونماذج من كلام الجزولي، دون ان يضيف اليها اي جديد .

---

(100) من ص 159 الى 187 . اي 29 ص من اصل 226 ص المكونة للكتاب .

(101) ص 159 .

(102) الكواكب السيارة 159 .

- **الخاتمـــــــة :** عقدها لتعظيم السلطان واسداء النصح اليه والخضوع لاوامره، واعتمد كثيـرا على ماجاء في احياء علوم الدين : فـعنده ان السلطان واجب التعظيم لان به قـوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر ولو كان ظالما او فاسقا .-فقد قال عمرو بن العاص : سلطان غشوم خير من فتنة تدوم . ويبرر النصح له :(لانه نائب عن رسول الله، والنصح واجب لله وللرسول)(103) .

واورد اقوالا كثيرة في الموضوع لابن المنذر ومالك وابي حنيفة وسهل بن عبدالله وغيرهم . اثبت بعضهـا لما لها من دلالات على ما عرفه عصر المؤلف من احداث واضطرابات، كالقولة المنسوبة لحذيفة بن اليمان : ما ذهب قوم ليذلوا سلطان الله في ارضه الا اذلهم الله قبل ان يموتوا . . . وما جاء في الصحيح : ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر اليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب اليم . . . منهم رجل بايع سلطانا اذا اعطاه من الدنيا وَفّى، وان لم يعطه لم يوفّ (104) .

- **تقييـــم الكتـــاب :**

1 - يعتبر كتاب الكواكب السيارة مساهمة لها اهميتها في حركة التاليف التي كانت علاقة المولى سليمان بالوهابية موضوعها . وهي حركة متنوعة الاهداف والرؤى والاتجاهات . بعض كتابها من المغرب، والبعض الاخر من المشرق او الغرب .ومـا زالت هذه العلاقة من الموضوعات المثارة حاليـــا (105) .

2 - وهو وثيقة تسجل اهتمامات المجتمع المغربي الاسلامي خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر :

---

(103) الكواكب السيارة 212 .

(104) الكواكب السيارة 214، وما بعدها .

(105) تعرضت كتب التاريخ لهذه المسالة ابتداء من ترجمانة ابي القاسم الزياني وانتهاء بالاستقصا . وكذلك كتب التراجم التي ترجمت للمولى سليمان او لمحمد بن عبد الوهاب (كالاعلام) . كما تعرضت لها مؤلفات التصوف والطرقية عند المغاربة والاجانب : ميشو بيلير، الفريد بيل، جورج دراك، علال الفاسي وعبد العزيز بن عبد الله وغيرهم . وتناولتها عدة موضوعات من ندوة الاصلاح التي عقدتها كلية الآداب بالرباط بين 18 و 20 ابريل 1983 .

- على المستوى الثقافي والاجتماعي : الموضوعات التي تثير اهتمامه هي: العلم ودرجاته واهميته، السنة والبدعة، التصوف ودلالاته ومقاماته، الطرقية والمشايخ، ومدى فعاليتهم في المجتمع ودورهم في تهذيب الاذواق وتقويم الاخلاق، والزيارة وآدابها ونتائجها . . .

وقد حاول المؤلف ان يجيب على هذه التساؤلات معتمدا بالاساس على الشواهد النقلية من آيات واحاديث واقوال الائمة والسلف .

- وعلى المستوى السياسي : لم تكن هذه الحقبة فترة أمن ورخاء واستقرار، فبعد وفاة محمد بن عبد الله سنة اربع ومائتين والف تعاقب على كرسي الحكم اربعة ملوك قبل ان تستقر الاوضاع مع مجيء المولى عبد الرحمن .

وقد شجعت هذه الاوضاع بعض القبائل على الثورة وعدم الاذعان لاوامر المخزن : كاعراب الشاوية، والرحامنة، وسكان الحوز والودايا والاخماس وايت اومالو وايت عطا . . . وكاد المولى سليمان نفسه ان يقع في اسر بعضها (106) .

وكان للتنافس بين الطرق الصوفية ومناصرتها لبعض القبائل - كالحنصالية والدرقاوية - اثر في تعميم الاضطرابات وتعميقها مما جعل المولى سليمان يناصر التيجانيين، ويتلقف الدعوة الوهابية املا في الحد من نفوذ الطرق الصوفية السابقة الذكر .

ويتخذ ابن مريدة موقفا واضحا الى جانب السلطان، عندما يتحدث عن وجوب نصح السلطان واتّباعه وعدم التخلي عنه وعن بيعته ولو كان فاسقا . وكذلك عندما تحدث عن مصير الثائرين عليه . فمن سعى الى اذلال السلطان اذلّه الله قبل موته (107) .

3 - وكان المؤلف يمتلك كل الوسائل المساعدة على النجاح في هذه المهمة . اي شرح الرسالة والرد على ما فيها، كما حدد ذلك في مقدمة كتابه :

فهو فقيه عالم، تتجلى مكانته العلمية من خلال المصادر المعتمدة في التاليف، فقد رجع الى الاصول (مؤلفات الغزالي، وابن عطاء الله، والقشيري وزروق في التصوف، والكتب الصحاح والشفا في

---

(106) الاستقصا 8/ 127 - 148 .

(107) خاتمة الكتاب .

الحديث وكتب الائمة الاربعة في الفقه) . واجاد في الاقتباس منها والاستفادة من معلوماتها . ولم يكن غريبا عن التصوف بل احد ممارسيه ومن المعتكفين في الحرم العباسي (ضريح السبتي) .

كما انه عرف بصراحته وشجاعته . فلم يكن -كما تقول مصادر ترجمته- يخشى في الله لومة لائم . الا انه -مع هذا كله- لم يفلح في اعطاء رؤية واضحة للموضوع :

أ) منهجيا : يفتقر الكتاب للتنظيم والترتيب . فقد اطلق العنان لقلمه متنقلا بين موضوعات الرسالة السلطانية وفقراتها دون تقييد، فاوقعه ذلك في التكرار والاستطراد .

ب) التردد الذي بدا عليه منذ اول الكتاب : فقد اشار الى منافع الصمت ومضار الكلام، وقال (بان الاولى الصمت) . والى ضرورة موافقة السلطان والاذعان لرايه كيفما كان .فمن شان العظماء اذا حذوا شيئا ان يوقف عنده .

وكأنه خائف من ابداء رايه صراحة في الرسالة ومضمونها . مع ما اشرنا اليه من اتصافه بالشجاعة الفكرية .

ويزاوله الخوف احيانا فيذكر - تحت تقية الحديث عن العلماء الذين يخشون الله حقيقة - ان من ادلة خشية الله تعالى نبذ الدنيا وعدم التملق لاربابها، وصرف الهمة لاكتسابها .

ج) وانعكس هذا التردد على احكامه : فهو احيانا مع ما جاء في الرسالة في نبذ الغلو في الدين، وطلب الحاجة من الاولياء . وقد علق على الفقرة الشهيرة التي ينتقد فيها المولى سليمان سبعة رجال مراكش بقوله (فاقول . . .وهذا تحذيرا وارشادا للعامة كراهة ان يحصل منهم ما انكره الشرع قولا وفعلا واعتقادا وذلك لايستبعد من اهل الجهل، ودليله المشاهدة، وليس الخبر كالعيان)(108) .

وهو معها كذلك عندما ردد مع ابن عباس (اذا سالت فاسال الله، واذا استعنت فاستعن بالله)(109) .

---

(108) الكواكب السيارة 145 .

(109) الكواكب السيارة 125 .

ويناقض هذا كله مبتعدا عن الرسالة عندما يتحدث عن الاولياء الذين تقضى عندهم الحاجات ، وعلى راسهم ابو العباس السبتي . وقد روى بعض تجاربه الشخصية في الموضوع، بل وصنفهم الى من كان يقضي الحاجة في حياته، ومن يقضيها بعد مماته كذلك (110) .
فهل كان لمثل هذه المواقف المناقضة للرسالة دخل في نفيه الى فاس حيث عاجلته منيته ؟

4 - لايمكن اعتبار "الكواكب السيارة" من المصادر المهمة عن سبعة رجال لان تناوله لهم كان عرضا ولم يضف اي جديد الى الموضوع بل اكتفى بترديد ما جاء في المصادر الاولية في الموضوع، مع تحريف لمضامينها احيانا (111) .

ومع اهمية هذا الكتاب في عصره وفي موضوعه يبقى مؤلف اليفرني " درر الحجال " اهم بكثير بالنسبة للموضوع الذي ندرسه اي موضوع سبعة رجال مراكش .

<u>- المطلب الثالث - الارتجال في مناقب ومشاهد سبعة رجال :</u>

<u>- مؤلـــفه:</u> محمد الامين بن عبد الله الحجاجي الجعفري الحسني الصحراوي المراكشي .
قدم الى مراكش في شبابه، وقضى به زهاء اربعين سنة . وقد اشار عليه بذلك الشاعر الشعبي الصوفي عبد القادر العلمي عندما لقيه بمكناس سنة ست وخمسين ومائتين والف (112) .

من اشهر شيوخه في العلم : عمر بن المكي الشرقاوي البوجعدي، الذي اجازه سنة تسع وخمسين ومائتين والف، ومحمد بن عبد الودود الحاجي فتصدر للتدريس بمراكش (وكان له ولوع بالادب، واطلاع على التاريخ، وشغف باللغة) (113) .
طريقته مختارية، الا انه بعد حلوله بمراكش كان يلازم الزاوية القادرية بدرب ضياشي (114) . وكان له ايمان راسخ بالاولياء، ومحبة فيهم، واعتقاد ببركتهم، وزهد عام في الدنيا .

---

(110) الكواكب السيارة 142 -145 .
(111) اخطا في تاريخ وفاة الغزواني فجعله 934 هـ (بدل 935)، ص 183 .
(112) الاعلام 7/28 . وفي مقدمة الارتجال انه قدم اليها سنة 1254 اي قبل اتصاله بسيدي قدور العلمي .
(113) الاعلام 7/21 .
(114) الاعلام 7/21 .

يـــــتجلى ذلـك :

- من ولعه بزيارتهم في كل انحاء المغرب : فقد كانت له رحلة طويلة سنة اربع وثمانين ومائتين والف زار فيها اولياء :الرباط، سلا، مكناس، فاس . . .

- لجوءه الى اضرحة مدينة مراكش (وخاصة ضريح الجزولي عندما يلم به اي خطب(115).

- كثرة ما يرويه من اخبار الصوفية، وقطب الزمان، مما يعرض له في المنام ؟

- زهد في ما وهبه اليه المولى الحسن من ذهب عندما قدم له مقدمة كتابه " الارتجال "، فوزعه على الناس .

مع ميله الى الخرافة والايمان بالرؤى والكرامات، كانت له وجاهة لدى السلاطين . فقد كانت لمحمد بن عبد الرحمن محبة كبيرة فيه منذ كان وليا للعهد . وكذا كان الشان مع ابنه مولاي الحسن، ومع الوزراء : موسى بن احمد، ومحمد العربي الجامعي، وعلي المسفيوي، وغيرهم .

وتبدو هذه المكانة فيما لقيه من ترحيب واجلال خلال رحلته الطويلة عبر بعض المدن المغربية. فقد كان ولاتها وقوادها يتلقونه بحفاوة بالغة (116) .

وكانت وفاته سنة خمس وتسعين ومائتين والف (117) .

له قصائد عديدة في مدح الملوك والوزراء، وفي مدح الرسول والتوسل بالاولياء (118) .

اما مؤلفاته فهي :

- الارتجال،

---

(115) الاعلام 22/7 .

(116) انظر تفاصيل الرحلة في الاعلام 7/21 - 28 .

(117) حسب الاعلام، وعند ابن المؤقت في السعادة الابدية انه توفي سنة 1296هـ 1/100-101. ودفن برباط عبد القادر الجيلاني بضباشي .

(118) نماذج في الاعلام 7/25 -26 . وفي كتابه المجد الطارف والتالد شعر كثير في اغراض مختلفة . م. خ. ع. ر. 588 ك .

- المجد الطارف والتالد على اسئلة الناصري احمد بن خالد .وهي اسئلة وجهها اليه حول موضوع سبعة رجال في رسالة تحت عنوان (رسالة في تحقيق امر سبعة رجال دفناء مراكش)(119) .
- المنهج المختار في مناقب الشيخ المختار (الكنتي)، شيخ الطريقة المختارية .
- ونسب له ابن المؤقت مؤلفا عن ضجيعي ابي العباس السبتي (120) .

- مضمون الكتاب: لم يكتب الكاتب من الكتاب الا مقدماته الطويلة . فالنسخة الوحيدة التي وصلتنا، حسب ما نعلم لا تخرج عن هذه المقدمات . يوجد ضمن مخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط (121) . ويقع في ازيد من ثمانين ومائتي صفحة .الفه سنة اثنتين وتسعين ومائتين والف . وكان ذلك بطلب من احد اصدقائه (قد طلب مني من لا يسعني الا مساعدته لا مخالفته ... مجموعا في وفيات رجال هذه الحضرة المراكشية . . . فامتثلت امره) ويبدو من العنوان الذي وضعه المؤلف انه لم يكن ينوي الاكتفاء بذكر سبعة رجال (الارتجال في مناقب ومشاهد سبعة رجال، وما اشتهر في مراكش ودخلها من مشاهير صلحاء الرجال . .) وانما التعريف بكل من دخل المدينة من الاعلام (. . .سواء كان مقامهم فيها او في غيرها) (122) .
وهذا مطمح كبير يتطلب تنفيذه المجلدات . ولعل هذا ما يفسر طول مقدماته . وقد تمكن عباس بن ابراهيم المراكشي من تنفيذ هذا المشروع فيما بعد في كتابه الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام .

وقال المؤلف عن مقدمات كتابه (وقد قدمت امام المقصود مقدمات تتضمن فوائد لاغنى عنها في فضل العلم ، واهله، وبعض ما فتح الله عليّ من فنونه . . . وختمت المقدمات بمقدمة هي خاتمة مسك المقدمات في نسب سيد البشر وبعض سيرته وخلفائه ومن دخل المغرب من الصحابة .. . وبدات قبل شروعي في تراجم الاولياء بتاج مفرق اولياء المغرب المولى ادريس) وهذه المقدمات هي :

---

(119) ورد ذكرها في مقدمة الاستقصا 28/1 - 29 وردت كذلك في المجد الطارف والتالد .
(120) السعادة الابدية 101/1 .
(121) رقم 194، يقع في 282 ص .
(122) الارتجال ص 100 .

- الاولى، في بيان معنى التاريخ .

- الثانية، في ذكر الآيات والاخبار والآثار والاشعار الواردة في فضل العلم والتعليم .

والمقدمة الثانية اهم المقدمات لانها تلقي الاضواء على حياة المؤلف، وعلاقته بالسلطانين مولاي عبد الرحمن وابنه محمد وبوزرائهما وعلماء دولتهما ، وجولاته داخل المغرب، واتصاله برجالاته ورحلته الى الحج عبر مصر، واتصاله بعلماء المشرق مما لايوجد في غير هذا الكتاب .

اما البواعث على التاليف في هذا الموضوع، فهي :

1) ما كان يسمعه منذ صغره عن بعض افراد اسرته من ذكر لسبعة رجال واخبارهم، فاهتم في كبره بموضوعهم .

2) الاكثار من ذكر الصالحين واهل الخير ورواية طرف من احوالهم .

3) ان ينتفع به افراد الامة المحمدية .

4) التفكر والاعتبار باحوال السلف الصالح واتفاقهم على الزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة .

5) في فضل التواليف والكتب، وذكر طرف من فوائدها .

كتب هذه المقدمات في حوالي السنة . ذلك انه ذكر سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف في بداية الفصل الاول منها ، وعرض الكتاب على الناس في مستهل سنة اربع وتسعين ومائتين والف . وكان الناصري من العلماء الذين قرظوا الكتاب . وطرح اسئلة على المؤلف حول سبعة رجال، طلب منه الاجابة عليها في مؤلفه " الارتجال " او تخصيص مؤلف لذلك . ففضل الصحراوي الاقتراح الثاني،وخصص كتاب "المجد الطارف" للجواب .

ويبدو ان ما كان يعتزم قوله في الارتجال، قد ورد في "المجد الطارف"، فاصبح اتمامه من النوافل . هذا مع العلم ان الزمن الفاصل بين الفراغ من تاليف المجد الطارف، ووفاة الصحراوي كان قصيرا ، ولايكفي لتنفيذ مشروع كالذي وضعه المؤلف، والذي سينجزه عباس بن ابراهيم خلال عدة عقود .

– المطلـب الرابع – المجـد الطـارف والتالــــد على اسئلـة الناصـــري سيـــدي احمـد بـن خالـــد، (123)

الفه كما هو واضح من العنوان في الرد على اسئلة المؤرخ احمد بن خالد الناصري التي وجهها اليه بعد اطلاعه على مقدمة الارتجال .

وقد اشار المؤلف الى ذلك في مقدمة الكتاب فقال :

(قد طلب منا محبنا الاخ في الله تعالى المؤرخ المشارك ابو العباس سيدي احمد بن خالد الناصري السلوي، ان نطلعه على بعض ما الفناه من مقدمة كتاب الارتجال . . . وحين اطلع عليه . . .كتب على هامش المقدمة مانصه : " الحمد لله . . . اسعد الله بمنه اوقات حبنا وسيدنا الفقيه العلامة المشارك المتفنن ابي عبد الله سيدي محمد الامين . . . هذا واني قد وقفت على ما بعث به سيادتكم من مقدمة كتاب الارتجال فسرحت النظر في رياضه، وانهلت الفكر في حياضه واقتطفت زهره، والتقطت درره . . .) . وكان الجواب مؤرخا في الواحد والعشرين من محرم عام اربعة وتسعين ومائتين والف .

قال الصحراوي :(. . وبعد ذلك بمدة بعث لنا بكتاب آخر مع اسئلة قيدها تتضمن بعض ما نحن بصدده من التعريف بمشاهير سبعة رجال . . . فلبيت دعوته بالاسعاف، لما رايت فيه من كمال الانصاف) (124) .

اما نـص الاسئلـة فهـو : (. . . هذا وموجبه تجديد العهد لكم والسؤال عن سني احوالكم . . .ثم الالتماس من كرمكم السامي وبحر علمكم الطامي ان تنظروا في كلام اتفق لي جمعه من غير قصد، اول صدره ملخص من الكواكب السيارة(125) وعجزه سنح به الفكر العقيم والخاطر السادر . . . كوجه الترتيب في زيارة الشيوخ السبعة، ووجه الاقتصار على الاشادة بهم والابتهال

---

(123) م. خ. ع. ر. 588 ك في مجلد : مجدول ملون بخط مغربي واضح مسطرته 20، 10 كلمات في السطر . في 486 ص .

(124) مقدمة المجد الطارف والتالد 1 – 2 .

(125) كتاب محمد المكي بن مريدة السرغيني في الرد على رسالة المولى سليمان حول زيارة سبعة رجال واحياء ذكراهم .

بجاههم وكشان المزارات الثلاث المذكورة آخر التي بكل منها سبعة اقبر، واولية ذلك وسببه .

ويكون الجواب مختصرا في قطعة على حدة . وما كتبت لكم بهذا الا التماسا من بركتكم، واغترافا من مددكم . والعلم كما علمتم يحي بالمذاكرة . ولم نجد الآن احدا اولى بهذا الجواب منكم) (126) .

كتب هذه الاسئلة في عاشر صفر عام اربع وتسعين ومائتين والف ويلاحظ ما حظي به المؤلف من احترام وتقدير صاحب كتاب الاستقصا .

- جواب محمد الامين الصحراوي : قال عنه في المقدمة :(وبعد ان شرعت في الجواب، سنح لي سفر لزيارة مولانا ادريس وزيارة مولانا امير المومنين المولى الحسن . وحين ابنا من سفرنا المبارك في اواخر رجب بالتاريخ المذكور، شرعنا في تكميل الجواب والله الموفق للصواب)(127) .

واستهله بقوله (. . .اما بعد فقد وصل كتابك الباهي، واعجبني خطابك الزاهي، فلله ايها السيد الحلاحل ابوك، فلا فض فوك، فيما سمح به فكرك السالم غير السادر . . .) (128) .

وعبر عن حبه الكبير للاولياء، وارتياحه لقراءة اخبارهم، واورد احاديث نبوية في الموضوع، مشيرا الى حسن نية السائل ورغبته في الاطلاع على اخبار سبعة رجال وما يتعلق بزيارتهم .

ثم شرع في الجواب، وقسمه الى ثلاثة اقسام :

1) القصد باطلاق اسم سبعة رجال، لهذا الاطلاق وجهان : عام، من مرسلات المجاز الذي هو اطلاق البعض على الكل، وبذلك فان المقصود بسبعة رجال مجموع اولياء المدينة على وجه التفصيل مثّل لذلك بقوله ان المراد بان القران على سبعة احرف، يقصد به الكثرة . وساق امثلة اخرى على افادة السبعة للكثرة . خاص، قصد الرجال السبعة علي وجه التحديد باسمائهم المعروفة

2) اما سبب ترتيب الزيارة، فيقدم له المؤلف المبررات التالية :

أ) طوافهم كطواف الكعبة، يبدأ من الشرق الى الجنوب (من ابي يعقوب الى السهيلي) .

---

(126) المجد الطارف 3 .

(127) المجد الطارف 2 .

(128) المجد الطارف 18 .

ب) ان اهل مراكش يدفنون موتاهم بمقبرة باب اغمات، فيخرجون لزيارتهم في الجُمُع والمناسبات،وهم في ذلك اربعة اصناف :

. صنف يكتفي بها ويرجع للبلد .

. وصنف يزور بعدها يوسف بن علي وحده .

. وثالث يزور بعد يوسف ما تيسر من اضرحة الاولياء .

. وصنف يراعي الزيارة على وجه الترتيب والكمال . .

وهذا ما يبرر البدء بباب اغمات او بشرق المدينة .

ج) اذا خالف الزائر هذا الترتيب حدث له تعب بالرجوع القهقري اما اذا سار عليه فانه ينتقل من محطة الى اخرى بيسر الى ان يختمه .

اما عكس الترتيب بالبدء من السهيلي الى يوسف، فلا ينبغي - في اعتقاد المؤلف - اتباعا للسلف، والخير في الاتباع . خصوصا وانه يجب مراعاة تقليد طواف الكعبة من الشرق الى الغرب .

اما في حالة العكس فسيتم الطواف من الغرب الى الشرق .

واما عن اول مخترع للزيارة فيقول المؤلف (الله تعالى اعلم بذلك، ما وقفنا على شيء منه، ولو كان طلبة مغربنا يعتنون باحياء مآثر علمائهم، وبلدانهم كما هو دأب اهل المشرق والاندلس لكان ذلك مدونا وتتلقاه العامة والخاصة . . .) (129) .

ويقدم تاريخا تقريبيا وهو صدر القرن العاشر، اي بعد وفاة الغزواني آخرهم زمنيا .

وسبب تخصيصهم بهذا الاسم وبالزيارة دون غيرهم، انهم كانوا كالاطواد والاركان في البلد واحدا بعد واحد، وزيارتهم بهذا الترتيب يندرج فيها اغلب اولياء المدينة (130).

3 - وعن المزارات الثلاث التي تحمل نفس الاسم والوارد ذكرها في "الكواكب السيارة" (موجودة بالموقف، والزاوية العباسية، وللاتكركوست) لم يجد جوابا شافيا ، فعلق على الموضوع بقوله (مارأينا

(129) المجد الطارف 27 .

(130) المجد الطارف 173 .

من تعرض لها ولا لرجالها الا قول العامة . ولكن كم من مزارة في هذه البلاد وغيرها تزار ولا قبور فيها ، وانما كانت فيها انفاس اهل الله في الحياة، فكانت محلا لتعبداتهم، او رئيت فيها روحانية ولي فحصلت بركته) (131) .

واعطى امثلة لذلك بخلوة الكتبية، وخلوة ابي العباس السبتي بجيليز وغيرها .

وخلال الاجابة على اسئلة الناصري، يقدم المؤلف معلومات عن سبعة رجال وتراجمهم بتفصيل . ومختارات من صلواتهم وادعيتهم،

الا ان عدم اطلاعه على كتب مهمة في الموضوع "كدرر الحجال"، خلف ثغرات كبيرة في اجاباته . وبدت اجتهادات اليفرني مقنعة وشاملة، في حين يكتفي محمد الامين الصحراوي بتوجيه اللوم للقدماء الذين لم يعنوا بتدوين اخبار الاسلاف في اعتقاده الا انه مع ذلك يعتبر من اهم مصادر محمد الغالي بن المكي الاندلسي في كتابه "بادرة الاستعجال"، وعباس بن ابراهيم المراكشي في كتابه "اظهار الكمال" .

لقد كان حظ سبعة رجال مراكش من الكتاب -الذي يشتمل على زهاء خمسمائة صفحة- ضئيلا . لان منهج المؤلف يعتمد:

- كما هو شان اغلب كتب التراجم والطبقات - على الاستطراد وجمع المعلومات والفوائد بغض النظر عن علاقتها بالموضوع :

- فمن ترتيب الزيارة استطرد الى الحديث عن الكعبة والطواف حولها واركانها .

- وعندما بلغ مقابر الاشراف من مدار الزيارة انتقل الى الحديث عن العلويين وتاريخهم، وحكم المولى الحسن، وارجوزة المؤلف في نسبهم ابتداء من السلطان المذكور الى الرسول (صّ) .

- رسائل الشوق الى المدينة، وحكم زيارة القبر النبوي، واقوال العلماء في ذلك، وكيفية زيارة السلف له وما يقال في المناسبة من ادعية وتوسلات .

ثم الحديث عن المفاضلة بين مكة والمدينة، ورسم الروضة، والتعريف بها ووصفها في رسالة مستقلة عنونها ب (الدرة المنيفة، والمقالة الطريفة في صفة الحجرة والروضة الشريفة) .

---

(131) المجد الطارف 200 .

- ومن ابن العريف وابن برجان استطرد الى الحديث عن علم اسرار الحروف، وما كتبه ابن خلدون في الموضوع . ونظرية هذا الاخير في العصبية والملك . وساق نماذج عملية مثل لها بدولة الادارسة بالمغرب، فلخص تاريخهم وذكر ملوكهم .

- ومن الحديث عن سبعة رجال تحول الى الحديث عن القراءات السبع، وجمع القرآن والتعريف بمشاهير القراء . . .

وكان يدرك ذلك تمام الادراك باعلانه عن الرجوع الى الموضوع (رجع الى تمام الكلام عن الغزواني . . . ولنرجع الى ما كنا بصدده في ترتيب الزيارة . . . رجع وعود وانعطاف الى سؤال الاخ حفظه الله. ..)(132) .

ومن مظاهر الاستطراد لديه، ولعه بالتراجم والتواريخ فقد عرف باغلب الاولياء المذكورين في مدار الطواف، وذكر مؤلفاتهم ونماذج من شعرهم او كلامهم او ادعيتهم .
وعرف كذلك بمؤلفي المصادر التي اعتمدها في مؤلفه مثل ابن الزيات التادلي صاحب التشوف، ومحمد المهدي الفاسي صاحب الممتع، واليوسي صاحب المحاضرات، والقادري صاحب النشر . . . وغيرهم من العلماء الذين تتكرر اسماؤهم، او يعرض آراءهم او ينقل عنهم .

ولعله تعمد ذلك اعتبارا لملاحظاته السابقة عن اهمال المغاربة للتعريف برجالاتهم وتسجيل اخبارهم . فأسهم بهذه الاستطرادات في معالجة هذا النقص وسد تلك الثغرات .

وبالرغم من ضآلة المعلومات المقدمة عن سبعة رجال مراكش وميل المؤلف الى الاستطرادات البعيدة عن الموضوع، فان كتاب "المجد الطارف والتالد" لايخلو من قيمة :

أ) يقدم نماذج لبعض القضايا التي كانت تشغل بال عامة الناس في هذا العصر والمثقفين منهم خاصة. فالمؤلف كان من موظفي المخزن، ومن ابرز شعراء العصر وفقهائه .
والسائل تقلب بدوره في عدة وظائف مخزنية . وكان عالما فقيها مؤرخا، يعد كتابه "الاستقصا" اشهر كتب تاريخ المغرب على الاطلاق . فبعد فتور التحمس الى الحركة الوهابية، وامام عزلة المغرب

(132) ورد ذلك على التوالي في الصفحات 66 - 57 - 173 . . .

وارتفاع الضغط الاجنبي عليه، كان الرجوع الى الاولياء والتوسل اليهم سبيلا من سبل العزاء وطلب الفرج والحماية والعون .

2) شاهد على عقلية صنف من الطبقة المستنيرة كانت تومن بالخرافات، وتوظف المنامات والرؤى والروايات الاسطورية، وتعتبرها مصادر في التاريخ والكتابة . وما اكثر هذا النوع في كتاب "المجد الطارف التالد" .

وبلغت بمؤلفه السداجة الى تصديقها ونقلها على انها من المسلمات : كحكاية المراة التي ولدت اربعين مولودا ذكرا عاشوا جميعا، بعدما هددها زوجها بالقتل لانها كانت لا تلد الا البنات(133) وحكى عن نفسه انه كان يسد عليه باب "بيت العود" من مسجد الكتبية بمراكش . ويجد قلبه غاية في خلوته . . . وكان يزوره فيه – حسب زعمه – الخضر عليه السلام، ويوجه اليه السلام فيرده عليه المؤلف دون ان يراه بالطبع (134) . . . الى غير ذلك من الخرافات التي شاعت ليس فقط عند المؤلف، وانما عند كثير من معاصريه .

فاذا كان هذا حال الطبقة الواعية المثقفه، فانه يجب ان نلتمس العذر لعامة الناس اذا تهافتوا على الاضرحة وتوسلوا الى نزلائها وطلبوا حمايتهم ومساعدتهم .

3) في الكتاب معلومات مهمة عن حياة المؤلف ورحلاته وعلاقاته برجالات عصره من مختلف الطبقات والمستويات . وللوظائف التي تقلدها والمهام التي انيطت به في بعض المدن المغربية، وخاصة مدن : مراكش والرباط ومكناس وفاس .

4) ويشير الصحراوي الى بعض الموضوعات التي سيتعرض لها بتفصيل في كتابه "الارتجال" . واذا كانت الظروف لم تسمح له باتمامه فانه عرفنا على الاقل الى خطته وبعض موضوعاته .

ويبدو ان كتابة "المجد الطارف والتالد" كانت وراء زهده في اتمام تاليف الكتاب الذي كتب مقدمته .

---

(133) المجد الطارف 250 .

(134) المجد الطارف 203 .

ذلك لانه سيضطر الى تكرار نفسه وترديد هذه المعلومات القليلة التي جمعها عن سبعة رجال .

5) ويؤرخ الكتاب لجانب من حكم محمد بن عبد الرحمن، والمولى الحسن . ويقدم اهم الاحداث، واسماء الوزراء وكبار موظفي المخزن، وبعض منجزاتهم وما قيل فيهم من شعر . . .

وتاتي اهمية هذه الاخبار من موقع المؤلف منها ، فقد عاشها ، وساهم في صنع كثير منها . ويعد بذلك شاهد عيان لا مجرد ناقل أوراو .

6) والكتاب ديوان شعر خاص بالمؤلف وببعض معاصريه . فعلى غرار ما ورد في مقدمة «الارتجال» يسجل ما قاله من اشعار في المدح والتوسل . وقد بلغت القصائد التي نظمها تسع عشرة قصيدة يقع بعضها في ازيد من مائتي بيت . وهي في مدح السلطانين (محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن) والمولى عثمان والوزير موسى .

وله قصائد في مدح الرسول والتوسل بالاولياء والجيلاني، مولاي ادريس، سبعة رجال، وعامة اولياء المغرب .

بناء على هذه الميزات الاخيرة، يمكن اعتبار كتاب "المجد الطارف والتالد" من المؤلفات الجديرة بالدرس والتنويه والتي يمكن الاستفادة مما تحويه من مواد خام : في التراجم، والتاريخ، والشعر، مما يسهم في اغناء البحث حول فترة الربع الاخير من القرن الثالث عشر للهجرة بالمغرب .

- المطلب الخامس - بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال،

لابي عبد الله محمد الغالي بن المكي سليمان الاندلسي .

وصلتنا منه مخطوطة فريدة بخط المؤلف (135) . الفه عندما تولى قضاء مراكش ابتداء من سنة اربع وتسعين ومائتين والف .

وفي مقدمة الكتاب ان المؤلف كان من مرافقي المولى الحسن اثناء تاديبه لبعض القبائل في

---

(135) م. خ . الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني بالرباط تقع في 99 ص من الحجم الكبير تحتوي كل واحدة على حوالي 30 سطرا في كل سطر 20 كلمة .

السنة المذكورة كزمور، وزعير، والسهول فبدا له ان يعزل محمدا بن المدني السرغيني عن قضاء المدينة ويولي المؤلف مكانه (136) .

وقال عن سيرته بمراكش بانه ألان الجناح للخلق، وقلل من الاتصال بالناس، واكثر من زيارة الاولياء (ولم آل جهدا في البحث عن مناقبهم لتتمكن مني محبتهم تمكنا شديدا . . .) فاجتمع من ذلك الكثير، وحقق غايته من الزيارة والاهتمام اذ قال (. . . وصرت كلما زرت وجدت قلبي ونشطت لطاعة ربي)(137) .

ويشتمل الكتاب علي مقدمة وسبعة مطالب، في كل مطلب سبعة فصول (تيمنا بهذا الرقم) .

- خصص المقدمة للتعريف بالمولى الحسن ولي نعمته، فتحدث عن حسن خَلْقه وعدله وسيرته في الرعية، وسياسته الخاصة، وشجاعته .

- وتحدث عن الزيارة ممهدا بذلك لموضوع زيارة سبعة رجال، فاستعرض الآراء والاحاديث المروية في فضل زيارة قبر الرسول ومسجده وابدى رايه في مسالة شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة التي خصص الحديث النبوي السفر اليها .

واثناء الحديث عن هذه الموضوعات ينتقد المؤلف بعض العيوب المتفشية في مجتمعه كخروج النساء للزيارة وما يترتب عنه من اختلاط وفساد . فكان لذلك من الداعين الى منعها سدا للذارئع . ويعيد طرح نفس القضايا التي طرحها اليفرني في "درر الحجال" بالرغم من ان الكتاب لم يرد ضمن مصادره .

وهي : صفة السلام على الاموات، النهي عن الزيارة في اول الاسلام، شروط الزيارة المقبولة،

---

(136) يقول صاحب الاعلام في موضوع عزل محمد بن المدني عن قضاء مراكش ان عامل المدينة محمد بن داوود طلب من صهره الوزير موسى ان يكون جمع اهل الشورى لفصل الاحكام بالمسجد الذي بالقرب من داره، فصدر الامر بذلك وارسل الى السرغيني فاجاب : (الزمان زمان مصيف، والعبد ضعيف، والعلم يوتى ولا ياتي) .
فورد عليه الاعفاء من القضاء اوائل عام 1295 هـ . الاعلام 20/7 .

(137) بادرة الاستعجال 1 .

حكم قراءة القرآن عند قبر الميت، وآداب الزيارة . . . ويغلب على طرحه تلخيص الآراء والاقوال دون ابداء الراي فيها .

- اما الابواب السبعة فخصصها لسبعة رجال المدينة .

ولانحتاج الى الحديث عن كل واحد منهم، لان المؤلف لم يات بجديد يذكر، فقد اعتمد نفس مصادر "درر الحجال" بالنسبة لابي يعقوب وعياض كالتشوف والغنية، ولخص ماجاء في الدوحة والكواكب السيارة والمجد الطارف والتالد وغيرها عن باقي الرجالات دون ان يصل الى مستوى ماورد في ممتع الاسماع من تفاصيل عن الجزولي والغزواني على سبيل المثال .

لذلك سنكتفي بملاحظات تقييمية للكتاب :

1) ترك الحديث عن سبعة رجال مراكش وترتيب الزيارة الى المطلب الاول، خلافا لليفرني الذي تناول الموضوع في المقدمة .

ويبدي جهله التام بالموضوع، فالظاهر انه لم يطلع على "درر الحجال" اذ قال في موضوع ترتيب الزيارة: (فان قلت اول من اخترع هذا الترتيب في الزيارة واقر بالاقتصار على السبعة ، قلنا : الله اعلم بذلك ما وقفنا على شيء) . ويحمل المسؤولية في ذلك للعلماء (لو كان طلبة مغربنا يعتنون باحياء مآثر علمائهم وبلدانهم كما هو داب اهل المشرق والاندلس، لكان ذلك مرويا وتتلقاه العامة والخاصة) (138) .

وهذه العبارات نقلها بنصها عن الصحراوي في "المجد الطارف والتالد" (139) . ويتحمل المؤلف نصيبا من المسؤولية اذ انه اهمل الرجوع الى مؤلف اليفرني الذي تناول الموضوع بتفصيل .

2) ضيّق المؤلف على نفسه عندما حدد فصول كل مطلب في المقدمة . فكان عليه امام ضآلة المادة المتوفرة لديه، وقلة المصادر ان يملأ هذه الفصول بموضوعات قريبة من موضوعات الزيارة، ومن سبعة رجال احيانا ، وباستطرادات لاعلاقة لها بالموضوع احيانا اخرى .

فجاءت فصول المطلب الاول حول يوسف بن علي كالتالي :

---

(138) بادرة الاستعجال 20 .

(139) المجد الطارف والتالد 27 .

- فضيلة السكوت والتواضع/ - ظهور العلوم عند المسلمين،

- اختصار الاسناد وحذفه/ - العلماء والصلحاء .

فتحدث عن كل شيء الا عن الموضوع الاساسي، ولم يتجاوز في ذلك بعض ماورد عن ابي يعقوب عند صاحب التشوف .

وبالرغم من غزارة المعلومات المتوفرة عن عياض، فانه سلك نفس المنهج الاستطرادي فكانت الفصول السبعة في موضوع آداب المتعلمين، وشروط طلب العلم، وعلاقة الشيخ بطالب العلم، فلم يكن حظ عياض سوى بضعة اسطر عرف به فيها تعريفا مختصرا .

وكان للسبتي والجزولي والغزواني حظ وافر اذ ان المعلومات التي اوردها عنهم اهم بكثير وان كانت لاتغطي كل ماهو معروف عنهم . واهتم اساسا بما جاء في " التشوف " عن الاول، وفي "الكواكب السيارة" عن الثاني والثالث . والمعروف ان مصدر هذا الاخير هو " الممتع " .

ومع التباع والسهيلي يعود محمد الغالي الى الاستطراد ، فبعد تقديم موجز لحياة التباع يملا المؤلف الفصول السبعة بالحديث عن الخلوة، والاخلاص لله، وخلوة ابراهيم، وخلوة موسى، وخلوات محمد (صَ) . . .

3) فصول الكتاب غير متوازنة، بعضها يشتمل على سطرين او ثلاثة اسطر، وكثير منها لايتعدى خمسة اسطر . في حين ان خاتمة المطلب الثاني مثلا تشغل ثمان صفحات يعقبها تذييل في اربع صفحات حول العلم اللدني والعلم المكتسب . . .

ويفسر هذا الخلل بنفس مافسرنا به ظاهرة الاستطراد وهو الزام المؤلف نفسه بعقد سبعة فصول عن كل شخصية، فكان يكتفي احيانا

- امام ضآلة المادة - بتسجيل عنوان الفصل فقط وتجاوزه الى غيره (140) .

4) وبما ان الموضوعات التي تناولها كانت متنوعة، فقد اعتمد المؤلف مصادر متنوعة اغلبها في

---

(140) الفصل الاول من المطلب السادس، والفصل الاول من المطلب السابع، والفصل الثالث من المطلب الخامس .

التصوف : كالاحياء، وقوت القلوب، وحلية ابي نعيم، والتعرف للكلاباذي، وتحفة المريد لزروق . . . واخرى في التراجم كالتشوف والدوحة والديباج والكواكب السيارة والمجد الطارف . . . وبعض الصحاح في الحديث، وتاريخي ابن عساكر وابن عبد الحكم والقاموس في اللغة .

الا انه لم يكن يحسن النقل منها، ولم يضبط نقوله : فقد ينسب الى صاحب الكواكب السيارة ما نسبه هذا الاخير الى التشوف، او الى ممتع الاسماع، او غيره من المصادر التي اعتمدها .

وكان في الغالب لا يشير الى بداية النقل ونهايته، بخلاف ما وجدنا عند اليفرني "في الدرر" من حرص على ضبط النقول وتحديدها، ورد كل كلام الى صاحبه .

وكان يعتمد المصادر الشفوية : فقد لاحظنا في ترجمته للسهيلي انه اثار مسالة علاقته بسيدي ميمون الصحراوي ضجيعه (لا يفصل بين قبتي الضريحين الا السور : الاول خارجه والثاني داخله) .

ويتداول سكان المدينة روايات مختلفة في الصراع الذي كان محتدما بين الرجلين، والمستوى العلمي الذي كان عليه كل منهما .

فعن المسالة الاولى قال (هذا لايبعد ان يكون باطنا لان كرامة الاولياء حق . واما ظاهرا فالواقع يكذب ذلك) . وعن المسالة الثانية يرد ما قيل من ان الصحراوي كان من حفاظ الحديث، وانه من شيوخ عياض وينتهي الى القول (ليس لسيدي ميمون ما عند الامام السهيلي من العلم)(141).

5) كانت هذه المناقشة الاخيرة من الحالات النادرة التي ابدى فيها المؤلف وجهة نظره بعد مناقشة الموضوع، وطرح الاشكال، اذ يقوم منهجه في الكتابة على النقل والتلخيص، وعرض الآراء كما صدرت عن اصحابها . ويكثر من اخبار الصلحاء وقصصهم وكراماتهم مما روي له او شارك فيه او رآه في منامه .

6) ان الاكثار من ايراد الكرامات والقصص الخرافية والايمان بقضاء رجالات مراكش للحاجات يعرب عن عقلية المؤلف المشبعة بالخرافة والاساطير، ويبرر تناقضاتها . فقد كان في مستهل الكتاب من

---

(141) بادرة الاستعجال 60 .

الداعين الى منع الزيارة سدا للذرائع، لما لها من تأثير في تقديس الاشخاص، ونشر الفساد.

وفي خاتمته يقول عن السهيلي (وقد زرناه مرارا والحمد لله فوجدناه ترياقا للحاجات)(142) وقدم لقصيدة في مدحه بقوله (من بوادره في الخير انني انشات ابياتا وذكرتها في ضريحه، فكانت الاجابة لنا اقرب من لمح البصر) (143).

هذه العقلية هي السائدة عند معاصريه من المؤلفين في تراجم الاولياء ومناقبهم، مثل محمد الامين الصحراوي وابن مريدة وابن المواز وغيرهم. وهي مظهر من مظاهر تخلف الدراسات الصوفية في المغرب.

اذا استثنينا ما قاله محمد الغالي عن المولى الحسن الذي جايله، وكان من خدام دولته، والنصوص الشعرية القليلة التي نظمها في سبعة رجال، او في بعض رجالات المدينة، لا نرى اي فضل آخر لكتاب "بادرة الاستعجال" فهو يبقى دون مستوى "درر الحجال" الذي ألّف قبله بمائة وستين سنة وعلى ما فيه من بتر ونقص.
وخيب بذلك أملنا فيه، اذ كلّفنا الحصول على صورة منه جهودا جبارة وزمنا غير قصير.

المطلب السادس – اظهار الكمال في تتميم مناقب اولياء مراكش سبعة رجال : لقاضي مراكش ومؤرخها عباس بن ابراهيم المراكشي. من مواليد مراكش سنة اربع وتسعين ومائتين والف. درس على علمائها محمد بن ابراهيم السباعي، والعربي بن علال البربوشي الرحماني، وعبد الرحمن بن القرشي وغيرهم. واجازه علماء آخرون خارج مراكش. مثل محمد القادري، ومحمد بن جعفر الكتاني، وعبد الكبير الكتاني، وغيرهم...

اشتغل بالتدريس بمساجد مراكش ابتداء من سنة تسع عشرة وثلاثمائة والف. وبعد ست سنوات من ذلك التحق بديوان المولى عبد الحفيظ. وصاحبه الى فاس. ولم يعد الى عمله السابق الا في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة والف.
وتقلد مهام القضاء في عدة مدن مغربية كالرباط وسطات والجديدة لينتهي به المطاف من جديد بمسقط

(142) بادرة الاستعجال 61.
(143) بادرة الاستعجال 69.

راسه، وليعود الي مهام التدريس والقضاء والافتاء . وكانت وفاته سنة تسع وسبعين وثلاثمائة والف، بعد حياة مليئة بالعمل والعطاء (144) .

له مؤلفات في الحديث والفقه والادب والتاريخ . الا ان اهتمامه كان مركزا في التأريخ لمراكش، والتعريف باعلامها ليسد الفراغ الكبير الموجود في هذا الباب . فمؤلفات اكنسوس وابن الموازفي هذا الموضوع لم تصلنا . ووصلتنا مؤلفات اليفرني والصحراوي ناقصة، في حين لم يكن حظ مراكش وتاريخها وافرا في كتاب الكواكب السيارة لابن مريدة . . .

بدأ هذا الاهتمام بمنظومته (تنظيم درر الجمال، في مناقب اولياء مراكش سبعة رجال) . مطلعها :

يارب بالسبعة الرجال الابرار   اولي الصلاح ذوي الفلاح الاطهار

تقع في سبعة ومائة بيت . شرحها في كتابه اظهار الكمال في تتميم مناقب اولياء مراكش سبعة رجال . فتناول التاريخ الديني والعلمي للمدينة عبر [illegible] اعلامها وصوفيتها .

واهم كتب عباس بن ابراهيم في التاريخ و[illegible] كتاب (الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام) الذي اشتغل به خلال زهاء نصف قرن من سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والف الى تاريخ وفاته . عرّف فيه بخمسين وستمائة والف علم من الاعلام التي سكنت المدينة او حلت بها، اضافة الى مقدمة مطولة عن تاريخ المدينة وبناءاتها ومساجدها ومدارسها (145) .

اما اظهار الكمال - الذي يهمنا فقد الفه سنة خمس وعشرين وثلاثمائة والف . وطبع بعضه على الحجر بفاس سنة ست وعشرين وثلاثمائة والف . وهو في شرح منظومته السابقة الذكر . مهد له بمقدمة في فصلين :

- الاول، في ذكر قصائد تنوه بقدر الاولياء اوصافا وكرامات وتوسلات اورد فيه اربع عشرة قصيدة خمس منها من نظمه .

---

(144) انظر ترجمته في مقدمة الاعلام، ج 1 - عبد الوهاب بنمنصور الرباط 1974 .

(145) طبع بالمطبعة الملكية في 10 اجزاء بين [illegible] - 1967 .

- الثاني، في ترتيب سبعة رجال وذكر قصائد في مدحهم، وذكر سبعة رجال رجراجة . . . وما يتعلق بهم باختصار .

ويعتبر عباس بن ابراهيم اول مؤلف جمع كل عناصر الموضوع وحاول طرحها ومناقشتها . فقد كان يملك النسخة الوحيدة المعروفة لكتاب درر الحجال لليفرني (146)، والتي لم يتيسر لسابقيه ولا لبعض معاصريه الاطلاع عليها . لذلك تحدث عن اسباب تنظيم الزيارة وربطها بموقعة جبل الحديد وزيارة رجال رجراجة وهو اول من نسب العينية الى اليوسي (147)، لان سابقيه : اليفرني ومحمد الغالي وغيرهما لم ينسبوها له، وان كانوا قد اشاروا الى دوره في تنظيم الزيارة على عهد المولى اسماعيل واقباله على زيارتهم خلال اقامته بمراكش في مطلع القرن الثاني عشر، وذكر كذلك سبعة رجال الموقف، والزاوية العباسية، وسبعة رجال للاتكركوست بناحية مراكش (148) .

وناقش اشكالية الترتيب محاولا تبرير البدء بيوسف بن علي لانتسابه لليمن ولوقوعه قبلي المدينة، فعرض آراء سابقيه في الموضوع مع جمع ما قيل فيه من شعر (149) .
وعلى العموم يمكن القول ان اظهار الكمال هو اول كتاب يجمع عناصر الموضوع بكاملها، ويوضح مسالة الزيارة وما دار حولها من حديث لهذا سيكون المصدر الرئيسي لهنري دوكاستري في مقالته حول سبعة رجال مراكش (150)، ولگاستون دوفردان بعده (151) .
وسينحصر عملهما في توظيف معلومات اظهار الكمال وتنسيقها .

- منهج الكتاب: اتبع المؤلف المنهج التقليدي في شرح المنظومات والاراجيز، والقائم على سرد الابيات الخاصة بالولي ثم شرحها من خلال ثلاثة محاور :

---

(146) كانت بخزانة المؤلف وانتقلت عن طريق البيع الى خزانة خاصة بالرباط، ويلاحظ فرق بين النسخة التي تحدث عنها المؤلف، والنسخة التي وصلتنا (تزيد بالفصل 19) فهل هذا راجع الى سقوط هذا الفصل من النسخة بعد انتقالها الي ملكية خاصة او الي وجود نسختين ؟

(147) نسبها اليه في ص 21، واوردها في ص 24، من اظهار الكمال . طـ. حجرية .

(148) اظهار الكمال 31 .

(149) اورد تسع قصائد في الموضوع بين 24 و 31 .

(150) - Les 7 patrons se Marrakech . Hespéris 1924 T 4 1924 3ème tri pp . 245 - 304 .

(151) - Marrakech dès origines à 1912 pp . 571 - 575 .

1 - الاعراب، يوضح فيه مواقع الجمل، واعراب الكلمات، وما في البيت من تقديم او تاخير او حذف
2 - اللغة، يشرح ما فيها من كلمات غامضة، وغالبا ما يشرح الواضحة كذلك .
3 - المعنى، يلخص دلالات الابيات ومعانيها بعدما يكون قد شرح مفرداتها وينطلق من هذا المحور الاخير لعرض تراجم الولي الذي تتحدث عنه المنظومة نقلا عن المصادر التي ترجمت له الواحد بعد الآخر دون مراعاة لترتيبها الزمني، وقد بلغت المصادر المعتمدة في الكتاب زهاء اربعين ومائة مصدر. الا ان الاكثر ترددا هي : التشوف، وفيات الاعيان، جذوة الاقتباس، نفح الطيب، الدوحة، الممتع، يتيمة العقود الوسطى، المجد الطارف والتالد، الكواكب السيارة، السلوة . . .
تاتي بعدها الكتب المكملة كشروح الشفا، وشروح دلائل الخيرات والمؤلفات المعتمدة في موضوع الزيارة، او في التراجم الثانوية لان المؤلف ترجم لاصحاب المصادر الاساسية كالتادلي، والصومعي، وابن عسكر واليوسي، واليفرني . . .وغيرهم .

واهم ملاحظة يمكن ابداؤها على الكتاب غلبة طابعي التكرار والاستطراد عليه : ومرد التكرار اساسا الى طريقة عرض التراجم . فهو ينقل الترجمة من اولها الي آخرها من مصدر ما، ثم يتبعها بما ورد عن نفس الشخصية في مصدر ثان فثالث . . .واحيانا يكرر المؤلف نفس الترجمة بنصها دون ان ينتبه، او لعله كان يدرك ذلك ويتركه . ويتجلى هذا بشكل يلفت الانتباه في ترجمة السبتي المقتبسة من التشوف، فاعادها بنصها عدة مرات. وينتج عن هذا تضخيم الكتاب بدون طائل.
اما الاستطراد فآفة التاليف العربي على وجه العموم . وشرح المنظومة في حد ذاتها يوقع في الاستطراد، ويدخله في تفاصيل الشروح اللغوية، ووجوه الاعراب، واضرب البلاغة واوجهها :
وقد تناول في بداية الجزء الاول من الكتاب علم العروض فساقه باكمله بحورا وعللا وانواعا .
واستطرد الى الحديث عن التفريع والتضمين (152) والجناس (153) . وخرج من الحديث عن عياض والشفا الى الحديث عن السيرة النبوية واخلاق الرسول (154) .
كما استطرد الى الحديث عن العلم وفضائله، واصناف العلماء (155) . فلا يدخل الى صلب الموضوع

---

(152) من ص 36 الى 52 .
(153) من ص 83 الى 84 .
(154) ص 85 - 86 .
(155) ص 81 - 82 .

الذي هو الترجمة الا بعد احاديث مطولة لا علاقة لها بالموضوع في اغلب الاحيان .
ويظهر الاستطراد كذلك في التراجم الفرعية الواردة في الكتاب والتي يعقب بها -كما اسلفنا- على التراجم الاساسية، وهي تراجم لاصحاب المصادر المهمة، او تراجم الشعراء الذين مدحوا المترجم كاليوسي وابن ادريس العمراوي . . .

ومن الملاحظات كذلك جمعه لكثير من اخبار الصوفية والمجاذيب وكراماتهم المعقولة وغير المعقولة، المعتمدة على النقل من الكتب او على الرواية الشفوية او الرؤى . . . مع تصريح بالايمان ببركة الاولياء وقضائهم للحاجات الدنيوية . أكد ذلك غير ما مرة في هذا الكتاب (156) . الشيء الذي يبين عن طبيعة عقلية المؤلف الذي كان يتكلم في مشارف القرن العشرين .

مع هذا لا يخلو كتاب " اظهار الكمال " من اهمية :

- بالنسبة للتأريخ لظاهرة سبعة رجال في التصوف : فهو اول من استجمع كل عناصر الموضوع، وحاول الخروج منها بنتيجة واضحة .

- انه ديوان شعر صوفي مهم يجمع بين دفتيه ازيد من خمسين ومائة والف بيت، منها عشرون ومائة بيت من نظم المؤلف في الزيارة ومدح الاولياء (دون عد ابيات المنظومة) .

- ان عملية النقل الكلي المباشر استخلصنا منها بعض الفائدة : ففي الكتاب جزء من الباب التاسع عشر من " درر الحجال " لا يوجد في النسخة الوحيدة التي وصلتنا . وفيه تقاييد عن ابي العباس السبتي لبعض معاصري المؤلف تعتبر مفقودة .
هذا بالاضافة الي نقوله من المؤلفات المخطوطة، التي يمكن ان تساعد على فهم خطوط بعضها، وخاصة تلك التي لا توجد منها الا نسخة كالارتحال والكواكب السيارة، وبادرة الاستعجال . . .
- وكتاب اظهار الكمال بعيوبه ومزاياه نموذج لسلسلة من الكتب التي الفت ما بين النصف الثاني من القرن الثالث عشر، والنصف الاول من القرن الرابع عشر، حول موضوع ظاهرة سبعة رجال الذي اخذ ابعادا كبيرة بعد وصول اصداء الحركة الوهابية الى المغرب . وصار فيها اصحابها - بعقلية متقاربة - في اتجاه معاكس لهذه الحركة .

(156) انظر نموذجا من هذا الاعتقاد في ص 103 .

- بين اظهـار الكمال، والاعـلام بمن حل مـراكش واغـمـات من الاعـلام : للمـؤلـف : الف عباس بن ابراهيم كتـابه الاعلام باشارة من الشيخ عبـد الحي الكتـاني الذي اقتـرح عليـه ذلك في تقريظه لكتابه اظهار الكمال. وقد بدأ على الفور بجمع مادته والتحمس للموضوع وشغله طيلة حياته وقد صدرت فكرة الكتـاب قبل ذلك عن محمد الامين الصحراوي الذي كـان ينوي التـعريف بمن دخل المدينة من العلماء في كتـابه " الارتجال " بالاضافة الى التعريف بسبعة رجال . الا انه لم يكتب من كتابه - كما نعرف - الا المقدمات الطويلة .

ويعتبر "الاعـلام" اهم مؤلفات عباس بن ابراهيم : بالعدد الهائل من التراجم التي يحتوي عليهـا (خمسون وستـمائة والف)، وبما يضم من نصوص شعرية ووثائق ومستندات وتقاييد دفينـة واحيانا كثيرة غير منشورة . فهو موسوعة مهمة في تاريخ المدينة العلمي والروحي والاجتماعي، ومصدر من التاريخ السياسي والاجتماعي للمغرب على وجه العموم .

الا انه لا يضيف جديدا الى الموضوع الذي نحن بصدده، وهو ظاهرة سبعة رجال، ذلك لان المؤلف لم يحمل نفسه عناء تجديد التراجم او تغييرها، وانما نقلها بنصها من اظهار الكمال، سيرا على منهجه في النقل الحرفي المباشر من الكتب مع التصريح بذلك في مقدمة الترجمة (قلت في اظهار الكمال) و (جاء في اظهار الكمال) . والاشارة الى انتهاء النقل بمثل قوله (انتهى ما قصدناه من اظهار الكمال) . . . ونادرا ما يضيف اليها معلومات قليلة .

وهكذا فالكتاب منقول بكامله في الاعلام :

- المقدمة مع ترجمة يوسف بن علي	- الجـــزء العـــاشـــر	من ص 311 الى 388
- القـــاضي عـــيـــاض	- الجـــزء التـــاسع	من 319 الى 397
- ابو العـــبـــاس الســبـــتي	- الجـــــــزء الاول	من 234 الى 324
- مـحـمـد بن سليـمـان الجـزولي	- الجـــزء الخـــامس	من 40 الى 102
- عـــبـــد العـــزيز التـــبـــاع	- الجـــزء الثـــامن	من 413 الى 432
- عـــبـــد الله الغـــزواني	- الجـــزء الثـــامن	من 235 الى 266
- عـــبـــد الرحـــمن الســـهـــيلي	- الجـــزد الثـــامن	من 60 الى 81

وبهذا فان كتاب " الاعلام " لا يضيف اي جديد للموضوع الذي يهمنا .

- المطلب السابع - السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية : لمؤلفه محمد ابن محمد بن عبد الله المسفيوي المراكشي الشهير بابن المؤقت .

من مواليد مراكش سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة والف بحي من اقدم احياء المدينة "زواية الحضر" . كان والده فقيها عالما، ومؤقتا بمسجد ابن يوسف . وهو المسجد الذي تقتدي به كل مساجد المدينة في الاذان . درس على علماء المدينة، ومنهم والده . ونهض بعده بمهمة التوقيت بنفس المسجد . وعاش في شبه خلوة اختيارية مهتما بالتدريس والتوقيت والتاليف .

كان درقاويا، فتحي الطريقة، جمع كثيرا من التصليات التي يرددها الصوفية . وتصليات ألفها والده، وشيخه فتح الله بناني، واخرى الفها بنفسه في كتابه " ميزاب الرحمات". ذكر له عبد العزيز بنعبد الله أزيد من ثلاثين مؤلفا . ويعتقد انه الف اكثر من هذا العدد . فقد كان كثير الكتابة والتقييد متفرغا لذلك . واغلب هذه المؤلفات في التاريخ والتراجم . واهتم على الخصوص بتاريخ المغرب ومدينة مراكش .

توفي ابن المؤقت سنة تسع وستين وثلاثمائة والف (157) .

وكتابه " السعادة الابدية " هو اهم مؤلفاته، عرّف فيه بمشاهير الاولياء والعلماء المدفونين بمراكش . وقد نهج في ذلك منهج سابقه محمد بن جعفر الكتاني في (سلوة الانفاس، ومحادثة الاكياس، فيمن اقبر من الصلحاء بمدينة فاس) .

فرغ من تأليفه سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة والف . وطبع على الحجر بفاس في السنة التّي بعدها .

ويشتمل على :

أ) المقدمة : في فوائد التاريخ الدنيوية والاخروية واهميته وفوائد التعريف بالعلماء والاولياء . وتحدث فيها كذلك عن بناء المدينة وبيان وصفها وعدد مساجدها وجوامعها ومدارسها وزواياها وبعض ما قيل فيها من اشعار . وذيل الجزء الثاني من الكتاب بتكملة لهذا الموضوع وقف عليها بعد طبع الجزء الاول منه . وهي عبارة عن تقييد لابي سالم العياشي بن ابراهيم الكرناوي المراكشي حول تاريخ بنايات مراكش .

---

(157) انظر في ترجمته الموسوعة المغربية 2 / 127 - 128 .

2) مقصد : في التعريف بمشاهير الاولياء المدفونين بالمدينة . وقد راعى في تصنيفهم ترتيب زيارة سبعة رجال مراكش، وهو بذلك يطبق مفهوم الزيارة كما اراد لها واضعوها اول مرة، اي اعتبار كل علم منهم محطة يقوم الزائر بزيارة ما حولها من مشاهد واضرحة فينطلق منها الى المحطة الثانية ويكرر عمله السابق، وهكذا الى الاخير . . . لهذا قالوا بان المقصود بالسبعة الكثرة اي زيارة اكبر عدد ممكن من اولياء المدينة .

وجاء ترتيب الكتاب كالتالي :

بدأ بباب اغمات (حيث يوسف بن علي / الاول) .

فباب ايلان (حيث القاضي عياض / الثاني) .

فحومة ابن صالح، فالسبتيين، والموقف، وباب الدباغ، وباب الخميس، وحومة الزاوية العباسية (حيث ابو العباس / الثالث) .

فحومة سيدي بنسليمان (حيث الجزولي / الرابع) .

فباب دكالة، فحومة سيدي عبد العزيز (حيث التباع / الخامس) .

فحومة القصور (الغزواني / السادس) .

فحومة الكتبيين وباب الرب (السهيلي / السابع) .

تتخلل ذلك احاديث عن الموضوعات التي كانت تشغل الناس في عصر المؤلف .كالزيارة ومشروعيتها وآدابها وفوائدها .

والعلم واهميته وحدوده . واما الذين جمع اخبارهم وعرف بهم فممن (شرفت سيرته، وطابت سريرته، وحمدت احواله، واعترف بحسن طويته امثاله) .

اما سبب الاهتمام بهذا الموضوع فعائد الى (ما في ذلك من الفوائد الجمّة، واغتناما لما ورد في الاثر عن سيد البشر (صَ)، حيث قال : من ورخ مومنا فكانما قد احياه، ومن قرا تاريخه فكانما رآه، ومن زاره فقد استجوب رضوان الله) . ولان (الاعتناء باخبار اهل العلم والصلاح من اعظم القربات واعلى وجوه الربح والفلاح) (158) .

ويلاحظ المؤلف ان غالب الناس لا يهتمون بالتاريخ ولا باثبات مفاخر ذوي المروءة واليقين

---

(158) السعادة الابدية 1 / 3 .

وهذا عنده مخل بحقوق الدين، وهفوة عظيمة في جانب المتقين . لهذا فالواجب علينا معشر الامة المحمدية القائمين بشعائر الملة الاسلامية ان نعتني بضبط احوال من شهّره الله في الموقت رحمة بالامة، وترغيبا في فعل ما يقربها من الله (159) .

واعتبـــاره التعريـف بمن شهـره اللـه واجبا دينيا يفســر غلبة التراجـم والتــاريخ على انتــاج ابن المؤقت .
واضاف الى التراجم الواردة في المصادر القديمة عددا ممن ادركهم من اهل وقته، فصار كتابه عمدة في التعريف بهم .

وحدد موضوع الكتاب تحديدا جغرافيا دقيقا، فاشار الى انه سيتتبع المشاهد المشهورة بالمدينة بابا باباً، حسب ترتيب الزيارة آخذا بعين الاعتبار المشاهد الموجودة على بعد نصف مرحلة من المدينة : كرجالات اغمات وتمصلوحت وكيك . . . فبلغ عدد المترجم لهم خمسين وثلاثمائة شخص .

3) الخاتمـــة : عرّف فيها بشيخه وشيخ الطريقة الدرقاوية الفتحية فتح الله بناني، وكأنه يصل القديم بالحديث، فينتهي من صوفية العصور السالفة الى كبير الصوفية المعاصرين له .

- قيمـــة الكتاب :

1 - لا يكتفي ابن المؤقت بالترجمة لسبعة رجال مراكش كما فعل اليفرني وابن مريدة ومحمد الغالي وغيرهم . . . فكتابه هو الوحيد الذي طبق الزيارة بمفهومها الواسع، بالوقوف على الاولياء الموجودين في مدار سبعة رجال، ومساعدة الزائر على معرفة الكثير عن حياتهم وعلمهم وكراماتهم . . .
وبذلك يكون المؤلف متاثرا بالظاهرة اكثر من غيره من مؤلفي التراجم .وهذا ما يعطي الكتاب طابع التكرار والتميز خلافا لما ذكره بروفنصال من انه (ليس سوى محاكاة باهتة لسلوة الانفاس) (160). فهما يلتقيان في الاهتمام بمن اقبر من العلماء بفاس ومراكش الا انهما يختلفان من حيث المنهج وطريقة عرض التراجم .

(159) السعادة الابدية 1/3 .
(160) مؤرخو الشرفاء 275 .

2 - وهو ديوان شعر : يضم ازيد من الف بيت اغلبها في الشعر الصوفي بالاضافة الى تسع قصائد زجلية في نفس الموضوع .

3 - عرف ابن المؤقت بانكبابه على القراءة والتاليف، فقد ذكر في السعادة الابدية زهاء خمسين مؤلفا وتقييدا من تصنيفه .
واورد في آخر الكتاب بعض المصادر الاساسية المعتمدة في التاليف، بلغ عددها اربعين مصدرا، يضاف اليها ما سماه كناشات العلماء الثقات .

وكان يمهد لكل ترجمة من تراجم سبعة رجال بسرد المصادر التي تناولتها زيادة في التاكيد. الا انه لم يكن في اغلب الاحيان يميز بين كلام هذا المؤلف او ذاك، وانما يتصرف بالتلخيص والاختصار، مدمجا مضامينها .

ويتبين من تراجمه لسبعة رجال ان معلوماته عنهم لا تخرج عن :
- التشوف بالنسبة لابي يعقوب الصنهاجي .
- القلائد ووفيات الاعيان بالنسبة لعياض، مع اضافة اهتمام المتاخرين بالشفا، والتقاريظ التي قيلت فيه وشروحه .
-الترجمة الملحقة بالتشوف بالنسبة للسبتي، مع اضافة القصائد التي قيلت في مدحه فيما بعد (ابن ادريس خاصة)
- وكان ممتع الاسماع اهـم مصادره بالنسبة للجزولي والتباع والغزواني . لهـذا يمكن القول بان ابن المؤقت قد اكتفى بتلخيص المعلومات المعروفة من قبل عن اقطاب مراكش .

4 - ولعل الجديد في الكتاب هي التراجم التي جايل ابن المؤقت اصحابها ونقل عنهم، او نقل عمن لقيهم، لذلك ذكر بعد ايراد المصادر انه اعتمد (المسموعات التي صحت عندنا . . .)
تجاوز عدد هذه التراجم السبعين، منهم والد المؤلف، وعلي بن الفاضل السرغيني، ومحمد بن ابراهيم الهسكوري، والمدني بن عبد السلام الهواري، ومحمد بن عبد الواحد القادري، والعربي بن مبارك السرغيني، والعباس بن محمد المسفيوي، وغيرهم . . . وكذا الاحداث التي عاصرها المؤلف والتي يشير اليها باختصار بين الفنية والاخرى .

5 - وأخَّر الحديث عن تنظيم الزيارة الى المقصد . فتناول الموضوع باختصار شديد، ولم يوله ما اولاه اياه الكُتّاب قبله من اهمية . ولعل السبب راجع :

- الى انه لم يتيسر له الاطلاع على "درر الحجال" الذي يعد اول من طرح الموضوع بتفصيل . فلم يرد ذكره في الكتاب الا مرة واحدة في ترجمة اليفرني عند سرد لائحة مؤلفاته .

كما انه لم يطلع على "الكواكب السيارة" ولا على "بادرة الاستعجال" ولا على "اظهار الكمال" فكانت معلوماته في الموضوع هزيلة .

6 - وعلى العكس من هذا كان حديثه عن تاسيس مراكش وتاريخها العمراني والعلمي غنيا جدا . فقد وظف قراءاته الواسعة في التاريخ وما جمعه من تقاييد من تاليفه او من تاليف غيره حول مساجد المدينة ومعاهدها وزواياها ودورها . . . واضاف الى ذلك مشاهداته ومروياته فجاءت مقدمة الكتاب (والتذييل) من اهم ما كتب عن تاريخ المدينة . وسيكون من المصادر الاساسية لدوفردان وغيره من الذين اهتموا بكتابة تاريخ مدينة مراكش .

7 - ويؤرخ الكتاب كذلك للحركة العلمية والصوفية بالمدينة منذ تأسيسها الى عصر المؤلف، فيذكر اسماء علمائها ومدارسها والعلوم التي كانت تدرس بها والمؤلفات التي الفها هؤلاء . والعلاقات الثقافية بين المدينة وغيرها من المدن المغربية وباقي البلدان .فبعض العلماء هاجروا الى مراكش من مدن مختلفة، في حين غادر علماء منها مدينتهم الى مراكز ثقافية اخرى . ولا ينسى المؤلف الاشارة الى الزوايا (المنتمية الى طرق مختلفة) التي توجد بالمدينة، ويتحدث عن اتباعها ومريديها واذكارها وشيوخها . وصوفية المدينة على العموم واخبارهم وكراماتهم، حتى انه ليمكن اعتباره بحق مصدرا مهما من مصادر التاريخ الاجتماعي لمراكش خلال عدة قرون من حياتها .

- خاتمة الفصل :

السؤال الذي نرى طرحه في آخر هذا الفصل هو : هل اسهمت هذه المؤلفات في تطوير البحث حول التصوف عموما، والظاهرة التي تهمنا خصوصا ؟

يمكن القول بكل موضوعية ان اهتمام مؤلفيها كان منصبا على التعريف بالرجال وسرد كراماتهم وبعض اقوالهم وما قيل في مدحهم من آثار - دون ان تهتم بالتصوف في حد ذاته - او

بطرقهم الصوفية ومذاهبهم وجهودهم في افادة مريديهم، ومساعدتهم على التدرج في مقامات التصوف . لذا خلت هذه المؤلفات من الحديث عن الاحوال والمقامات ومراتب الصوفية، وعلى العموم خلت من دراسة الظاهرة الصوفية . اللهم ما كان من الاشارات المختصرة لمذهب السبتي في الجود والصدقة . ونكون قد افتقدنا صنفا من التاليف الذي ظل مزدهرا الى آخر القرن العاشر : وجدناه عند ابن العريف في محاسن المجالس، وعند ابن تجيلات في اثمد العينين، وابن البناء في مراسم الطريقة وزروق في مؤلفاته، والغزواني في كتاب النقطة . . . بل ولم تكن هذه المؤلفات ضمن المصادر المعتمدة عندهم . وانما مالوا الى ترديد ما ورد في بعض مصادر التراجم والطبقات التي سبقتهم مع اضافة ما استجد في الموضوع من اقوال وامداح في المترجم لهم .

ولم تسلم مؤلفاتهم من عيوب اخرى :

- كالاستطراد الذي يدفعهم اليه شحّ المادة حينا ، فيملؤون الفراغ بموضوع قريب. او ميولهم الخاصة الى موضوعات معينة، فيتصيّدون الفرصة الى اثارتها والاسترسال فيها الى حد الانفصال عن الموضوع الاساسي . ويصل الامر احيانا الى درجة الازعاج عندما تصبح ثلاثة ارباع الكتاب من باب الاستطراد . ويكون ذا اهمية في حالات قليلة، وذلك عندما يسجل وثيقة ضاع اصلها ، او جزءا من كتاب لم يحفظه لنا التاريخ .

- وكالتكرار الممل الذي نصادفه عند بعض المؤلفين الذين يعمدون الى ترديد التراجم من اولها الى آخرها ، دون الانتباه الى انها ترجع في الاصل الى مصدر واحد او الى مصدرين، وانهم انما يكررون نفس الكلام . وقد اسهم عامل الضياع او البتر او النقص في تشويه الصورة التي وصلتنا عليها هذه المؤلفات : فبعضها لم يكمله اصحابه اصلا (درر الحجال / الارتجال) وبعضها الآخر ضاع بكامله (مؤلف ابن الموازِ) .

- وهذا لا يعني اننا نجردها من كل قيمة:

- فلا احد يجادل في قيمتها التاريخية :

. فهي امتداد لمؤلفات صارت على نفس النهج (الاهتمام بالرجال اكثر من الاهتمام بالطرق) كالتشوف والمقصد الشريف، والدوحة . . .

- وهي شاهد على التحول الذي عرفه التصوف المغربي بدءا من القرن الثالث عشر الهجري من تصوف سني يسير على خطى الجنيد والشاذلي والجزولي الى تصوف منحرف فارغ المحتوى، يهتم بالزيارة وطقوسها، ويناقش قضايا عديمة الاهمية كاخذ تراب الاضرحة وطرق السلام على الاولياء، وحكم التصدق، وقراءة القرآن عند القبور . . .الى غير ذلك .

ويتجلى هذا الانحراف في مواقف الكتاب انفسهم، فهم على عكس ما كان عليه الصوفية السنيون، يتخذون مواقف سلبية من اعمال الشعوذة والمجاذيب (اليفرني)، او يصرحون بايمانهم بان الاولياء يعطون ويمنعون، وانهم جربوا ذلك بانفسهم (ابن مريدة، ومحمد الامين الصحراوي، ومحمد الغالي بن المكي، وابن المؤقت، وعباس بن ابراهيم) .وتعكس هذه المؤلفات العقلية السائدة بالمغرب خلال الفترة المشار اليها . فاذا كان الفقهاء والمؤلفون على هذا القدر من الانحراف فلا مجال للشك فيما كانت عليه بقية طبقات المجتمع، والعامة .

ولعل الحركة التي ذاع صيتها في عصر المولى سليمان كان من جملة اهدافها تقويم هذه الاوضاع واصلاحها . الا ان تعدد المشاكل وعمقها والتحولات الجذرية التي ستعرفها اوربا وبعض مناطق العالم على الصعيدين الاقتصادي والصناعي بدخول عهد جديد مع حلول القرن التاسع عشر، كانت وراء فشل هذه المحاولات . فبقي الناس منشغلين بامور الزيارة، وانتظار استجابة الولي، دون الانتباه الى الخطر المحدق بالبلاد، وهو خطر الاستعمار .

- ويجب الا ننسى قيمتها الموضوعية : فبعض مؤلفيها عاصروا احداثا او رَوَوْا عمن عاصرها، فاصبحوا حجة ومصادر لايمكن تجاهلها او اغفال أهميتها، كما هو الشان بالنسبة لمؤلفي درر الحجال، ومقدمة الارتجال، والسعادة الابدية . . .

يضاف الى هذا ما حفظه بعضها من وثائق ونصوص فريدة .

اذا كانت هذه المصادر لم تطور البحث في موضوع التصوف، فان لها فضل اغنائه بكثير من النصوص والوثائق والتقاييد والشهادات المهمة .

خاتمـــــة الكتـــاب

كانت للاحداث التي عرفها المغرب منذ اواخر القرن الحادي عشر للهجرة، وعلى امتداد القرنين المواليين (لانعدام الامن، جور الولاة، احتـلال الاجانـب للشواطئ، احتـلال الجزائـر، حـرب تطوان . . .) انعكاسات عميقة على مستوى الادب والفكر :

- فـالشعـر وان مس مـختلف الاغراض من مـدح وهجاء وغـزل .. . فـالظاهر ان الروح الدينية طغت عليه بشكل متميز وبارز، وذلك اعتبارا للدور الذي نهض به الفقهاء والصوفية ازاء هذه الاحداث . والذي يتجلى في بروز تيارين متكاملين وان بدا عليهما بعض التناقض في الظاهر :

- تيار المقاومة، ظهر في انتاج عدد من الشعراء / الفقهاء في رفض الاحتلال الاجنبي والدعوة الى تحرير المدن الشاطئيـة، وخاصـة العرائش) واستنكار احتـلال الجزائر ووصف مـعاناة المستضعفين المحتلين ودعوتهم الى التعاون والتضامن والنهوض للجهاد .

- التيار الصوفي التوسلي : تدمج فيـه الامداح النبوية وامداح الملوك (غـالبـا مـا تضم القصائد الغرضين معا) وقصائد التوسل بالصحابة والاولياء . . . وتتضمن بعض اشعار هذا التيار دعوات لمناهضة الاستعمار والظلم كذلك، الا ان اغلبها مركز حول محاسبة النفس واعتبار ما آلت اليه اوضاع المسلمين عقابا الهيا لإعراضهم عن قيم الدين وأوامره، وتقصيرهم في اداء واجباتهم الدينية. فالغاية من هذا التيـار في العمق تقوية النفوس واصلاحها من الداخل لتتوفر لها من العزيمة والقوة والثقة ما يمكنها من مواجهة الاوضاع المستجدة بما يلزم من حزم . وكذلك طلب العون والهداية من الخالق لبلوغ هذا الهدف .

الا ان اختلاف مستويات الشعراء ثقافيا واجتماعيا . . . وما لحق التصوف من انحراف على يد بعض المدعين والمجاذيب والمرضى، اخرج هذا التيـار عن قصده السامي وحوّله الى طلب قـضاء الحاجات الشخصيـة والعـامـة ليس فـقط من الخالق، وانما من الاشـخاص الاحيـاء والامـوات الذين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا .

ويمكن ان نعتبر اغلب ما تعرضنا له من شعر قيل في سبعة رجال مراكش من هذا القبيل، سواء منه ماصدر عن شعراء/ فقهاء مثقفين، او ما صدر عن شعراء شعبيين من ذوي الثقافة المحدودة، او ما هو من قبيل الشعر الشعبي المتداول الذي لايُنتسب لشاعر معين .

هذا المد الصوفي الزاخر، وهذا التراث المتوارث الذي انتهى الى العصر العلوي، والذي عمّقته وقوته الاحداث السابقة الذكر جعلته عصرا لانظير له من حيث الطرق الصوفية وانتشار الظاهرة في المدينة والبادية والسهل والجبل، واختلاط السليم بالفاسد، والنافع بالمضر . . .

فكان من الطبيعي ان تظهر على المستوى الفكري محاولات تقويمية اصلاحية مثل الدعوة الى الرجوع الى الاصول (مدرسة الحديث) او الدعوات السلفية الوهابية . ولكن بدون جدوى، لان قوة المد الصوفي كانت لها جذور عميقة راسخة، لذا فانها صبغت حركة التاليف بصبغتها الخاصة كما راينا :

- ظل منهج التاليف مركزا حول الشروح والحواشي والتعليقات والمنظومات في ميادين التفسير والحديث والفقه . وقد كان المنحى الصوفي واضحا في بعض مؤلفات التفسير والفقه وحتى النحو (161)

- وتركز الاهتمام بخطاب كل طريقة صوفية وبرامجها وقوانينها (الاحزاب والأوراد) . فاعتبارا للتنافس الطبيعي بينها، ومحاولة كل واحدة جلب اكبر عدد ممكن من المريدين والاتباع . . .فانها كلفت شيوخها وعلماءها بوضع الاحزاب، وبعد ذلك شرحها والتعليق عليها وتوضيحها للمريدين وتقريبها منهم .ولما كانت للطريقة الجزولية الصدارة والاسبقية باعتبارها اصلا لكثير من الطرق واستمرارا للطريقة الام السنية الجنيدية الشاذلية، فان ما كتب عن احزابها وأوراد شيوخها وأذكارهم ومن سار على نهجهم . . . كثير ومتنوع وخصب لذا ركزنا دراستنا (الفصل الثاني) عليه .

- وكان لابد من الاهتمام بالتاريخ الصوفي (اصول الطرق، الاسانيد، الروايات، التعريف بالشيوخ والاتباع) . فنهضت الدراسات بالفعل بهذه المهام وسجلت بتفصيل اخبار كثير من هذه الطرق وعرفت باعلامها وعلاقاتهم بمعاصريهم من مختلف الطبقات، ومواقفهم من الاحداث التي عاشوها، مما يجعل

---

(161) انظر التفاصيل : اسماء الكتب ونوعية التاثير في كتاب التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية . لابراهيم حراكات . ط .الدار البيضاء 1985 . الفصل الثاني من القسم الثاني صفحات 250 الى 276 .

هذه المؤلفات تتجاوز القيمة الصوفية العلمية لتصبح لها قيمة اجتماعية وسياسية مع ما تضمنته من عيوب منهجية .

وكان الاهتمام بالطرق والظواهر الصوفية على اختلاف انواعها وقد لمسنا ذلك من خلال تتبع نموذج المؤلفات التي صنفت عن ظاهرة سبعة رجال، وما اكثر ما صنف عن ظواهر اخرى، وفي مدن اخرى . . .

وبهذا فان الاهتمام بظاهرة سبعة رجال : شعرا ، ونثرا ، واحزابا ، واورادا ، ومؤلفات، وتراجم . . . يدخل في اطار حركة علمية تاليفية صوفية شاملة عرفها العصر العلوي الذي انتهى اليه التراث الصوفي الموروث عن باقي العصور .

الخـــــــــــاتمة *

* نختم بها الاطروحة ككل والتي طبعت في ثلاثة كتب :

1- الحركة الصوفية بمراكش

2- الآثار الادبية لصوفية مراكش

3- مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي (هذا الكتاب)

وبعد، فلقد ذيلنا كل فصل بخاتمة . وركبنا بينها في آخر كل باب . ومع ذلك نحاول في هذه الخاتمة العامة تكثيف النتائج التي توصلنا اليها :

كل المذاهب الدينية والتيارات الفكرية، والطوائف الصوفية سنية كانت او فلسفية او شعبية . . .وجدنا لها صدى في مدينة مراكش ومنها ما عرف الانتشار والازدهار بها . وهذا عائد الى ان جزءا كبيرا من التاريخ السياسي والفكري والاجتماعي للمغرب مرتبط بمدينتين : فاس ومراكش، حيث مركز القرارات، وموطن العلم ومقصد العلماء . . . وهذا لا ينفي ادوار باقي المدن والقرى في تاريخنا .

والظاهران دور مراكش كان اقوى، وحظها اوفر من زميلتها فاس . اهّلها لذلك .
- الفترات التي انفردت فيها بكرسي الحكم كانت اطول .
- موقعها في وسط البلاد خاصة عندما كان نفوذها ممتدا الى بلاد السودان، واقصى المغرب وبلاد الاندلس .
- وقوعها في ملتقى الطرق التجارية المتجهة الى كل الجهات شرقا وشمالا وغربا وجنوبا .
- ولعل هذا السبق هو الذي كان وراء تسمية المغرب كله " بمراكش " .

لهذا فان نشر دعوة، او تاسيس حركة بمدينة كمراكش تخولها فرصا اكبر للانتشار والنجاح. وهذا الاعتبار كان اساس اختيار المدينة دون غيرها لتنظيم زيارة سبعة رجال والدعوة اليهم، وذلك لصرف انتباه الناس عن زيارة اخرى (رجال رجراجة) استقطبت اهتمام الناس فاخذت المنطقة (جبل الحديد) تتحول من رباطات علمية صوفية الى مراكز لمقاومة السلطة، تجتذب الثائرين والخارجين على الحكم .
وزاد من خطورة الموقف مراقبة الاجانب للسواحل القريبة، وتحفزهم لتجاوزها الى الداخل (الحملة البرتغالية على مراكش).

وقد قدمت المدينة كل اسباب النجاح للمنظمين بما تحتضنه من اسماء علماء في مختلف فروع المعرفة، واصناف العلوم من الذين اقبروا فيها فكانت صعوبة الاختيار اكبر من صعوبة البحث عن الاسماء المناسبة ولا نريد الدخول في تفاصيل الاختيار، واسباب تنظيم الطواف على الشكل الذي

وضع فيه . . الى غير ذلك مما بسطناه بتفصيل في فصول الاطروحة . ولكن يهمنا ان نتعرف الى ما يمكن ان يوحد بين الاسماء المختارة، ويجعل منها مجتمعة " قوة " تضاهي " قوة " رجراجة (الذين التقوا بالرسول - حسب زعم اتباعهم - وحملوا الى المغرب رسالة الاسلام) وقادرة على التغلب عليها وتهميشها واحتلال مكانها .

وتبدو المهمة صعبة لذلك نسبتها المصادر لعالم المغرب المشهور الامام اليوسي . وقد اثبت البحث ان الزيارة قد نظمت قبل التاريخ المزعوم بحوالي نصف قرن .

الا ان الوثائق لم تفصح عن اسم المشرف على التنظيم . وكانت بليغة عندما وسمته " بالعالِم فيهم " ليكون في مستوى المهمة الصعبة التي انتدب لها .

وهناك روابط بديهية سطحية استنتجها المؤرخون بالنظر الى الاسماء المختارة مجتمعة :

- انهم اقبروا بمراكش .

- اصلهم العربي حتى تكون زيارة رجال عرب ناسخة لزيارة رجال من البربر، وركز منهم على العنصر اليمني الذي كوّن اغلب جيش الفتح الاسلامي للمغرب لمواجهة مسألة ادخال رجراجة الاسلام الى المغرب .

فمن جهة لم يكن الصراع البربري العربي مطروحا زمن التنظيم، ومن جهة اخرى كانت علاقة هذه العناصر بالاصول العربية ضعيفة وبعيدة، ولانصارهم في اوساطهم الجديدة : بسبتة، مراكش . . . الدليل على ذلك ان احدهم (وهو الجزولي) تسابقت اليه القبائل البربرية وتبعت طريقته، بل وتحاربت الشياظمة وحاحا طويلاً لامتلاك التابوت الذي يضم رفاته .

اذن فالمسالة اعمق من ذلك بكثير .

ان الشخصيات المختارة من اصحاب الرسائل الذين التف حولهم الناس وتبعوهم وساندوهم، وفي اختيارهم اعادة الى تلك المواقف وتذكير بها وخاصة منهم (عياض) راس المالكية في عصره، والمناضل من اجل المذهب . والسبتي صاحب منهب اجتماعي لفت اليه الانظار، وتميز به في عصره وبعد عصره .

والجزولي والتباع والغزواني من اقطاب التصوف في عصرهم، الذين اشتهر امرهم في انحاء العالم الاسلامي، ونهضوا بادوار سياسية واجتماعية وتربوية في المناطق التي كانوا يعيشون فيها .

- وقد تبين من خلال دراسة آثارهم انهم يلتقون مع المنظمين عند نفس الهدف : الوحدة والتوحيد .

فقد سعى منظم الزيارة، ثم مجددها بعده، الى معالجة مظاهر التفرقة والتشرذم التي كانت تعرفها البلاد :

على المستوى السياسي والعسكري (ظهور الثوار بالجنوب، دويلات في بعض المدن والمناطق، والاجانب على الشواطئ) .

والمستوى الديني، الحد من سيطرة الزوايا، واختلاف شيوخها، وائتمار الناس بامرهم .

سعت هذه الشخصيات الى تحقيق وحدة الامة المغربية الاسلامية بمواقفها وآثارها الفكرية والادبية :

- فقد قصد عياض بشعره وشفاه تكريم النبوة ورد الاعتبار اليها في ظرف انتهكت فيه حرمتها من طرف دعاة خارجين عن الدين، والحفاظ على وحدة الامة بالدفاع عن المذهب السني، ومواجهة الغلاة القائلين بعصمة الاشخاص .

- وهو نفس مقصد السهيلي الذي اتجه في شعره نحو تسنين التوسل بالاكثار من الاحالات القرآنية والحديثية ومزجها داخل النسيج التوسلي والدفاع عن وحدة الامة بتقرير الوحدانية وتعظيم الخالق، والدعوة الى نبذ الانقسامات، وترك الفتن والاضطرابات، بالرجوع الى الخالق والتماس فضله وعطائه، لهذا خلا شعره من آثار المذهب الموحدي التومرتي لما فيه من مبالغات وتهويلات ودعوة الى المهدوية وعصمة الاشخاص تكرس التفرقة .

- وعبر السبتي عن ذلك باسلوبه الخاص : الدعوة الى التعاون والتكافل الاجتماعي بتوزيع الصدقات ومساعدة المعوزين واليتامى والمعوقين والضعفاء فكان في بداية امره يشاطرهم، ما يملك (العدل)، وانتهى به الامر الى امساك الثلث وتوزيع الثلثين (شكر النعمة) وجاءت اذكاره لتدعم هذا الاتجاه وتقويه، فحثت على التآخي والتعاون والاكرام والطاعة .

- اما الجزولي والتباع والغزواني فقد كانت طرقهم شاذلية جنيدية سنية، يستهلون الحديث عن الطريقة بالتعريف بالاسلام واركانه، والايمان وشعبه باسلوب مبسط مفهوم للعموم، ويركزون على معرفة الذات الالهية بالاقرار بوحدانية الخالق، وتنزيهه والابتعاد عما عرفته بعض المذاهب والطرق من قول بالاتحاد والحلول . . .

ومن مظاهر محافظتهم على وحدة الامة انهم كانوا لا يقبلون مما يسمى بمناجاة الالهام (والشطحات) الا ما وافق الكتاب والسنة، ولم يتعارض مع الدين والشرع، فوفقوا بذلك بين الشريعة والحقيقة .

كما انهم اتجهوا في طريقتهم اتجاها عمليا : فاهتموا بتلقين الاذكار وتربية المريدين وتعليمهم الطاعة وتبادل الاحترام وتقدير العلم ونبذ الخلافات والتحزبات والمنافرات القبلية التي كانت متفشية بين الناس وجمعهم على صعيد واحد، وذكر واحد . . .

لهذا لقي اقطاب الطريقة (الجزولي، الغزواني) مضايقة من طرف بعض الحكام والولاة .

وتجلت محافظتهم على هذه الوحدة في الدعوة الى الجهاد وتقديمه على الزهد والورع، والى مواجهة الاجنبي الذي كان يهدد استقلال الامة ووحدتها .

وتميز الغزواني في فترات الجفاف والغلاء بالدعوة الى شق السواقي وحفر الآبار، واستصلاح الاراضي وغرس الاشجار، لانقاذ حياة البشر والحيوان .وهي دعوة سيحافظ عليها تلامذته ومريدوه في كل الارجاء .

وستكون اساس ما عرفته منطقة الحوز من خصب .

عبروا عن هذه الآراء باساليب ووسائل مختلفة :

- بالشعر، الذي خصصه عياض لمدح الرسول والتوسل به، وهو باسلوبه التقريري السردي، وخلوه من الايحاء والتضمين، وتوظيف الصور الشعرية المبتكرة اقرب الى النظم التاديبي (التعليمي) منه الى شعر ابداعي .ولعل هذا كان مقصودا كذلك، لما تضمنه من معلومات وفوائد عن السيرة النبوية (على غرار الشفا) كانت تقدم كجرعات مركزة للمتعلمين .

اما السهيلي فكان ينتمي الى بيئة شعرية مغايرة، وعاش ظروفا خاصة اثرت في شعره غاية التاثير . فقد كان يعيش ازمة نفسية وجسدية اذ خلف لديه عماه وفقره، واهمال الناس له ما يمكن تسميته بعقدة الذنب والخطا . ذلك الذنب الذي اقترفه الاخرون في حقه، وابى الا ان يحمله نفسه، فلم يجد بدا من اظهارذنبه وكشف عيبه، وطلب الغفران والشفاعة باسلوب يعبر عن هذا الهاجس والحيرة، ويفتقد التنظيم والتنسيق، اذ اطلق صاحبه العنان لنفسه تقول ما تشاء وتعيده في

تلقائيــة وعفويــة . فكان الخطاب السائد لديه هـو الخطـاب التوسلـي . معجمه ذو شقين :التعبير عمـا هو كائن (هواجس) ومـايؤمل ان يكون (خلاص) يدور محـوره حول ثنائيات الذنب / العفو، الفقـر / الفضل . . .

ومع الغزواني نجد اتجاها مخالفا لما سبق . انه ما كان يسميه الصوفية شعر المعاني، حيث تصبح اللغة الشعرية (واللغة عموما) متجاوزة عاجزة عن التعبير عن التجربة الصوفية باسرارها وغموضها وابهامها وتقلبها، فيلجا الصوفي الى وسائل اخرى لتبليغ ما يشعر به وايصاله للآخرين، قد يكون لغة لا تحترم القوانين اللغوية المسطرة في القواميس، وكتب اللغة . وقد تجمع بين العامية والفصحى او تكون عبارة عن اشارات وشطحات ورموز مفهومة حينا، وغير مفهومة حينا حتى من طرف الصوفي نفسه بعد افصاحه عنها .

ولم يكن شعر الغزواني كله من هذا القبيل - لحسن الحظ - فقد جاء ما يتصل بالطريقة وآدابها . . . واضحا . في حين لم يتسم منه بالغموض الا ما كان من قبيل الشطحات او مناجاة الالهام .

وقد جاءت كتابات الغزواني لتلقي الاضواء على هذا الصنف من شعره وتوضحه .

- بالكتابة الصوفية، والاذكار : جاءت الاولى للتنظير والتعريف بالاسس والقواعد (رسائل الجزولي، كتاب النقطة، ورسائل الغزواني) فقد حددت الطريقة ومعالمها واهدافها وشروط الانتساب اليها، وعلاقات المريدين بالشيخ، وآداب المريدين، والاذكار، والعهد، والمقامات . . . كل ذلك باسلوب وتنظيم يبينان على ان الكتابة الصوفية خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين لم تندثر في الغرب الاسلامي، وانما تذكرنا باعلام كتاب التصوف بالاندلس خلال العصور السابقة .

واما الثانية (الاذكار) فتاتي للتطبيق العملي والتربية الروحية اما بواسطة الشيوخ انفسهم او تلامذتهم وهي العهود التي تربط المريدين والوسائل التي تضمن معالجة المريدين والسمو بهم في مدارج المقامات سعيا وراء بلوغهم ما يسعون اليه من صفاء ومحو ومشاهدة . وقد تبين لنا من خلال الدراسة ان الاذكار في مجموعها تقتبس من القرآن والادعية الماثورة عن السلف الصالح وكبار الاولياء، الى جانب ادعية توسلية واوراد خاصة بكل شيخ . وراعى فيها اصحابها اسلوب آداب الاذكار : من وضوح العبارة، واشراق اللفظ، وجزالة المعنى، وايجاز، واعتماد بعض المحسنات كالتقابل والطبقات والجناس . . . لتكون معبرة مؤثرة آسرة باساليبها ومعانيها .

هذه هي الوسائل التي حقق بها سبعة رجال مراكش اهدافهم في الوحدة والتوحيد .

بقي ان نتساءل هل تحققت هذه الوحدة بالفعل بعد تنظيم الزيارة وتجديدها ؟ وما هي ابعاد ذلك ونتائجه على المستوى البعيد ؟

نرى من اللازم ان نقدم لذلك بتوضيحات ضرورية :

- لم تكن الغاية من التنظيم تشجيع الناس على زيارة القبور او الاعتقاد ببركة الاولياء وتاثيرهم بعد وفاتهم . . . بالرغم من ان شكليات الطواف والمرور باكبر عدد ممكن من الاولياء خلاله كانت من الامور التي اهتم بها المنظمون وسجلتها كتب التراجم والارجوزات الشعرية . . . بل كانت الغاية هي ما يرمز اليه سبعة رجال من سعي الى الوحدة والتوحيد، وما يمكن ان يترتب عن ذلك من الناحية النفسية على الخصوص، اي مقابلة شعور نفسي لذا رجال رجراجة بان قوتهم في تكتلهم حول رجالاتهم وما ينتج عن ذلك من صمودهم وصبرهم على الحرب ومواجهة الخصم كيفما كانت قوته المادية، بشعور نفسي مماثل لذا جيش محمد الشيخ ثم المولى اسماعيل، للرفع من معنوياته، وتجمع الناس حوله ومساندته .

لم يتحقق ذلك مع المنظم الاول، لان الدولة بلغت حدا من الضعف لايمكن معه للاولياء ولا لغيرهم ان يسعفوها ، فقد ظهر العلويون في الشرق، وتوزعت السلطة بين الزوايا في غرب البلاد ووسطها ، واقصى جنوبها وبين السعديين في الجنوب، مع مراقبة الاجانب للشواطئ، وانتشار الفوضى والاضطرابات والصراع بين ابناء المنصور وحقدته على السلطة وتدهور الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية . . .

في حين حققت اهدافها مع مجدد الزيارة لما كان يتوفر عليه من قوة وحنكة، خاصة بعدما وضع حدا لإلتجاء خصومه ومنافسيه الى المنطقة (سوس) وتاليب الناس عليه هناك . وحاول استئصال حركة رجراجة من جذورها بافتاء علمائه بعدم صحة صحبتهم، وقيام علماء لهم مكانتهم في المجتمع بالدعاية للحركة الجديدة من امثال اليوسي، ومحمد بن عبد القادر الفاسي .

الا ان ذلك لم يستمر طويلا : اذ انها اعطت نتائج عكسية فيما بعد . ولم تعد وسيلة لتحقيق الوحدة، وانما سببا في التفرقة . فلم تدرك مقاصدها الحقيقية . وتعلق الناس بالزيارة

واعتبروا تنفيذها سببا في قضاء الحاجات، بل لقد تعدى الامر عامة الناس الى ملوكهم وعلمائهم وخاصتهم .

وعبروا عن ذلك في قصائد شعرية ورسائل ومؤلفات، وفرت مادة ادبية غزيرة ذات اتصال وثيق بالموضوع .

وظهرت محاولات للتصحيح والتقويم خلال عهدي محمد بن عبد الله العلوي والمولى سليمان : فنظمت حملات واسعة لمحاربة الظاهرة التي اعتبرت وثنية جديدة يجب التخلص منها . الا ان تجذرها في النفوس افشل المحاولة، فلم يفلح العلماء الذين كلفوا بنشر الاتجاه السلفي الاصلاحي في اقناع المخاطبين وترجيح كفة هذا الاصلاح .

وادت عوامل اخرى الى تعميق الايمان بالاولياء وتقويته : منها ما ترتب عن نكسات عسكرية (دخل المغرب وخارجه)، واضطرابات سياسية قبلية، وكوارث طبيعية . فشعر الناس بالمرارة والخوف والعجز، واتجهوا الى الاولياء لحمايتهم ونصرتهم، وسلموا لهم امورهم .

وكان لهذا اثره العميق في الادب، شعرا ونثرا وتاليفا .حتى ان العصر العلوي قد تميز بغلبة الاتجاه الصوفي على ادبه :

- قيل شعر كثير، مدرسي وشعبي (ملحون، مرددات واغان شعبية) في مدح الاولياء والتوسل اليهم وطلب حمايتهم ومساعدتهم في قضاء الحاجات وتحقيق الرغبات الدنيوية . وكان حظ سبعة رجال مراكش من هذا الشعر كبيرا بعدما تم لفت الانظار اليهم، وتسليط الاضواء عليهم، واقدام السلاطين وكبار العلماء على الطواف باضرحتهم والتماس بركتهم .

وتميز هذا الشعر بالصدق والافصاح عن مشاعر حقيقية لا زيف فيها . فكان متقاربا من حيث مضامينه ومعانيه . الا انه لم يكن من نفس المستوى من حيث التعبير والابداع لانتمائه الى فئات اجتماعية مختلفة، منها الشاعر والفقيه والعالم، ومنها ذوو الثقافة البسيطة المحدودة .وان من شان هذا الشعر الغزير الصادق ان يكمل الصورة الادبية للعصر العلوي الى جانب باقي الاغراض : مدح الملوك، شعر الطبيعة . . .

- وعندما ينشغل الناس بالتصوف والاتجاه الى الاولياء يزدهر نثر فني خاص هو ادب الاذكار

والاوراد والدعوات . . . وهي الاساليب التي يخاطب بها الاولياء، وتعرض بها الحاجات . كما تزدهر حركة التاليف والترجمة لهؤلاء الاولياء لعرض سيرهم وطرقهم، والاستئناس بكراماتهم . . .
ومن الصعب الاحاطة بكل الاذكار والادعية والتصليات المتاثرة بالظاهرة التي تهمنا : لذلك اكتفينا بتتبع ما كان منها متاثرا بكتاب من اهم كتب الاذكار في العالم الاسلامي وهو " دلائل الخيرات".
وقد تبين لنا انه لقي عناية كبيرة، فكتبت المؤلفات في ادب قراءته وفي شرحه وترجيزه والتعليق عليه وسارت اخرى على منواله، ولخصت صلواته واقتبست منه . . . حتى انه ليمكن القول - بحق - بان دلائل الخيرات كان سببا في بروز حركة تاليفية واسعة النطاق على امتداد خمسة قرون . وما نشر منها قليل جدا، فهي مازالت حبيسة المكتبات العامة والخاصة .

وهذا الادب مع غزارته ودوره في نشر اللغة العربية بين الاوساط المسلمة التي لا تتكلمها لم ينتبه الباحثون بعد لدراسته وابراز خصائصة .ويعتبر تحليلنا لدلائل الخيرات، وتعقب تاثيره في ادب الاذكار من اول المحاولات في هذا الباب .

وواكبت هذه الظاهرة حركة تاليف وترجمة لاعلامها وذكر سيرهم وطرقهم . . . وهي مع اختلاف كتبها منهجا واسلوبا ومضامين تكون شاهدة على تردي مستوى التاليف الصوفي في هذا العصر . فقد خلا منها ما وجدناه عند الجزولي او الغزواني من حديث عن المقامات والاحوال وآداب المريدين والمعرفة الصوفية . . وغلب عليها الحديث عن الزيارة وآدابها والمجاذيب واخبارهم وكراماتهم، مع ميل الى الاستطراد البعيد عن الموضوع، والتكرار الممل وهي دلالة على التحول من تصوف سني الى تصوف شعبي . الا انها مع ذلك لا تخلو من اهمية وفائدة لما تحتويه من وثائق فريدة وشهادات شخصية مفيدة، خاصة بالنسبة للفترات التي عاصرها مؤلفوها .

لقد كانت اهداف منظمي طواف سبعة رجال مراكش سياسية بالاساس، ولعلهم لم يكونوا يدركون ان عملهم هذا سيؤدي :
- الى تحول في المذهب الصوفي، وفي اساليب الكتابة الصوفية .
- والى ظهور هذا الادب الغزير في التوسل والاستعطاف والاذكار والادعية والتصليات، يتسم بالصدق والعفوية ويصور مشاعر فئات اجتماعية عريضة . وآمالهم ومخاوفهم وطموحاتهم، الشيء الذي جعله بحق يفتح صفحة جديدة من صفحات الادب المغربي تكون هذه الاطروحة قد نبهت اليها

وعرفت بها ، على امل ان تخصّص لها دراسات مفصّلة مستقلة في المستقبل .

اشارات موضحة لفهرس المصادر والمراجع

1 - المصادر مرتبة ترتيبا معجميا بحسب اسماء المؤلفين .

2 - ميزنا بين المصادر العربية وغير العربية، وبين المؤلفات والمقالات داخل كل صنف .

3 - لم نراع " ال " و " ابن " و " ابو " في الترتيب، ابن خلدون يوجد في حرف الخاء،

وابو تمام في حرف التاء، والمهدي في حرف الميم .

4 - استعملنا الاختصارات التالية :

ط . طبعة

م . مخطوط

د . ت . دون تاريخ

م . خ . مخطوطة خاصة

م . خ . ح . مخطوط الخزانة الحسنية

م . خ . ع . ر . مخطوط الخزانة العامة بالرباط

فهرس المصادر المراجــع

أ - المخطوطـــات

- ابن ادريس/محمد بن محمد بن عبد الله العمراوي

1 الديـــــوان .

م . خ . ع . ر . رقم 845 ج .

- أفنــدي / اسمــاعيــل بن ادريــس .

2 ادل الخيرات في الصلاة والسلام على سيد السادات .

م . خ . ع . ر . رقم 1084 ج

- ابن بوستة / محمد بن عبد السلام المراكشي

3 نور البصر في الصلاة على خير البشر

م . خ . ع . ر . رقم 32 ك، بخط المؤلف .

4 اتحاف السائل في تنبيه اهل الدلائل

م . خ . ع . ر . رقم 32 ك ضمن مجموع .

5 كتاب في التصليه

م . خ . ع . ر . رقم 2801 ك

- التادلي / الطاهر بن محمد المساوي البجعدي

6 تعليق على دلائل الخيرات

م . خ . ع . ر . 6657 .

- التادلي / عبد الخالق بن محمد بن احمد العروسي

7 المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي

م . خ . ع . ر . 319 ك .

- التادلي / محمد بن احمد بن علي الموساوي المراكشي

8 قضاء الحوائج والاوطار في الصلاة والسلام على النبي المختار .

م . خ . ع . ر . رقم 1551 ك .

- الجراري / يحي بن عبد الله البكري السوسي،

9 فهرســـة

م . خ . ع . ر . 3443 ز

- الجزائري / محمد بن احمد الشريف

10 استجلاب المسرات في شرح دلائل الخيرات

م . خ . ع . ر . 1715 ك .

- الجزائري / محمد بن محمد بن فراشة

11 شرح دلائل الخيرات

م . خ . ع . ر . 1545 ك

- الجزولي / محمد بن سليمان

12 دلائل الخيرات

النسخة السهلية بخزانة ابن يوسف رقم 377 .

13 حزب الشيخ (او الحزب الكبير)

م . خ . تطوان 447 .

14 حزب الفلاح (الحزب الصغير)

م . خ . تطوان 447 .

- الجزولي / محمد بن العباس السوسي

15 المواهب القدسية في اسانيد بعض المشايخ الصوفية .

م . خ . ع . ر . 97 ج

- الجمل / سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الازهري

16 المنح الالهيات بشرح دلائل الخيرات

م . خ . ع . ر . 1633 د

- الحلو / محمد بوجودة،

17 تحفة المستيقظين في الصلاة على سيد الاولين والآخرين .

م . خ . ع . ر . رقم 284 د، بخط المؤلف .

- الرسموكي / محمد بن عبد العزيز ،

18 وردة الجيوب في الصلاة على الحبيب المحبوب

م . خ . بمراكش، و م . خ . ع . ر . 1593 ك .

- الرصاع / محمد بن قاسم الانصاري التونسي،

19 تحفة الاخيار في فضل الصلاة على النبي المختار، وعلى آله الابرار

م . خ . ع . ر . 898 د / 1358 د / 410 ج .

- السالك / محمد بن محمد المراكشي الجرني،

20 الازهار المنيرات في شرح دلائل الخيرات

م . خ . ح . 6494 .

- السبتي / ابو العباس احمد بن جعفر،

21 حزب ابي العباس

ضمن مجموع خاص بمراكش .

- السرغيني / محمد بن المعطي،

22 حديقة الازهار في ذكر معتمدي من الاخيار

م . خ . بمراكش .

- السوداني / احمد بابا التنبكتي،

23 الدر النضير في كيفيات الصلاة على الشفيع البشير

م . خ . ع . ر . 1724 د

- السوسي / احمد بن علي بن محمد الهشتوكي،

24 كتاب في التصلية

م . خ . بمراكش .

- الشرايبي / احمد بن العباس الفاسي،

25 الدلائل النبوية والمكارم المحمدية

م . خ . ع . ر . 1571 ك .

- الشرقي / محمد المعطي بن الصالح بن محمد العمري،

26 ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج

مخطوطات خ . ح . من 7874 الى 7957 والخزانة العامة 2756 الى 2799

- الصحراوي / محمد الامين بن عبد الله الحجاجي الجعفري،

27 الارتجال في مناقب ومشاهد سبعة رجال

م . خ . ع . رقم 194 .

- الصحراوي / محمد الامين بن عبد الله الحجاجي الجعفري،

28 المجد الطارف والتالد على اسئلة الناصري احمد بن خالد

م . خ . ع . ر . رقم 588 ك ،

- الصومعي / عبد الرحمن بن اسماعيل التادلي الزمراني،

29 التشوف الى رجال التصوف

م . خ . ع . ر . رقم 1103 د .

- الصقلي / محمد بن الطيب الحسني الفاسي،

30 نور الجمال

م . خ . ع . ر . رقم 490 ك .

- عباس بن ابراهيم المراكشي،

31 اظهار الكمال في تتميم مناقب اولياء مراكش سبعة رجال

م . خ . ح . 232، هي النسخة المعتمدة لانه لم يطبع الا جزء منه .

- الفاسي / محمد المهدي

32 تحفة اهل الصديقية، باسانيد الطائفة الجزولية الزروقية

م . خ . ع . ر . 76 ج

33 تحفة الاخيار، ومعونة الابرار، العاكفين على دلائل وشوارق الانوار

م . خ . ح . 11093 ز .

34 الشرح الوسيط على دلائل الخيرات

م . خ . ع . ر . 144 ك .

35 مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات

م . خ . ابن يوسف 41/ 1-2-3 .

- الفاسي / ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف،

36 الانوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات

م . خ . ع . ر . 1643 د .

- الفاسي / محمد العربي،

37 شرح دلائل الخيرات

م . خ . ع . ر . 1532 ك .

- الغجيجي / ابو العباس احمد بن محمد السكوني،

38 اتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة، بكشف القناع عن الفاظ دلائل الخيرات،

م . خ . ح . 3290 .

- الكتاني / عمر بن الحسن بن عمر الفاسي،

39 الانوار القدسية في الصلاة على خير البرية

م . خ . بالرباط، بخط المؤلف .

40 - كناش في الملحون

م . خ . ع . ر . 165 ق

41 - كناش في الملحون، لمحمد بن عمر الملحوني،

م . خ . بمراكش .

42 - كناش في الملحون

م . خ . ع . ر . 594 ج .

43 - كناش في الملحون

به قصائد مختلفة، م . خ .بمراكش .

- الكنتي / محمد بن المختار الفهري،

44 الروض الخصيب، بشرح نفح الطيب

م . خ . ع . ر . 730 د

- الكنتي / المختار بن احمد الفهري،

45 نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب

م . خ . ع . ر . 730 د .

- المجاصي / ابو حفص عمر بن محمد المكناسي

46 ترجيز دلائل الخيرات

م . خ . خ . 884 ز.

47 - مجموع، تلاخيص من كتاب الشفا

م . خ . ابن يوسف 26 .

48 - مجموع، به قصائد متعددة منها جمهور احمد الرباطي

م . خ . بمراكش .

49 - مجموع/ الطرق الصوفية

م . خ . ع . ر . 637 ك .

- محمد الغالي بن المكي الاندلسي

50 بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال

م . خ . بالرباط .

- ابـــن مـــــرزوق،

51 السند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن

م . خ . ع . ر . 111 ق

- ابن مريدة / محمد المكي السرغيني الساوري

52 الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة

م . خ . ع . ر . 479 ك .

- المنغلوطي / حسنين بن مصطفى غانم

53 تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الانام قطب جزولة

م . خ . ع . ر . 925 د

- المؤقت / محمد بن محمد المراكشي

54 ميزان الرحمات في فضل الصلاة على سيد السادات

م . خ . بمراكش، بخط المؤلف .

- ابن ناصر / الحسين بن محمد الدرعي

55 الفهرســة

م . خ . ع . ر . 1443 ك

- الناصري / محمد المكي بن موسى الدرعي

56 الدرر المرصعة باخبار اعيان درعة

م . خ . ع . ر . 265 ك .

57 - الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية

م . خ . بمراكش .

- الهاروشي / ابو محمد عبد الله بن محمد الخياط

58 كنـــوز الاســـرار في الصـلاة على النبـي المختـار، وعلى آلـه واصحابـه الابـرار

م . خ . ع . ر . 637 ك.

59 الفتح المبين، والدر الثمين في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين .م . خ . ع . ر . 637 ك . ضمن مجموع .

- اليفرني / محمد الصغير بن محمد السوسي المراكشي

60 درر الحجال في سبعة رجال

م . خ . بالرباط .

ب) الكتب المطبوعة

61 القرآن الكريم .

- الأخضر / محمد

62 الحياة الادبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية

ط . دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1977

- ابن ادريس / محمد بن محمد بن عبد الله العمراوي

63 الديوان

تحقيق شهيد التهامي، مرقون بخزانة كلية الآداب بالرباط .

- بدوي / عبد الرحمن

64 الانسان الكامل

ط . مصر 1976

- بروفنصال / ليفي افرست

65 مؤرخو الشرفاء

تعريب عبد القادر الخلادي، ط . دار المغرب 1977.

- البغدادي / اسماعيل باشا بن محمد امين

66 ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون

المطبعة الاسلامية بطهران، ط . 1378/3 .

67 هدية العارفين

المطبعة الاسلامية بطهران، ط . 1378/3 .

- التادلي /يوسف بن يحي ابن الزيات

68 التشوف الى رجال التصوف

تحقيق ادولف فور، نشر كلية الآداب الرباط 1958 .

69 اخبار ابي العباس السبتي

ذيلت بها الطبعة الثانية من التشوف، تحقيق احمد التوفيق،

نشر كلية الآداب، الرباط 1984 .

- التوفيق / احمد

70 مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر : اينولتان (1850-1912) . ط 1/ الدار البيضاء 1978 .

- ابن تيمية / تقي الدين احمد

71 قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة

ط . بيروت، د . ت .

- الجـــراري / عبـــــاس

72 الزجل في المغرب (القصيدة)

ط . الرباط 1970.

- الجزولي / محمد بن سليمان

73 مجموع احزاب الجزولي واوراده.
المطبعة الرسمية، تونس 1306 .

- جلاب / حسن

74 الدولة الموحدية (اثر العقيدة في الادب)
طـ 1 الدار البيضاء 1983، طـ 2/ الدار البيضاء 1985 .

- الجيلي / عبد الكريم

75 الانسان الكامل
طـ ازهرية 1316 هـ

- حاجي خليفـة

76 كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون
اسطنبول 1941 .

- حركات / ابراهيم

77 التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية
طـ . الدار البيضاء 1985 .

- ابن زيدان / عبد الرحمن بن محمد العلوي

اتحاف اعلام الناس بجمال حاضرة مكناس
78 طـ الرباط، 1930 – 1933 .

- السايح/محمد

79 المنتخبات العبقرية

المطبعة الرسمية، الرباط 1920.

- السخاوي / شمس الدين الشافعي

80 القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع

طـ- حجرية بالهند

- السراج/ محمد بن احمد القيسي ابن مليح

81 انس الساري والسارب

تحقيق محمد الفاسي، فاس 1968 .

- الشرنوبي/ عبد المجيد الازهري

82 مناهج السعادات بشرح دلائل الخيرات

طـ اميرية ببولاق 1322 هـ

- شقور/ عبد السلام

83 القاضي عياض الاديب

طـ دار الفكر المغربي، 1983.

- عباس بن ابراهيم المراكشي

84 الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام

نشر عبد الوهاب بنمنصور، طـ ملكية 1974 - 1983 .

- عبد العزيز بنعبد الله

85 الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية

طـ. وزارة الاوقاف، الرباط بين 1975 - 1981.

86 معلمة المدن والقبائل
نشر وزارة الاوقاف 1977.

- عيـــاض / القـــاضـــي

87 الشفاء بتعريف حقوق المصطفى
طـ. دار الفكر، بيروت 1981 .

88 الغنية
طـ. الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس 1978 .

- ابن عياض / ابو عبد الله محمد

89 التعريف بالقاضي عياض
تحقيق محمد بنشريفة، طـ. وزارة الاوقاف، المحمدية د.ت .

- الغزال / احمد بن المهدي العيساوي

90 النور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل
طـ. مصـــر 1348 .

- الفاسي / محمد المهدي

91 ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والاتباع، وما لهما من الاتباع والالماع
طـ. حجرية بفاس 1305 و 1313 هـ.

- الفشتالي / عبد العزيز بن محمد

92 مناهل الصفا في اخبار الملوك الشرفا
طـ. وزارة الاوقاف د.ت، ونشرة عبد الله كنون تطوان1964 .

- القادري/ محمد بن الطيب الحسني

93 نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني

طـ فاسية . وطـ محمد حجي واحمد التوفيق، الرباط 1977 .

- ابن قنفد / احمد الخطيب القسنطيني

94 انس الفقير وعز الحقير

تحقيق محمد الفاسي، وادولف فور، طـ. الرباط 1965 .

- الكتاني / محمد بن جعفر الحسني

95 سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس

طـ. حجرية بفاس 1318 هـ.

96 - مجموع : الاذكار الطيبية

طـ. البارونية، مصر 1324 هـ

97 - ازهار الرياض في اخبار عياض

الاجزاء 1/2/3 طـ. القاهرة 1939، وج 4/5 طـ. الرباط 1978 - 1980 .

- المؤقت / محمد بن محمد المراكشي

98 السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية

طـ. حجرية 1335 هـ.

99 تعطير الانفاس في التعريف بالشيخ ابي العباس

طـ حجرية بفاس 1336 هـ

- الناصري / احمد بن خالد

100 الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى

طـ . دار الكتاب 1954 - 1956 .

- النبهاني / يوسف بن اسماعيل

101 افضل الصلوات على سيد السادات

طـ . دار الفكر - بيروت، د.ت.

102 سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين

طـ . بيروت 1316 هـ .

- النووي /يحي بن شرف الدمشقي

103 الاذكار النووية

د . ت .

- الهيتمي /احمد بن حجر الشافعي

104 الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود

مطبوع بمصر سنة 1380 هـ

- اليفرني / محمد الصغير بن محمد السوسي

105 صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر .

طـ . على الحجر بفاس

- اليوسي / ابو علي الحسن بن مسعود

106 المحاضرات

ط . دار المغرب 1976، والطبعة الحجرية .

107 رسائل اليوسي
جمع وتحقيق، فاطمة خليل القبلي،
ط. دار الثقافة، الدار البيضاء 1981 .

ج - المقـــــــالات

- جــلاب / حســـــــن

108 معجم عراصي مدينة مراكش
التراث الشعبي، عدد 5، السنة 12 - 1981 .

- الفاسي / محمد

109 شعراء الملحون الدكاليون
مجلة المناهل عدد 24 - يوليوز 1982 .

110 موضوعات الملحون
مجلة المناهل عدد 25 - دجنبر 1982 .

- المنوني / محمد

111 مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية
دعوة الحق - ماي 1977 .

112 كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواته ورواياته
مجلة المناهل عدد 22/ يناير 1982 .

مصـــادر ومراجــع بغيــر العـــربية

أ) الكتــب :

-

DEVERDUN .GASTON.

113 Marrakech dès orgines à 1912

Ed. Techniques nord africaine : Rabat 1959.

-

DRAGUE Georges.

114 Esquisse d'hisoitre religieuse du Maroc

_ paris 1951.

ب) المجـلات :

-

DECASTRIE Henri.

115 - Les sept patrons de Marrakech.

Hespéris 1924 T IV 3e tri.

فهرس الموضوعات

منشـــورات المـؤلــف

- الدولة الموحديـــة (أثر العقيـــدة في الادب)
الطبعة 1 - الدار البيضاء 1983.

- الدولة الموحديـــة (أثر العقيـــدة في الادب)
الطبعة 2- الدار البيضاء 1985.

- محمد بن سليمان الجزولي : مقاربة تحليلية لكتابته الصوفية
مراكش 1992.

- احمد بابا السوداني وكتابه الدر النضير
مراكش 1993.

- الحركـــــة الصوفيـــة بمراكـــش
مراكش 1994

- الآثـار الادبيـــة لصوفيـة مراكـــش
مراكش 1994

- مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي.
مراكش 1994

تحـت الطبـــع

- بحوث في التصوف المغربي
- في ببليوغرافيا التراث المغربي المخطوط
- الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الادب) ط . 3.
- فصول في الادب المرابطي .
- الزاوية البوعمرية بمراكش ودورها السياسي الاجتماعي والديني
- ابو عبدالله محمد المرابط حياته وآثاره.



زنقة أبو عبيدة الحي المحمدي - مراكش
☎ 30-37-74 فاكس: 30-49-23

هــذا الكتــــاب

...لقد كانت اهداف منظمي طواف سبعة رجال مراكش سياسية بالاساس، ولعلهم لم يكونوا يدركون ان عملهم هذا سيؤدي :

- الى تحول في المذهب الصوفي، وفي اساليب الكتابة الصوفية .

- والى ظهور هذا الادب الغزير في التوسل والاستعطاف والاذكار والادعية والتصليات، يتسم بالصدق والعفوية ويصور مشاعر فئات اجتماعية عريضة وآمالهم ومخاوفهم وطموحاتهم، الشيء الذي جعله بحق يفتح صفحة جديدة من صفحات الادب المغربي تكون هذه الاطروحة قد نبهت اليها وعرفت بها، على امل ان تخصّص لها دراسات مفصّلة مستقلة في المستقبل .